

بجمع الأدب العربي

بقلم

هذه الأقاصيص

بقلم الأستاذة الشاعرة.

جميع لمة العـلايلي

رئيسة المجمع

وقد تفضلت مشكورة

بال تبرع إلى المجمع بهذا الإنتاج

مجمع الادب العربي

يقدم

هذه الأقاويص

بقلم الأستاذة الشاعرة.

جميع — لة الع — لايلي

رئيسة المجمع

وقد تفضلت مشكورة

بالتبرع إلى المجمع بهذا الإنتاج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاهـداء

إلى رواد الفن

الذين أثبتوا بالعمل قدرة الفن على اقتلاع جذور الفساد وغرس
بذور الفضائل والمثل للارتقاء بالبشرية إلى أسمى أهداف الإنسانية
وفق تعاليم الأديان السماوية .

إلى العاملين في الميدان الفني رجاء اتخاذ الفن وسيلة لتقويم المعوج
وإنشاء جيل جديد جدير بالإنتساب إلى العروبة والإسلام .

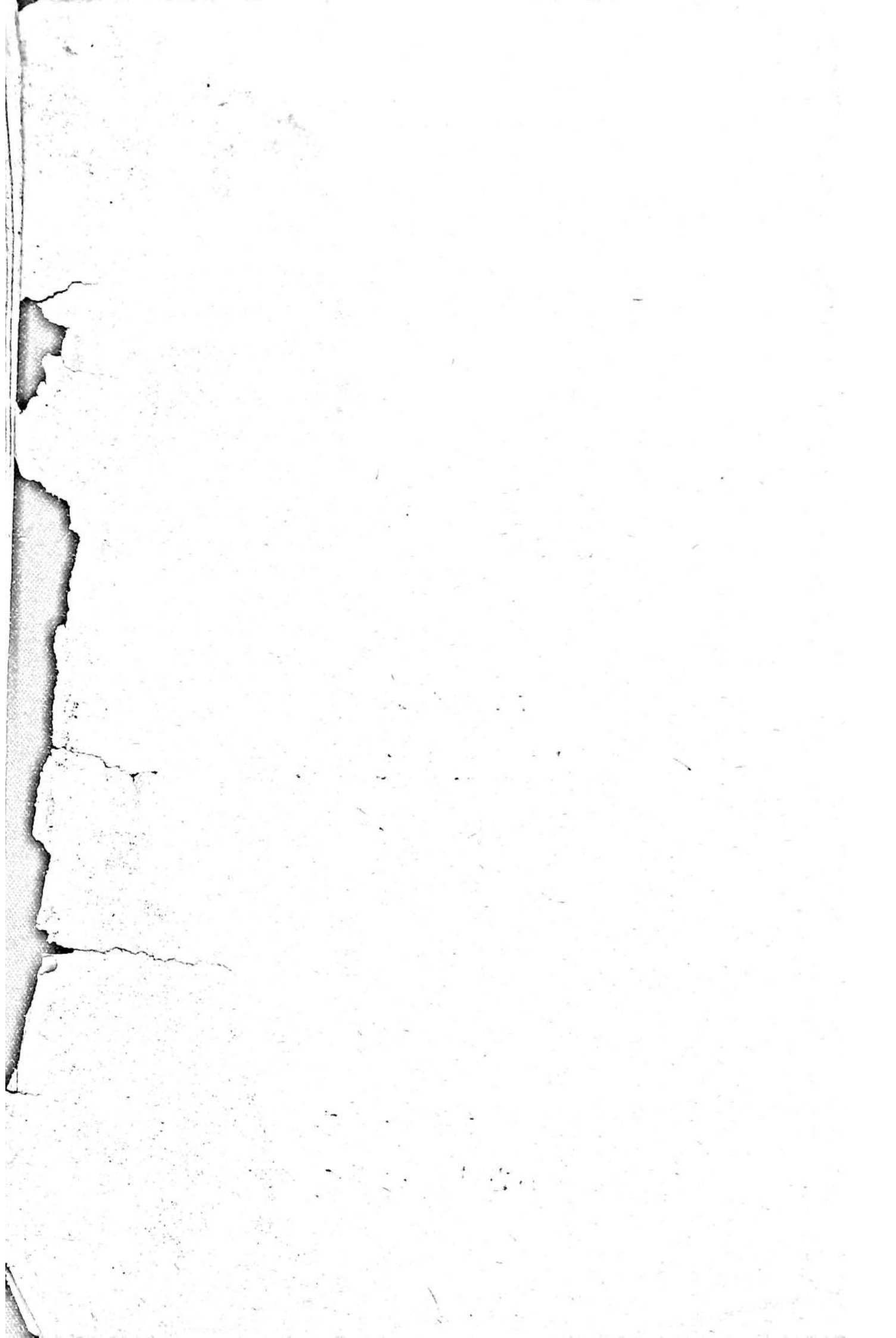
إلى المصلحين في كل بلد عربي استغلال الفن لتطهير النفوس وتنقية
الضمائر بتقديم نماذج تتمشى مع تطور العصر لخلق نهضة عربية تجمع
بين الشعوب العربية بالفكر والمشاعر .

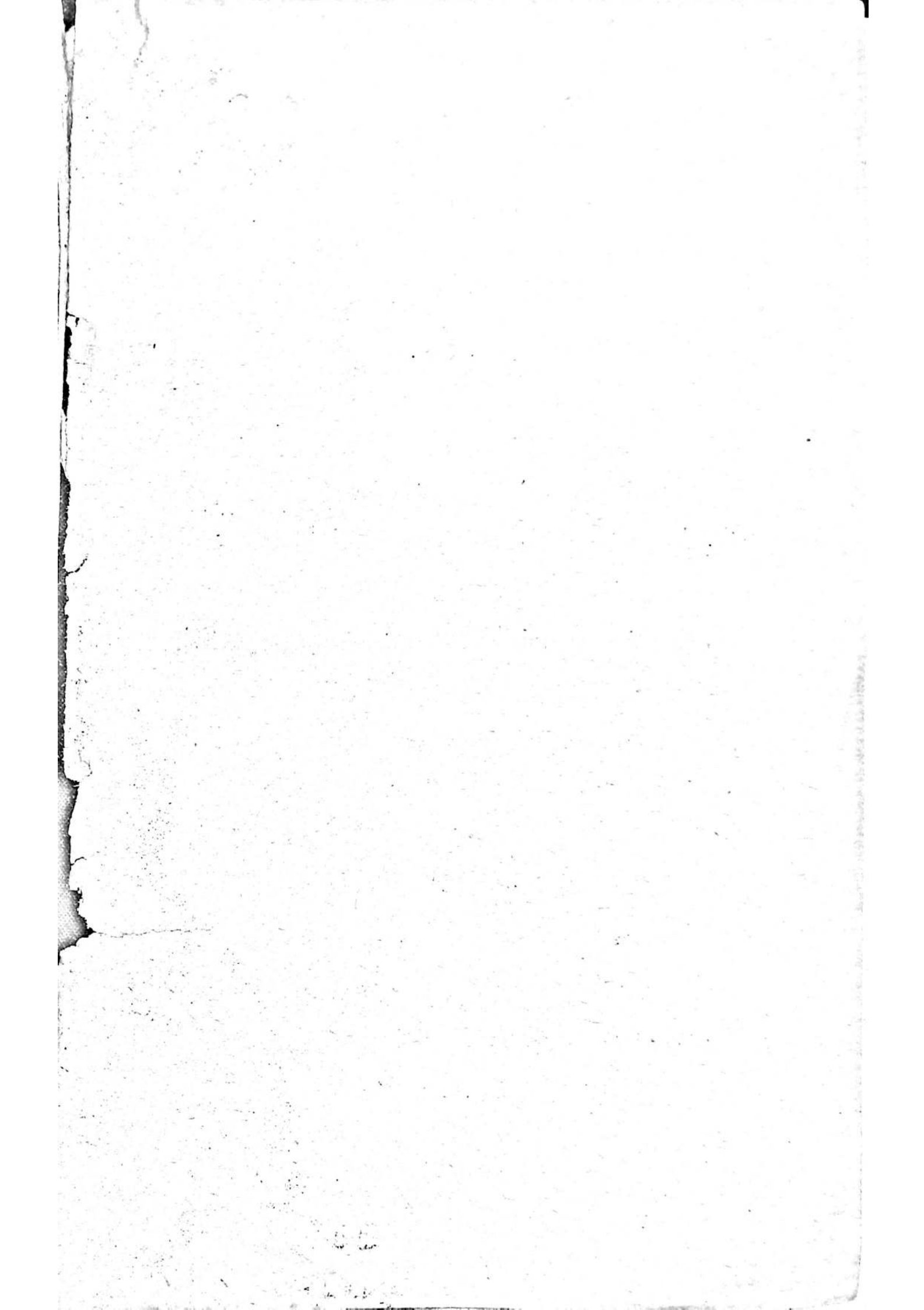
وعلى الله التوفيق ؟

المؤلفه

جميله العلايلي

عين شمس - ت ٨٦٤٤٨٣





لهذه الاقاصيص قصة

لم يكن لدى - ولدى جلال الصغير - فرصة لكي أشرح له أسباب عدم تعلقي بمشاهدة الافلام الحديثة كلما دعاني إلى مشاهدتها في السينما واعراضى عنها إذا ظهرت في - التلفزيون - مؤثرة استغلال وقته في دراسته ووقته فيما يجدى . على أننى كنت اضطر أحيانا لمشاهدة ما لا يروقنى بحاملة للزائرات الراغبات في المشاهدة . .
وفى أمسية ما كلمتني زائرة بغلق التلفزيون عندما هممت بفتحه ترضية لها ولما سألتها عن السبب قالت . . لا جديد يغرى على المشاهدة . .
كل الافلام الآن تدور حول محور واحد تقريبا ولا خلاف إلا في الديكور والمواقع مما دعاها إلى عدم اقتناء - تلفزيون - رغم إلحاح أولادها . . فالبنت الصغيرة تؤثر تقليد الرقص على المذاكره والولد الصغير ضرب ابن الجيران مقلدا ما يراه على الشاشة . فاعترضت لاهون عليها . . الرقص رياضة لا ضير منها والضرب عليه يريد أن يخبر شجاعته . . ويمكنك استغلال هذا التقليد بإيضاح أهداف الفيلم . .
فعادت تقول . . وأى جدوى وكل ما يعرض توافق عليه الدولة . .
فكيف يدرك الصغير أسباب مشاهد الاباحية والانحراف والحب الذى لا ينتمى إلى الفضيلة . . وتحدثنا طويلا في هذا الشأن . . ومعها الحق . . فقد تطورنا في كل ما يتعلق بالحياة من علوم وفنون واقتصاد

وسياسة .. بل بدأت الدولة تعمل على تنشيط الوعي الديني بتشجيع الصغار على حفظ القرآن ومنح المتفوقين جوائز مالية تغري المتخلفين الإقبال على حفظه . فإذا كان هناك فكرة يتطلب علاجها عرض مشهد من المشاهد المثيرة فهل عقل الصغير من النضوج بمكان حتى يدرك ما يطلبه الفن لإبراز هذه الفكرة ؟؟ . واذكر منذ سنين جاء تنى صديقة تطالبني بعلاج مشكلة بقلبي ظهرت بين الصغار إذ رأت ولدها الصغير يحتضن ابنة الجيران الطفلة بطريقة رآها في التلفزيون وهو يردد الكلمات التي سمعها من البطل يقولها للبطله .. وهكذا يتعلم الصغير ما ينبه غريزته في سن مبكرة وقد يترتب على ذلك مالا تحمد عقباه . والمفروض ان تسمو الغريزة عن غرائز الحيوان ونلقحها بمصل الإيمان والتغلب على الشهوة الجاحية إذا تسالت إلى جسمه بتأثير رؤيا فاضحة . يقولون أنه لا بد من ترضية الجماهير ولا سبيل إلى ذلك إلا بالمناظر المثيرة وياله من قول خاطيء .. فالأفلام والمسرحيات التي قام بتمثيلها يوسف وهبي وزكي طليمات وأحمد علام وعبد الوهاب وأم كلثوم وروز اليوسف وفاطمة رشدي وأمينة رزق ومن عاصرهم من أعلام السينما والمسرح ومن تخرج من مدارسهم كفاتن حمامة وماجدة ومديحة يسرى ومميحة أيوب وغيرهن .. قاموا بأروع المشاهد دون أن يظهر أي مشهد يشير العزيزة وترك للمشاهد تخيل ما وراء الحوار كل حسب قوة تخيله وتضج تفكيره وكأنه يطالع قصة كتبت بأسلوب رمزي ووراء حوارها ما يغنيه المؤانف وما يجب أن يتصوره المشاهد .

لذا يجب أن نطور السينما بما يتماشى مع الاعلام السليم النابع من
التوجيه الصحيح المتصل بالدين لأن الشاشة من أهم وسائل الاعلام في
العصر الحديث إذن لها من التأثير والتوجيه ما تعجز عنه وسائل الاعلام
الأخرى . . . وذلك يتطلب إخراج أفلام خاصة للأطفال وأخرى
للمراهقين . . . وتأكيذا لإقبال الجمهور على كل إنتاج رائع من الأفلام
الحديثة كفيلم صلاح الدين لأحمد مظهر وأفلام فانت حمامة وماجدة
وفريد الأطرش دليل قاطع على أن الجمهور يميل إلى مشاهدة ما يتفق
مع إيمانه وتقاليده العريقة بدليل أن الأفلام القديمة لم تزل تجذب
جماهير الشباب والشيوخ اليوم أكثر من الأفلام الحديثة .

ومنذ سنوات ألح على لفيف من الزملاء الذين يتابعون مشاهدة
الشاشة الكبيرة والصغيرة واقتناعي بوجهة نظرهم عدت إلى الماضي
على أثر صدور قصة الأميرة والراعية وهما يصوران ويمالجان الكثير
من مشا كل المجتمع ومشاعر الإنسان على اختلاف ميوله ونزعاته
عرض بعض المتصلين بي من الأدباء والقراء عرضهما على منتج أو مخرج
وحبال أحجامي بعد أن فهمت من سياق الحديث مالا يجزأ أحدهم
على التصريح به لإيمانهم بأن ذلك يتنافى مع خلق واستعدادي اقترح
بعضهم إرسال نسخة هدية إلى فنان على خلق فوافقت لإيماني بذلك
وأرسلنا نسخة إلى المخرج الكبير المرحوم أحمد بدرخان دون أن أشير
إلى رغبتي في تحويلها إلى سيناريو ولم تنض أيام حتى حمل إلى البريد
رسالة رقيقة منه مع مؤلفه — السينما — مبدية إعجابه بها وصلاحتها

للسينما ولم أكن من هواة السينما أو خبيرة بتنفيذ ذلك أو ممن
يفرضون على الغير من أهل الخبرة بهذا العمل لقاء ما يطمع إليه الخبير
فأحجمت مستهينة بذلك لا يثارى الشعر والأدب القمصى والدراسى
وكل ما يلهي وجداني ويشير خواطرى .. ويتطلبه المجتمع
ومرت الأعوام وأنا أرفض تنفيذ ذلك لاستحالة وسيلة تحقيقها
وقد كان من الجائز أن أعهد بهذه المهمة إلى الفنان الكبير الدكتور
زكى طليمات لثقتى فى سحر خلقه ونبل مشاعره ونقاء إنسانيته ولكن
علمى بأنه يعيش كالأطائر يتنقل من فن إلى فن ليلاقى الحب على أرض
جدباء بعد أن يعهد بها بالجهد والعرق لتكون صالحة للنبات والعطاء
وكل الأرضى التى ترك مصر من أجلها وكانت قاحلة صحراء أصبحت
بفضل مجهوده وإمكانياتها المادية لم تلبث حتى أصبحت مزهوة بالفن
الذى أسبغته عليها فى سخاء . وعاد بنا الحديث مرة أخرى فى إحدى
ندوات واثبت الرفاق بأن كتابة السيناريو ليست فريضة على مؤلف
القصة إلا إذا أبدى رغبته أنه على استعداد لذلك بنيل . . ان قصة
دعاء السروان . . لم يكتبها عميد الأدب المرحوم طه حسين
للسينما .. كما ظهرت بعد ذلك قصص الدكتور توفيق الحكيم والأساتذة
إحسان عبدالقدوس ونجيب محفوظ . وغيرهم مما ظهر على الشاشة
بعد أن حولها المخرج الذى تأثر بها ووجد فيها ما يتمشى مع استعداداته
وتنزهت رغبته بأيعاز من زملاء وعشمت بعض الوقت بين الإقدام
والأحجام لتنفيذ هذه الرغبة حتى بدأ قادة الدول العربية الإسلامية

تعتمد على الإعلام بوسائله المختلفة لتلاني ما يهبط بالمجتمع إلى الحضيض
خصوصا عن طريق الشاشة كما يدع القادة إلى تنبيه الوعي الديني والتمسك
بشعائر الدين القويم بجانب الصحافة والثقافة .. وكل ما يتصل
بالإعلام . وهانذا اسهم بقلمي بوضع لبنة في بناء صرح الشاشة
المستقيم بقدر ما الهمتنى إياه أحداث الحياة التي دارت عن قرب
أو بعد مستعينة بالخيال أنا لتجميل مشاهدنا ولكيلا يستشعر المشاهد
بجهامة الواقع الأليم .. وهذه الأفاعيص تشمل الأميرة .. التي
تظهر آثار قدماء المصريين مع انخاد الحب الطاهر وسيلة للسمو
بالروح والغلب على الرذائل .

الراعية .. تصور مساوىء الجشع والفساد على النفوس الضعيفة
وتأثير الزهد والقناعة والإيمان على الإنسان ليصبح خير مثال .
مذيع : تأثير الروح من وراء الأبراماد .

بعد الصبر : تصور محيط الجامعة دخلها وخارجها وانتصار
المثالية على الفساد .

كلام الله : تصور مدى تأثير القرآن الكريم وتحويل النفس البشرية
من الضياع إلى الإيمان .

في نهاية المزارع الممتدة على شاطئ النيل بالمنصورة حيث ينتهي
خط مسير السيارات ولا يتمكن الراغب في الذهاب إلى ضواحي
المنصورة إلا سائراً على



قدميه من الفلاحين لعدم
تمهيد الطرق الموصلة إلى
هذه الضواحي لزراعة
الأرض بالمزروعات
حسب مواسمها ولا
يمكن إقامة أى مبنى فيها
لعدم حاجة صاحبها
لبيعها للبناء ولرغبته في

الاستيلاء على الأرض المجاورة من أصحابها الفلاحين وهو يفاوضهم
عن طريق أتباعه لشراؤها بثمن بخس وليكنهم يتمسكون بها .

في هذا المكان النائي — كانت تعيش الراحية (حساناء) في كوخ
يحميها من وهج الشمس وزمهرير الشتاء وبجانبتها مأوى لغنماتها ولا يبدو
عليها أثر الخوف أو القلق تتخذ من الغنم رفاقاً يؤنسونها وحشيتها
وزقزقة العصافير التي تشعشع في أشجار الجوز القريبة منها .

وعلى صوت زقزقة العصافير صحت كعادتها وتوضأت ثم صلت

وخرجت إلى غناتها لتحلب اللبن وهنا يمر بها عابر سبيل (نادى) ولم
تسكده تراه حتى تصرع وتملأ له كواباً من اللبن وتقدمه إليه فيشر به داعياً
لها شاكراً ثم ينصرف . . وأثناء عملية حلب اللبن تغنى أغنية اللبن
ثم تحتفظ بباقي اللبن في وعاء أعدته لذلك ونخرج إلى الفضاء للرعى
وهى تغنى أغنية الوحدة وعلى البعد يرى عابر السبيل يتابع غناءها بنائيه .
وهنا يمر بها شاب وجيه (محسن بك) بمطياً جراده يتبعه بعض
اتباعه يحاولون اللحاق به جرياً وهم يلهمشون من الجهد وعندما يرى
الراعية — يلتفت اليهم قائلاً عودوا إلى المزرعة . . فى هذه اللحظة
تلدح الراعية فتختفى وراء كسبان من الحشائش الجافة العالية الكثيفة
مفضية إلى غناتها لتذهب إلى مأواها . . ويظن محسن أنها دخلت
السكوخ فيصرع إليها ويبدو عليه الغيظ لأنه لم يجدها وبعد أن يبحث
عنها حول السكوخ يظن أنها ذهبت إلى الضاحية القريبة من المزرعة
خوفاً منه لإقامة كوخ فى أرضه ويعود من حيث أتى معترماً أن يفاجئها
فى اليوم التالى . وكانت الراعية ذكية فأدركت أنه سوف يباغتها
فانهزت خلو المكان فى منتصف الليل ورحلت بغناتها بعيداً فى مكان
لا يخطر على باله مستعينة بهدابر السبيل الذى واجهها وكأنه كان على
مقربة منها . وفى الصباح الباكر أقبل محسن ليفاجئها فى كوخها قبل أن
تغادره ولكنه لم ير أثراً للسكوخ فيزداد غيظه ويكلف أحد اتباعه
بالبحث عنها فى هذه المنطقة .

وأخيراً يهتدى تابعه إلى المكان الذى انتقلت إليه فيراقبها ليعرف

عنها ما يهم محسن بك معرفته ولم يلاحظ التابع أن رجلاً يختفي وراء
 الذرة المزروعة قرب كوخها بحيث يراها دون أن يراه أى أحد ولما
 رأى تابع محسن أدرك أنه ذهب ليدعوه لمفاجئتها إذ سبق أن رآه
 معه .. فيسرع اليها وينبئها إلى اتخاذ الحيلة والحرص في الليل والنهار
 ويخبرها عن سوء سلوك هذا الوجيه كما سمع من الفلاحين ويرشدها
 إلى مكان يمكنها تغطية النهار كله تحت أشجاره الكثيفة مع غناتها
 بعيداً عن مزارع الوجيه لتأمن شره . وصراعاً ما تنفذ ذلك وعندما
 يفاجئها محسن بعد أن يبلغه تابعه لا يجدها ويرى الجالس في الكوخ
 عابر السبيل كأنه يستريح من إرهاق المسير ويتقدم منه التابع بتوجيه
 من محسن ليسأله عن الراعية فيتجاهل معرفتها ويقول أنه ترك كوخه
 البارحة ليشتري في تشييع جنازة قريب له في القرية وقد تكون الراعية
 مرت بالكوخ ووجدته خلواً فاستراحت فيه . فيقاطعه التابع :
 ولكنها تفتت طوال الليل فيه فيقول العابر .. يحتمل غلبها النوم من
 جهد الرعى طوال النهار . وفي صباح اليوم التالي تخرج الراعية
 بغناتها .. وإذا بطلقات نارية ازعجت الغنات فتفرقت تجرى وهي
 تتبعها لتجمع شملها بعد أن سارت في طريق لم تسرف فيه من قبل ، وهنا
 واجهها محسن وكان برفقته بعض صحابه يصيدون العصافير ولم يكذب
 يراها بعد أن استولى على العصافير حتى تقدم اليها قائلاً .. ليكن
 غذاءك اليوم على حساني فنشرت منه وتنحت عنه وهرولت بقطيعها
 مسرعة كأنها في طريقها إلى القرية لتضله . وضحك رفاقه مرددين ..

راعية حقيرة . . إنها لا تأكل غير العشب والجشائش . . وبأن الحق
والغيظ على وجهه بمن فقال بلهجة الوعيد سأعرف كيف أكرس
أنفها . وقال أحدهم ومن تكون بالنسبة لمن ملكتهم . . وعقب
آخر . . المرأة عندك حياء ترميه بعد أن تتمتع بجذبه . . ويلهيه
حديث الرفاق عن متابعة خطواتها . . فتغيب عن ناظره . وفي اليوم
التالي خرجت الراحية كعادتها قبيل الشروق مع غناها . . وفي
طريقها تحت شجرة جميز تجد لفاقة ملقاة يصدر منها أنين مولود
خافت فلما تدبى تبينه تجده طفلة ولدت في المساء وقد علق على صدرها منديل
به رسالة كتب فيها (يامن تعثر على هذه البريئة ، ترفق بها لوجه الله
ونعمدها مرضاة له واحتفظ بالخاتم المعلق برقبتها فقد أهداني أياها والدها
باسم الزواج أمام الله . ثم تخلى عني ، فقد ينفع ابنتي في يوم ما .
ولم يكن في وسع الراحية غير تنفيذ الوصية بدافع إيمانها العميق
وإحساسها ألا كيد براءة ثمرة حب زائف لا ريب . . وشملتها
بعطفها وحنانها ورعايتها كأنها ولدها في التو .
ولما تدبى وعيها الذي غاب لحظة لانفعالها لم أرى الطفلة . فكرت
فيما عساها أن تفعله ؟ وماذا تقول إذا سألوها عن علاقتها بها . . وطاف
بخطرها جواب كل سؤال يحتمل أن يوجه إليها .
وبعد منى أيام يباغتها العابر وهي ترضعها رغم حرصها ألا يرى
الرضيعة من قبل فيدهش ويسألها . يسدو أن أمها تركتها لك
بعض الوقت ربما تقضى حاجتها من المزرعة . فتبتسم قائلة :

إنها ابنتي . فيدهش قائلاً : ابنتك لم أرها من قبل فتجيب بصوت
 لا يتم عن الخوف أو الكذب : دائماً تكون نائمة كما عودتها وقلما
 تصحى إلا نادراً ولا يمانها المطلق بطهارتها وصدقها لم يشك فيما قالت
 ولم يجراً أن يسألها عن أبيها تاركاً الأيام تجيب عن سؤاله وعلى مر
 الأيام تقوى أوامر الصداقة بينها وبينه لحرصه الشديد على حمايتها
 ورعايتها لوجه الله ودون أن يصدر منها ما يثير الشك في طهارته ونبله
 وفي يوم ما . . فاجأها تطالع بعض الأوراق فلما رآته حاولت أن
 تخفيها فتكلف بسمة وقال : يبدو أنك تسلمت رسالة من والد
 ابنتك . . لكن كيف ؟ ويريد القرية بعيداً جداً عن هنا فلم تشأ
 أن تترسل في الكذب فقالت : إنها مذكراتي كتبها قبل مجيء
 إلى هنا . قال : لا شك أن في حياتك ما يدعو للتسجيل . فتحدثت
 في حرارة ولم تتكلم . إذ انتابها خليط من شعاع مختلفة . هل تخبره
 بماضيها أم تحتفظ به إذ ليس بينهما ما يحملها على المصارحة .
 وطال صمتها بعض لحظات فأدرك أنها تستعيد ماضيها فقال :
 سؤال طالما مر بخاطري ولم أشأ أن أوجهه إليك خشية أن تثير
 الإجابة عليه شجناً أو حزناً لا أخفي عليك أنهما يطلان من عينيك
 رغم بسمتك المشرقة ؟ فقالت بصوت متكسر الأنفاس تسبقه
 العبرات . وأى شجن يا أخى . . فقطاعها . . هرنى عليك . . أحياناً
 يكون الإفضاء فيه راحة للنفس وتبديداً للشجن وتنبهياً للتفكير في
 مستقبل فيه الأمل المنشود أو علك سئمت الإقامة هنا وتاقت نفسك

إلى العودة لحياة المدينة قولى بصراحة ما الذى يشغل بالك وتستجدى
منى العون فى إخلاص أكيد لوجه الله . . ولم تجد غضاضة من
الافضاء بما سجلته فى مذكراتها بدافع من ثققتها واطمئنانها اليه
وبلمحة الذكرى المريرة قالت : وهو يصغى اليها فى اهتمام . . .
توفيت أمى قبل أن أبلغ العاشرة من عمرى واضطر والدى أن
يتزوج بامرأة كانت تتردد علينا لخدمتنا وهى تولينى عناية خاصة أمام
والدى بدعوى أنها لم تنجب من زوجها المتوفى وخصصتني بحنان قربنى
منها وحببنى فيها وكنت أدعوها دائماً لزيارتنا إذا أوشك النهار أن
ينصرم دون أن تحضر وعندما تزورنا تحضر معها الحلوى والشكولاته .
وكان من الطبيعى أن ينس أبى اليها ويرتاح لاهتمامها بى . فلما صارحنى
بأنه مضطر للزواج بمن تقوم على خدمتنا قالت له تزوج . . (نانت
فاطمه . .) وكأنه كان يترقب ذلك منى فوافق فى التو . . وتزوجها
ولم تمر بعض شهور حتى صارت والدى بضرورة تمرينى على أعمال
البيت بجانب دراستى لأن شئون البيت انزع للفتاة مستقبلاً من التعليم .
وأخرجت الخادم بدعوى تمرينى على أعمال البيت وتوفير مرتب
الخادم لشراء لوازمى الضرورية وخصوصاً أن الغلاء يرتفع يوماً بعد
يوم وضاق وقى بالمذاكرة مع القيام بأعمال البيت دون مساعدتها حتى
الطهى علمتى أياه لكى تستريح وكان والدى جد مسرور بذلك على أن
رغبته فى إتمام دراستى كانت تدفعنى السهر لكيلاً أتأخر عن زميلاتى .
ولم أكد أنال الاعدادية . . حتى بدأت تحدثنى عن الزواج وضرورته

الفتاة ضمانا لمستقبلها ولما صار حتمها برغبتها في انعام دراستي حتى نهاية
 التعليم الجامعي . . سخرت مني وراحت تنبيه والدي الى ضرورة التفكير
 في زواجي . . إذ تخشى أن أقدر فيقاني وهن كما لاحظت يستبحن المحظور
 ويضعن الماكياج وهن في سن المراهقة وقد سمعت همسات أحدهن
 يوما وهي تطالبني بكراثة لتنتقل منها درس اليوم . . لأنهم لم تذهب
 إلى المدرسة لارتباطها بميعاد محبيها . . وتأثر الوالد من تكرار
 افتراءها كل يوم بدعوى الحب لي والخوف علي وأخيرا استطاعت
 بدعائها أن تزوجني لقريب لها رغم معارضي وموافقة أبي وانتقلت
 إلى منزل الزوج محزونة وحاول زوجي أن يحبب إلي حياة اللب والفرح
 باستقباله في بيتنا نساء ورجلا يجمع بينهم الأثم والفجور مطالباً
 إياي أن أباد لهم الله واستجيب إلى أي رجل يدعوني إلى محاسنه
 ومسامحته وكان من الطبيعي أن أرفض وتحدث بيننا مشادة لعدم
 استجابتي لضيقه المستمرين وصدى كل عابث يحاول مغازلتني وأخيراً
 صعب علي الاستمرار في هذا الجو الملوث بالأثم ومعاشرة زوج
 يعتقد الفجور والباحية ولم أعد احتمل ذلك فخرجت بدعوى زيارة
 زوجة أبي لاستشارتها في انتقاء حياكة فستان لي وفي نيتي ألا أعود
 ولما خلوت بأبي صارحنه بما يحدث فثار لكرامته وكرامتي وهدد
 بانفصاله عنه وكانت زوجته تعمدت أن تغادرنا لإعداد الطعام لكي
 تسترق السمع من وراء الباب ولما عادت إلى أظهرت الحنان
 والحب لي ونقل إليهما والدي حشيش بحسن نية ليشاركها في معارفتي
 للتخلص منه فوعدت بذلك لتطمئنتا وفي ميعاد سهرته الحرام اتصل
 والدي بشرطة الآداب بعد أن اتصل بزوجي تليفونيا لكيلا يشمره

بما أخبرته لكيلا يخطأ وأخبره أن زوجته تمسكت بي لتضام يوم
عندها وداومت الشرطة بمرافقة والدي بيت زوجي فوجدته خاليا إلا
منه وهو يؤدي الصلاة والتأكد من صحة بلاغ والدي سأل الضابط
الحاكم فأكدت له أن سيدها صالح جداً ولا يسمح لأي إنسان أن
يختر إلى بيته إلا أهل زوجته وأهله في محضره وقد تركت زوجته
المزول على أثر مشادة حدثت بينهما عندما حضر من الخارج وسمعها
تحدث رجلاً لها علاقة به وتعهده بعمل ما يحزن لها الطلاق من زوجها
لتزوجه . وهنا يعتبر الضابط بلاغ الوالد كاذباً ويعتذر للزوج ويأمر
الوالد بإعادة الزوجة إلى بيتها فوراً وسوف ينال جزاءه نتيجة البلاغ
الكذب ويضطر الوالد أن يعتذر للزوج ويعود إلى بيته ثائراً على
ويعودني إلى بيتي في عنف وقسوة . ويعود الزوج إلى استهتاره بما
يسمى إلى سمعي وشرفي وإلزامي بتنفيذ أوامره وأوامر أصحابه .
وانتهزت فرصة وغافل الخادم وأخذت ملاهي وذهبت إلى قرية
لي سبق أي حديثها تليفونيا وأخبرتها بما يحدث فنصحتني بالسفر
إليها فوراً للعمل على إنقاذي بمعاونة زوجها . والحق أنها أكرمتني
في مستهل أيام استضافتي ثم بدأت تشكو من زيادة ارتفاع أسعار
للعيشة وبدأ زوجها يشكو من سوء حالته المالية فهونت عليها
وأبديت استعدادي للعمل في أي مصنع فوافقت وكلفت زوجها
بالبحث عن عمل لي وسرعان ما وجد لي عملاً في إحدى المصانع .
وعندما لاحظت رئيسي المباشر استقامتي ودقة عملي وكثرة إنتاجي
اهتم بي اهتماماً أثار حقد زميلاتي بجانب غيرتهم لتقرب الزملاء لي كل
يريد أن يشعروني باهتمامه وبناء على تقرير رئيسي أمر المدير بزيادة مرتبي

مع مكافأة استثنائية وحدث أن شعرت بوعكة طارئة أثناء تأدية عملي
فقطفت قلمي إحدى الزميلات واقنعتني بترك العمل فيما تبقى من ساعات
وسوف توقع أثناء الانصراف بدلا مني مستعينة بزميل لنا ليخفي
انصرافي قبل الميعاد المحدد ولما كان خروج أي عامل أو عاملة دون
علم الرئيس قبل الميعاد على أن يوقع أحد الزملاء الاسم يحدث كل يوم
دون أن يحدث ما يكشف هذا التصرف فوافقت وانصرفت وأنا
جد مطمئنة وعندما ذهبت في اليوم التالي وجدت الاضطراب والهمع
والخوف يبدو على وجوه العاملين وأن التحقيق يجري بينهم بسبب
حرق القسم الذي أعمل فيه وحاولوا جميعا لإثبات براءتهم وأنتى
المسئولة عن صيانة هذا القسم وقد حدث الحريق لإهمالي وخروجي
دون إذن وثبت من التحقيق أنني لم أوقع أثناء الانصراف ورغم
اعتقاد رئيسي ببراءتي وإن ما حدث مكيدة لي بدليل عدم تنفيذ الزميلة
وعدها بتوقيع اسمي فإنه لم يستطع الدفاع عنى خشية اتهامه بتأكيد
ما كان يشاع عن وجود علاقة بيننا وصدر قرار المدير بنصلى . . .
واتفقت قريبتي على أن تقدمنى لخياطة معروفة . . ولم أكد أزال هذه
المهنة حتى اكتشفت أن الخياطة لا تصون شرف المساعدات لها بل
تساعد المراهقات المستهترات على استغلال المهنة فى سبيل زيادة ربحها
المالى وحاولت أن تقربنى إلى زوج سيدة تحيك عندها فتركها خشية
أن أنع فى مصيدة لا مخرج منها كما حدث لغيرى وكان لا بد أن أقضى
بعض أيام حتى أجد عملا . . وهنا أخذت على القرية تمسكى بالعفة
والشرف فى زمن قل فيه من يتمسك ذلك خصوصا المضطرة للعيش
مثلى . . ولا ضير على من مسابقة المدنية التى تجبر الحرية والانطلاق

دون عقاب وشعرت بأنها بدأت تضيق بي كما ضقت أنا بنفسي وتقيمت
على الحياة التي لا تفسح مجال الخير للراغبين فيه وسمعت في المذياع إقامة
ذكرى الحسين رضي الله عنه .. فتأقت نفسي للترويح بالذهاب إليه على
أجد في محرابه مخرجاً من محنتي .. وأثناء طوافي حول ضريح الحسين
رضي الله عنه ذعرت وكدت أمد يدي لأصفع ذلك الذي تجرأ وربت
على كتفي محاولاً معاكستي في بيت من بيوت الله وقبل أن أصفعه سمعت
صوته يناديني باسمي .. حسناء .. وتلفت فإذا به ابن عم والدتي رحماً
الله وأخر سنتي المفاجأة وانهمرت الدموع من عيني وأحسست بإحساس
مصح عن صدرى الكتابة والهم وكأنتني عثرت على ملاذ انقاذي
ومرفأ الأمان .. وبادرني بصوت الحاني العاطف .. ما الذي جاء بك
إلى هنا؟ وأين زوجك؟ لقد علمت بزواجك ولم أشأ أن أعرف مقرك
من والدك لكي أقوم بالواجب نحوك بعد الذي حدث بيني وبينه
بصعب سوء معاملة زوجه لك ورفضه إقامتك عندي فأنت ابنة أحب
إنسانة كانت لدى وكأنها لم تزل حية بوجودك ولم أنزوج إلا بعد أن
تزوجت والدك ظناً منها أنني هجرتها عندما سافرت إلى الخارج
للدراصة وقد أخفى والدها عنها رسائل أسره التفاهم الذي كان بين
زوجته وأمي .. سألهم الله جميعاً .. المهم كيف حالك؟ وطفننا
الضريح سوياً دون أن نتسكلم فلما انتهينا من الطواف قال .. تعالى
نستريح في هذا الركن ريثما يحين موعد صلاة الظهر وبعد تأديته ..
يمكن تمضية ما تبقى من النهار بقرب المسجد للمشاهدة في المساء الحفل
لأنني جئت إلى هنا من أجل ذلك كعادتي السنوية .. إذ استمد منه
الاشراق الروحي وكأني استمد من نور الرسول عليه الصلاة والسلام

ولزمنا الصمت كل منا يسبح الله ويستغفره هو على مسبحته وأنا
بهوت خفيت وبعد تأدية الصلاة عجلتني إلى مقهى واتخذنا منضدة
في مكان هادئ . . . للتعجلى أضواء الحسين المنبثقة من الماضي البعيد
ومعروف تظلي تبعث الإيمان حتى نهاية العالم عندما يأمر الله . . . وأثناء
ذلك سردت عليه قصة زواجي وما حدث لي حتى ساعة لقائه فهون على
وقال . . . بيتي مفتوح لك وسوف تسعد زوجتي بلقائك فهي طيبة ولم
تجب بعد مضى عمر زواجنا الطويل . . . وقد لجأت إلى العلاج الطبي
وشعرذة المحتالين دون موافقتي . . . ويشهد الله أنني راض بمشيئة الله
ومضى الليل إلا أمله فتواعدا على أن ينتظرها على محطة السكة الحديد
ريثما تذهب إلى قريبتها وتشكرها على استضافتها وتخبرها بأنها التقت
بهديقة لها في الحسين كانت زميلة لها في المدرسة أنمت دراستها
وأصبحت طبيبة وسوف تلحقها بمرضة بالمستشفى بعد أن تتمرن على
التمريض وتقيم في بيتها . وبعد أن وصلا بيت ابن العم أخبر زوجته
بصلة القرابة بينهما واحتلى بها بعيدا عن حسناء ليكلفها بحسن معاملتها
لتشعر بأن البيت بيتها ريثما يسعى لتخليصها من زوجها مستشهدا بسكان
العمارة التي يقطن فيها الزوج وفيهم من يتق الله وسبق أن صارح حسناء
بمزمه على تقديم بلاغ لشرطه الآداب وقد كنب البلاغ فعلا ووقع
عليه بعض الرجال الذين حجبوا نساءهم عن زيارة حسناء خوفا من
زوجها وبعد أن أطلعت حسناء على هذا البلاغ احتفظت به شاكرة
للزوج راجية أن يرسله وسوف تعمل على إبعاد رفاق السوء عنه
بدعوى أن الذنب ذنبهم . . . ولم تدر حسناء أن الله هيا لها هذه
الفرصة لتستفيد بها في الوقت المناسب . . . وعندما صارحها ابن العم

على ضرورة إيجاد مستند يستشهد به تذكرت هذا البلاغ وكان بين
أوراقها الخاصة فقدمته إليه . . . ومرت بعض أيام وحسناء تساعد
الزوجة في أعمال البيت بل حاولت أن تقوم بالعبء الأكبر ولما
لاحظ الزوج ذلك أخذ على زوجته توفير الراحة لنفسها دون مراعاة
راحة حسناء . . . وبدأ يتدخل في شئونها على غير عادته .

ينقد ما يستحق النقد ويلومها على كل تصرف يبدو له غير سليم .
وهنا بدأت الزوجة تفسر اهتمام الزوج بحسناء وعطفه عليها والعمل
على طلاقها من زوجها رغبة منه في الزواج منها وخصوصاً أنه كان
يحب أمها كما صارحها بذلك على أثر زواجهما وقد حزن حزناً شديداً
عندما علم بوفاتها متناسية أنه خير مثل للرجل الشهم النبيل البار
بأهله . . . وبدأت توغر صدره بتلفيق تصرفات خاطئة لحسناء صدرت
منها كلها خرجت لشراء حاجيات البيت . . . ولكن الزوج كان عليها
بمبعث غيرتها واثق من شرف وعفة حسناء ولذلك كان يدافع عن
حسناء دفاعاً ينتهي بمشادة تحمله على مغادرة غرفة النوم لينام في غرفة
أخرى ولم يحدث ذلك طوال مدة زواجهما حتى في حالة حدوث سوء
تفاهمهما أحياناً . . . واشتعلت الغيرة نار الحقد في صدرها عند ما سمعته
يوماً يقول لها وهو يظن أن زوجته عند جارتها وقد تسلمت في حذر
عندما علمت بحضوره على غير ميعاد من عمله . . . كأن أمك رحمها الله .
هي التي تقيم معي الآن . . . كلها وقع نظري عليك أحسست بالحب
الذي كان يسترلى على فلا استشعر بشيء سواها . . . أنت صورة بمائلة
لها وأنت عزائي الوحيد الآن لقد عادت بك إلى ثم جذب يدها قائلاً .

أهزبك فقد صدر طلافك وها هو احتفظى به فسوف تحتاجين إليه
ومنا دخات عليهما الزوجة وكأنها لم تسمع شيئاً . . . وبدأت تعامل
حسناً معاملة لا تليق بقرينة زوجها . . . بل تألف الخادم أن تعامل
بها وفي مساء ما ترى إلى مسمع حسناء اتهام زوجها بحبها وتهديده
بترك البيت إذا لم تخرج وصعب على حسناء أن تكون سبياً في تعاسة
زوج أحسن إليها فتركت البيت خلفها تاركة للزوج رسالة شكر
واعتراف بالجميل راجية منه أن يعيد الثقة والطمأنينة إلى قلب زوجته
مؤكدة له اعتزامها التطوع في الجيش لخدمة جرحى عدوان أكتوبر
وذلك بحياكة الملابس اللازمة لهم . . . واستضاءت روحها بنور الله
فسارت في الطريق لا تدري ما الله فاعل بها ورغم خيبة أملها في تحقيق
حياة كريمة لها فلم يزل إيمانها بأن الله لن يتخلى عن المؤمنين الاطهار
وإذا كانت الحياة عامرة ببواعث الحقد والامل والغيرة والضلال . . .
فهي عامرة أيضاً بأرواح إشعع منها النور الذى ينبثق منه الخير والبر
والرحمة والأمان . . . وروحها التى تأبى أن تهبط بها إلى الدرك الموبوء
بنفيل إيمانها الذى يمينها على السمور لتعيش بعيداً عن الإثم . . . لقد
كرهت القاهرة . . . وما هى تواجها الحياة من جديد بعد أن تحررت
في المنصورة . . . وكأن هذه البلدة التى انتصر فيها العرب على الصليبيين
أراد الله دوماً أن تكون لمن يعوزه النحر فى كل حين . . . فلن
تتركها . . . وطاب لها المسير على شاطئ النيل تتأمل تقلبات الطبيعة
فى زيلها الهادر أحياناً وصفاء السماء ونقاء الجو وهدوء الماء آناً وكان
النيل يسممها لحن الحياة معبراً على أن الحياة تمنح وتمنع وتفسد
ورحم وتظلم وتعذل . . . ليغرب الإنسان أحزائها فيعمل بمقتضى

ما يوافق استعداده وأمانية ان خيرا وان شراً . . . وطال بها السير
حتى أرهقتها وشمرت باستحالة المقاومة لمقاومة السير فجلست بين
المزارع ساهمة لا تدري ما الله فاعل بها وبعد أن استردت أنفاسها
تلقت حولها لتبين حقيقة انسان يجلس على مقربة منها . . . وظننت
أنه فلاح يحرس مزرعته ومن الواجب أن تستأذنه للاستريح ريثما
تستعيد قواها لكيلا يظن أنها تختفي بين الذرة لأمر ما . . . وها لها
رؤية رجل يرتدى ملابس مهلهلة ويلف رأسه برباط يحجب عينيه فلما
حيته رد التحية بصوت ضعيف وانتصب واقفاً ثم تحرك في ببطء كأنه
كسبح واصطدم بها فأدركت أنه كفيف فجلت يده في شفقة وهي
تقول إلى أين تريد أن تذهب يا مسكين ؟ فارتمت على الأرض فأعانتها
على الجلوس وهي تقول . . . لست من الفلاحين كما يبدو فكيف يتركك
أهلك لتخبط هكذا ؟ فأجابها بصوت مرتعش : ليت لي ما يهمه أمرى
يا صبية ! فقالت . . . مسكين . . . هناك من افتقدوا الأهل وهم
أحياء وتمهدت وبصرت متقطع الأنفاس قالت كأنها تخاطب نفسها .
الله وحده لمن لا أهل له . . . فقاطمها . . . يبدو أنك منكوبة مثل
بدليل أنك خاطرت بنفسك وتريدين الهروب والاختفاء هنا . . .
ولكنك صبية حسنة كما يبدو من صوتك الرقيق : ذا الذي جاء بك إلى
هذا المكان الذي لا يؤمه غير النعراء فقاطمته وأنا منهم . . . قال
ولكن الجمال ثروة يصح أن تكون رأسمال للراءة تستعمله إذا شئت ؟
. . . أما الرجل النقيير فقاطمته رأس ماله القوة والعمل . . . قال .
وإذا افتقدتما ؟ قالت : يستعين بالله وهو كليل بتوفيرهما له . . . ثم
تنفست الصعداء وأردفت . . . يبدو أن الحياة لا تفرق بين الرجل

والمرأة إذا تحالف الحظ الذي . مع من يختاره من البشر . قال . . هل
 أفهم أن الحياة طردتك من جنه السعداء ؟ قالت يحتمل . قال يبدو
 من أنفاسك أنك جائعة . . وأخرج من لفافة معه خبزاً وجبناً قائلاً .
 كل . . فقليل من الزاد يكفي لسد رمق الفقير الزاهد . . قالت . .
 يبدو أنك جئت إلى هنا هرباً من المدينة لتخلو إلى الله . . مثل ٢٩ .
 قال : ربما . . قالت . . والسكن هذه المزرعة . . فقاطعتها . .
 تحتاج لليد العاملة . . وأنا وسكت كأن اللوعة أخرسته . . فعقبت
 . . اعتقد ستحظى بمعطف أصحاب القلوب الكبيرة ولا توجد هذه
 القلوب إلا في الريف قال : فعلاً . . لقد استطعت أن اجمع ثروة
 فقاطعتها قبل أن تنفد بمرك لإذن كنت عاملاً فلماذا لم تكمل لك الدولة
 أسباب الحياة . . قال . . لا يا صديقه . . جمعتها من الشحاذة . .
 فدهشت قائلة . . من هنا ؟ . . مع أن المكان لا يؤمه غير فقراء
 الفلاحين وليس لديهم ما يزيد عن حاجتهم كما اعتقد إلا إذا كان المحسن
 سليل سيدنا عمر ابن الخطاب يؤثر غيره على نفسه . . قال لا . .
 جمعتها من المدينة قالت بلمهة جادة . . أنت شحاذ ؟ . . ولماذا
 احترفت الشحاذة وكان في مقدورك أن تلجأ إلى ملجأ المجرة تحت
 رعاية الدولة . . فتهد في أسف قائلاً . . أن أفوال المسؤولين أكثر
 من أعمالهم قالت هل تسمح لي بمرافقتك الآن لكي أقدمك إلى
 مكتب الضمان الاجتماعي ليحوالك إلى جهة الاختصاص . . فابئس
 ساحراً قائلاً . . وفري على نفسك بهذا لا طائل نجتة هناك في الملجأ
 سأجتمع بمن طردتهم المدالة من محرابها بعد أن شربوا الصاب والمقم
 من كأس الضلال . . لقد فضلت يا صديقه أن أكون شحاذاً من أن

اسرق لأفامر أو أحتال لأشرب الخمر أو أختلس لأقتص العذاري
 وأتاجر بهن فى سوق الفجور ١١ . . . أوه . . . دعيني وشأني يا صبية
 ولا تفتحي جرح قلبي . . . ثروة الشحاذاة التي جمعتها تكفي لسد
 رمقي طوال ما تبقى من عمري إذا قرله أن يطول . . . أنا سعيد
 بأن أعيش هنا فى رحاب الله . . . فهذه المزروعات كل نبت فيها . . .
 يقدم إلينا الخير بدون حساب وموفاة من السماء . . . قالت كأنك
 ترى كل شيء كما هو رائع وجميل . . . قال : ببصيرة قلبي أرى كل
 شيء وبمشاعر روحى استشعر بما وراء الجهور ثم غير لهجته وقال :
 أحمدي الله يا صبية لأنك ما زلت تحتفظين بنبعة الحياة الكبرى . .
 الصحة الكاملة . . . قالت هل تسمح لى أن أصارحك بأن حديثك
 ينم عن مأساة ولعل هذا سبب هروبك إلى هنا ؟ . . . قال : كأنك
 ملهمة . . . وتأوه . . . آه . . . ما عساي أقول . . . قالت . . . رفته عن
 نفسك قد يكون القدر جمع بيننا لأخفف عنك ! من يدري ! . . .
 فأطرق لحظة كأنه يسترجع ماضيه ثم قال . . . فعلا عل فى الحديث
 ما يخفف ما بى . . . كان والدى غنياً ولـكنه جمع ثروته من الربا فلما
 مات اعتمدت على ثروته ولم البث حتى بددتها مع رفاق السوء وتحت
 إلحاح والدتى وما جد علينا من فقر وحرمان اضطرت للبحث عن
 عمل رغم أننى لم أعود تأدية أى عمل بجانب فشلى فى الدراسة لاعتمادى
 على ثراء والدى فإذا تقدمت لمتجر وذكرت اسم والدى طردنى
 صاحب المتجر لأن والدى كان سبب إفلاسه فى يوم ما بسبب الربا
 وإذا تقدمت لمصنع لولا تدخل رجل طيب لدفعنى صاحب المصنع
 إلى السجن بتهمة محاولة سرقة انتقاماً من أبى الذى حيز عليه فباع

ما زاد عن استحقاقه بسبب الربا . . واختتمت والدتي فجأة وظننت
 أنها ضاقت بي لسوء معاملتي لها بسبب الفقر والحاجة وإلزامها ببيع
 ما يسد حاجتها حتى باعت أثاث البيت إلا القليل وحاول رفاق السوء
 تشجيعي على السرقة وعندما حاولت تسلق الماسورة لسرقة الشقة المتفق
 عليها وقعت لعدم تعودي على ذلك ومن حسن حظي تلقاني رجل كان
 يجلس على الأرض ولما استيقظت من تأثير الصدمة وسردت عليه قصتي
 بمراحة عطف علي وصارحنى بأنه شحاذ وهي حرفة شريفة لأنها لا تضر
 الآخرين فهي بمثابة جمع الزكاة من القادرين . فقطاطمته حسناء . . هي
 حرفة العاجزين المطرودين من جنة العمل المشر والكنفاح الشريف .
 قال : المهم افنعني وعلني الوسيلة للشحاذة وقد جمعت فعلا مبالغاً
 كبيراً . . يكفي لتوفير مطالب المعيشة . . ولما أصبت بفقد البصر مع
 شلل ساق وتوفي الرجل الذي علني واستضافني . . وبدأت الدولة
 تجمع المتسولين لتحويل بينهم وبين هذه الحرفة التي تشوه صورة
 الوطن في نظر السائحين فقد لجأت إلى هنا لأصريح واسكيلا أتعرض
 للقبض على وإيداعى ملجأ العجزة الذي أشرت أنت إليه فقالت . .
 يمكنك أن تفتح متجرًا بسيطاً وتستعين بمامل يداونك . . قال : وهل
 تظنين هناك من يؤتمن على مال كفيف كسيح . . حسبى أن أعيش لله
 الآن . . مستغفراً تائباً بعيداً عن الإثم والضلal وأنت لم تحدثيني عن
 سبب مجيئك إلى هذا المكان فانتصبت واقفة قائلة . . جميل أن تعيش
 مع الله وحسبك هذا ؟ . . أما أنا ففي نيتي أن أجمع القطن هنا مع
 هؤلاء الملاحات والأجر يكفيني لسد رمقى إلى حين يقضى الله في
 بقضائه . . ومر بهما راع مع أغنامه فأبرت إعجابها به وقالت . .

آه ليتنى راعية . . قال وما يمنعك . . قالت . . فمن الأغنام . .
 فاستوقف الراعى وسأله فى شراء عدد من الأغنام وقدم له الثمن
 وسأله عن المكان الذى يمكن أن يمسك فيه ايرعى غنائه . . فخطف
 عليه الراعى وأشار إلى مكان وحياهما وانصرف . . وقبل أن تبدى
 دهشتها من تصرفه قال لها . . بدل أن أفتح متجرا . . أكون راعيا . .
 على أن تقومى أنت بهذه المهمة . . فهذه الأغنام أمانة عندك تصرفى
 فيها تصرف المالك . . اعتبرى ثمنها قرصاً . . وأرانى مضطرا لزيارة
 رفيق كان يعمل معى وقد تاب الله عليه بعد أن اشترى بيتاً من مال
 الشحاذة وأصبح يدر عليه ما يكفى حاجته ويزيد حيث عندى أمانة له
 يجب أن أردّها له . . فاذهبى بغناتك حيث أشار الراعى واستودعها
 الله على أمل أن يعود إليها بعد حين . . ومرت الايام ولم يعد وهنا تبدى
 حزنها لأنه ذمب ولم يعد وفى عنقها الدين الذى اقترضها لإياه ويمر بها
 عابر فتسأله عنه وتخبره بأمره فيقول . . هبى أنه عاد إليك فقاطعتة . .
 ليته يعود لا يعيش له ما تبقى من عمرى . . قال أدعو الله مخاضاً أن
 يستحيب لدعائك ويحقق أمنيته . . ولكنه كما قلت كفيف كسيح . .
 قالت : لا سبيل لرد الدين إلا خدمته ورعايته . . وحن موعده
 الصلاة . . فاستأذنها وانصرف واختفى عن ناظرها ونام فى العمراء
 بحيث يرى الداخل إليها ولا يراه .

• • •

فى منتصف الليل تسمع طرقة خفيفة على باب كوخها الذى صنعه
 فتظنه الراحل قد عاد على غير ارتقاب فتفتح باب الكوخ فى لفة فإذا

بحسن يدخل في جراءة ويجلس على السرير الذي استعانت بالعابر على عمله
من الجريء مع حاشية من القش وتصق وتصرخ في وجهه قائلة كيف تجرأ
على المجيء وفي خبث دون أن يأبه لصراخها يقول جئت لأصونك من
اعتداء اللصوص وأبناء السوء ولأخذك لتعيشي معي في قصرى مكرمة
معززة فقد أحبتك عندما رأيتك أول مرة . . فتسخر منه وتنهره قائلة . .
أخرج أيها الذئب وإلا . . وتمسك يدها لتقبض على السكين فيمنعها
محاولاً أن يعانقها ويقبلها ولكنها تصده في عنف لم يتوقعه فيقع على
الأرض فتدعه وتخرج مسرعة مستغيثة فيتنبه العابر ويسرع إليها
وتقوم بينهما مشادة يصفر محسن خلالها فيسرع إليه أتباعه حيث
كانوا على مقربة منه بتوجيه منه ويحاولون ضرب العابر فيقاومهم
واحداً إثر واحد حتى يتناثرون كالأشلاء حول الكوخ .

وقبيل الفجر يخشى محسن أن يفتضح أمره لقرب خروج الفلاحين
إلى مزارعهم . . فينصرف مع تلاميذه مهدداً العابر بما سوف يحقق به .

وعلى أثر انصرافهم يصحبها العابر إلى منزل فلاح يبعد عن مزرعة
محسن يقوم بحراسة مزرعة أخرى بمعاونة زوجته ويطلب منهما
استضافة - حسناء - ريثما تنقل كوخها وقطيعها إلى المزرعة التي يقومان
بحراستها وقدم لها مبلغاً من المال اغراها على الموائمة فوراً والسرور
على راحتها وبعد أن تستعيد هدوء نفسها وتطمئن إلى أمان مقامها . .
تعلم من زوج الفلاح كيف تقوم بعمل الخبز كما تعلم العابر من الفلاح
غزل صوف الأغنام لعمل غطاء رأس له ورداء وشالاً حسناً . . .
وخفاً للقدمين بديل الحذاء .

وتفويض الأمر العابر كان يحضر الفلاح له الصحيفة كل يوم ويحلمون
جميعاً بجانب مذبح صغير يملكه الفلاح للاستماع إلى الأخبار وإعز
الاحتفال بتقديم جوائز المتفوقين في عيد العلم ورأى العابر أن صديق
أصبح من المتفوقين في ليسانس الحقوق . . ولم يستطع العابر أن يغالب
دموع الفرح والابتهاج فلما سأله الراحلة . . لم تبك . . قال . .
أنصور أخى الذى توفى بين هؤلاء . . فقد كان طالباً في الحقوق وكان
المفروض أن يكون اليوم مع هؤلاء لأنه كان دائماً من المتفوقين رغم
أنه نشأ في بيئة فقيرة وكان يذاكر على مصباح الغاز في غرفة الفرن
في الشتاء ليتدفأ . . فهوت عليه قائلة . . وهل مرض ؟ فقال . .
لقد تطوع واستشهد قلت . . هيناً له إنه الآن مع الأحياء الخالدين
في الجنة . . ثم أبدت رغبتها في الجلوس خارج غرفة الفلاح لأنها تشمر
بضيق أنفاسها واضطر العابر أن يرافقها خوفاً عليها من مضاعفة
الحالة . . فلما خلا المكان إلا منهما قلت له . . أظن استشهد شقيقك
دفعك إلى الإقامة هنا هرباً من الذكرى الاليمية . . فهل ترى إلى أن
تأسى ويخفف الله عنك شدة المصاب ؟ أم اتخذت المقام هنا لأمراً آخر ؟
إذ أحياناً نهرب مما يصعب علينا احتمالاً إلى ما يمكن احتمالاً ؟ . . قال
قد يكون ذلك وقد لا يكون ؟ قالت : ألم يكن الوقت بعد لتتقني كي
تصارحنى ؟ قال : لكى أؤكد لك تقنى المطلقة فأليك قصتي . . .

لقد نشأت تحت رعاية أمى العجوز بعد وفاة والدى وعشنا سرياً
من إيراد بيت متواضع يدر علينا من المال ما يكفى لحاجتنا الضرورية
والتحقت بكلية الحقوق لرغبتي في التعليم لتفوقى في الدراسة تحدياً

لأخي الكبير الذي تركنا للعمل في بلد عربي دون أن يعطف علينا
 ملقياً عبء أمي على كتفي قائلاً . . . حاول أن تشتغل بالثانوية بعد
 أن تحصل عليها ولا ضرورة للالتحاق بالجامعة لأن تكاليف دراستها
 باهظة . . . وليس في مقدوري معاومتكما فاعتمد على نفسك وقد تركت
 لك نصيبي في إيراد بيت أبي بدل معاونتني . . . وعندما مرضت أمي
 وحانت ساعاتها الأخيرة طلبت مني أن أطلع على الأوراق المودعة في
 صندوقها الخاص وأوصتني أن أحكم عقلي . . . وبعد تشييع جنازتها
 أسرعت لقراءة الأوراق واشهد ما هالني أن السيدة التي كانت تتردد
 علينا من حين إلى حين بدعوى أنها قريبة لأمي وحالتها المالية تسمح
 لها برعاية أمي لترد الجليل الذي قدمه إليها والذي عندما استضافتها أمي
 بعد وفاة والديها في عدوان السويس وكانت موضع عطف أي وقد
 زوجها برجل ثري قبل وفاته لجمالها . . . هي أمي . . . وأن أمي التي
 نشأت تحت رعايتها — هي جدتي — ووالدتها . . . وعرفت أسباب
 عطفها البالغ علي واهتمامها بشأني وتقديم المال اللازم التي تطلبه جدتي
 لمعيشتنا وتعليمي مما جعلني أنسر ذلك بالحب . . . مما جعلني أعرب
 منها مهما حاولت أن تقربني منها خشية أن أؤثر بجمالها وأنها في حاجة
 إلى حيوية الشباب لأن زوجها شيخ رغم أنه في منصب كبير . . .
 وخشية أن تكون امرأة مولعة بحب الشباب إذ انتقدته في زوجها . . .
 وكثيراً ما كنت أتردد عليها في قصرها بدعوى أنني شقيقتها — إذ
 امرتني أمي (جدتي) أن أدعي ذلك لكيلا أثير شك زوجها إذا
 رأيته عندما . . . وفعلت رأيت أكثر من مرة وقدمتني له باسم شقيقتها
 وعطف — الباشا — علي وكان يرحب بي كلما جئت لها إذا مرضت (جدتي)

وكلفتني باستدعائها اتوصيها بي فكانت تهتم بجدي وتحنن لها الطبيب
والدواء ولا تتخلى عنها حتى تتعافى . . . وكنت اعترف لها بصدق أنه
لا يوجد في الحياة من يماثلها في البر والكرم والإسانية في زمن قل فيه
من يعترف بالجميل أو يحنو على الفقراء من ذوى القرى . . . وكانت
لا تعلق على مديحي بغير اللاموع ومحاولة تقبيلي وأذكر أنها أعدتني
مزياعاً في عيد ميلادي لاستفيد من ثقافة ما يذاع عندما تمنيت ذلك
في حديث مع جدتي على مسمع منها . . . وحدث أن استمعنا إلى قصة
امراة تركت أولادها لتزوج برجل آخر فلما أبدت سخطي وانهمتها
بخلو قلبها من مشاعر الأم وأنها جديرة بتبرأ الأبناء منها دافعت عن
الأم قائلة . . . قد تكون اضطرت لذلك لحماية شرفها وسمعتها لكيلا
تكون وصمة في جبين الأولاد إذا كبروا وعرفوا أنها استهانت
بشرفها وتقلت من رجل إلى رجل لقاء المال . . . لقاء محرماً ولم أكد
انتهى من قراءة الاوراق التي تشبث بنوتى وأمومتها حتى شعرت
بانهمار عصبى . . . ولكنى تما لك نفعى وعن لى الانتقام منها . . .
فانتهمزت فرصة نشر خبر فى الصحف يشير إلى أن محمود طلعت يقيم
حنفلا فى قصره بمناسبة نجاحه فى انتخاب مجلس الشعب وذهبت إليها . . .
وكان من الطبيعى كعادتها تستقبلنى كشقيقها . . . ولم استطع مقاومة
شاعرى فطلبت منها أن أخلو بها لحظة بعيداً عن المدعوين . . .
فصحبتنى إلى غرفة نومها . . . وكنت عمدت إلى إخفاء خبر موت
أمها من قبل لكيلا أزيد من شحنة آلامها . . . وفاجأته . . . لقد توفيت
وصعب على أن أقول . . . أمى فقلت . . . جدي . . . فريمت وقالت :

ماذا تقول . . . قلت . . . أمك أتت . . . وعرضت عليها الاوراق
قائلًا . . . لقد عرفت كل شيء . . . إنك لا تستحقين الانسحاب إلى
بنوتى . . . امرأة تبيع ابنها من أجل الجاد والمال . . . لا تستحق غير
اللغة . . . فطوقتني بذراعيها باكية مرددة . . . يا حبيبي . . . سوف
تعذرنى وترحمنى وتنفر لى . . . لقد تزوجته بعد أن طاردنى ليتخذنى
عشيقة فلما صعب عليه تنفيذ رغبته تزوجنى ومن أجلك تزوجته
لأرعاك خلوىدى مما يكفل لك الراحة والتعليم . . . وأنناء ذلك لاحظ
زوجها خلوى الحفل منها فبحث عنها . . . وعندما أقبل على غرفة نومها
وترأى إليه صرتها ففتح الباب فرآها وهى تطوقتني وتقبلنى . . .

وكانت صدمة للرجل فلم يقل غير . . . يا خائنة عشيقك . . . كان
يزورك باسم شقيقك ثم فقد النطق . . . وكان لابد من استدعاء الطبيب
فى الوقت الذى استرقت فيه الخادم السمع عند نطق كلماته الاخيرة
وبوسيلة تليخ الخادم تماثر الخبر بين المدعين وعرف سبب إصابة
الباشا باكتشافه علاقة زوجته بشاب كانت تدعى أنه شقيقها وا طررت
إلى مغادرة القصر لا أقوى على الحركة ولا أستطيع الكلام حتى فقدت
توازنى فوقعت على الارض شبه فاقد الوعى . . . ولم انبأه إلى بعد
نقلى مع الإسعاف إلى المستشفى وصعب على الأطباء تشخيص مرضى .
وفسر ترديد . . . أمى . . . أمى . . . وعدم إجابتى على أى سؤال
يوجه إلى بمبادئ الجنون فحوالت إلى مستشفى الامراض العقلية وبعد
أيام استطعت أن استرد هدوء نفسى ووعى وإجابتى على الاسئلة
التى توجه إلى فغادرت المستشفى بعد التأكد من سلامة عقلى .

وخلوت بنفسى فى بيت جدتى مبتعدا عن معارفى ورفاقى تاركا
دراستى لغير رجعة زاهدا فى الحياة ولم اتصل بزميلى الذى كان
يذاكر معى مما اضطره إلى البحث عنى ومعرفة مسكنى إذ كنت إذا كر
معه فى منزله اتوفر أسباب المذاكرة عنده واشد ما هاله رؤيتى على
صورة لم يالفها من قبل وعندما علم بوفاة أمى ازداد تعلقه بى وحاول
أن يقنعنى بضرورة الإقامة عنده ريثما ينتهى الامتحان لىكى يخفف عنى
حزنى وصعوبة البقاء وحدى وليكنى اعتذرت بدعوى ضرورة
سفرى إلى بلدة أمى لتنفيذ وصية خاصة بتركها وفى مقدورى أن
أعوض هذا العام فى العام المقبل إذا صعب على الاستعداد للامتحان
الآن وودعته على أمل أن اتصل به بعد عودتى إن شاء الله . .

و كنت اعزمت فعلا السفر لزيارة قريب لجدتى كان يتردد علينا
ويشملنا بعطفه وأثناء إعداد حقيبتى فوجئت بمقدم - أمى - وكدت
اصفها واطردها لىكن مشاعر البؤسة التى غرستها فى نفسى - جدتى -
شلت يدي وأخرست لسانى . . وتركتهما تطوقنى بذراعيها حانية باكية
وكدة قائلة سأعيش ما تبقى من عمري لك وحدك إذ انتقل زوجى
إلى رحمة الله وقد ورثت عنه ثروة طائلة كان سجامها باسمى قبل الحفل
الذى أصيب فيه لأنه لم ينبج أولادا وتكفيرا لعقوبى إزاءك مادمت
تفسر زواجى الاضطرابى بالجحود فقد تنازلت عن ثروتى لك
وسجلتها باسمك وقدمت لى الوثيقة التى شئت ذلك فلم أهتم ورميت
الوثيقة فى وجهها قائلا . . استردى ثروتك وتنجيت عنها لأضع
الابمى فى الحقيقة غير آبه بتوسلاتها وبكائها وتركتهما رغم محاولتهما

التعلق بي . . قائلا . . احتفظي بثروتك لتعيش بعيدا عن الذئاب
البشرية وخرجت شاعرا باختناق أنفاسي أسير في الطريق دون تحديد
وجهة مسيري حتى وجدتني أمام محطة أتوبيس . . فركبت بعد
التأكد من خط مسيره ووصلت إلى منزل القريب في قرية مجاورة إلى
المقصورة وبعد أن استقر بي المقام اضطررت إلى مصارحته عندما
استحلقتني باسم الله أن أخبره عن سبب سروي وتجهمي
وأصاي البادية في شحوب وجهي فهون علي واقنعني بأنه لا يستطيع
أن يهتم الأرمل التي تمتاز بجمال يغري الشيطان على إغرائها عن طريق
المال والجاه وهي في حاجة ماسة إلى الحماية والرعاية وولد ما زال طفلا
يصعب عليه ذلك واخذ القريب كلام الله وسيلة للتأثير علي . .
ولا أنكر أنني ندمت على إهانة أمي واعتزمت أن أعود إليها
مستغفرا . . ولم يتركني القريب إلا بعد أن استعدت صحتي وهدوء
نفسي واقنعني بضرورة ترضية أمي ورعايتها مرضاة لله وذهبت في
التو إلى القعر الذي كانت تقيم فيه إذ لا شك أنها ما زالت تعيش
فيه . . فأخبرني حارس القعر بأنها لم تحتمل مصاب موت زوجها
وهي الآن تقيم عند قريبة لها وسوف تعود قبيل الأربعين . . وعدت
إلى بيت جدتي لأفضي الأيام الباقية ريثما يحين ميعاد الأربعين
فأذهب إليها .

وعندما دخلت البيت وجدتني طريحة الفراش تن وتوجع من ألم
نزل بها واستقبلتني بالعناق والقبلات وقالت لي . . لم أستطع الذهاب
إلى القعر لأنه يذكرني بموقفك مني وأفاديل الناس عني لاعتقادهم

أننى خنت زوجى مع شاب فآثرت البقاء هنا على أمل أن تعود وقد
غفرت لى . . وطلبت منى فى توسل ورجاء أن أظل بجوارها طوال
الليل لأنها تشمر بالأم لا عهد لها بها وترى شبح الموت يتقدم منها . .
ومدت ذراعيها لتطوقنى فى جهد وإعياء محاولة أن ترفع رأسها
لتقبلنى فارتيمت على صدرها أقبل رأسها ووجنتيها دون كلام إذ
خانى النطق وانهمرت دموعى معبرة عن مشاعرى واستغفارى . .
وبعد جهد قلت . . أنا التى أطلب عفوك فاغفرى لى إساءتى الذى
دفعنى إليها الشيطان وإن كانت فى الواقع من فرط حبنى لك . . ذلك
الحب الذى تمنيت لو امنحك إياه وأعوضك به فقد أبى . . وبدل أن
تعلق على كلامى مالت رأسها وارخت ذراعيها وأحسست ببرودة
العدم تسرى من جسمها إلى وجهى فناديت . . أمى . . أمى . . فلم
تجب وماتت دون أن سمع منها أنها غفرت لى . . فقاطعت حسماء .
لاشك أنها غفرت لك إذ لا يمكن أن يتأثر قلبها بما فعلت . . لأن
عاطفة الأم فوق إساءة الأبناء . . وتمنيت لو مد الله فى عمرها
لأعوضها عما أفقدته من حنانى وحنى وكانت محقة بوفائها فوق
احتمالى . . فمرضت وقامت جارتنا برعايتى مراعاة للعلاقة الطيبة التى
كانت تربطها بجدتى وما اغدقته عليها أمى من مال بسبب ذلك وبعد أن
تعافيت فكرت فى ترضية روحها فى مقرها الأخير ولكى يغفر الله
لى إساءتى إليها وأخيرا لم أجد وسيلة لذلك غير استغلال الثروة التى
منحتنى إياها لاسعاد الفقراء والمعوزين تاركا المدينة أحشاق الحضارة
والمدينة بعد أن بحثت وعرفت أسماء ما تعوزهم المعونة من الأfarب
والجيران والمعارف . . وكنت تأثرت بنقاء جو الريف وطهارة

قلوب أبنائه فاعتزمت أن أقضي ما تبقى من عمري فيه . . وقبل أن
أأخذ لي مقاما في قرية قريتي راق لي أن أشاهد المنصورة التي طالعتني
كأنها حسناء جميلة مشرقة تغري على التعلق بها وقضاء ما تبقى من العمر
بجوارها واغراني النيل على السير بجانبه فسرت . . وكأني أتمنى مع
عشيقة أتمنى أن أسير معها دون توقف إلى النهاية . . . وطال لي السير
دون أن أدري فإذا بي أفطع طريقاً طريلاً انتهى بي إلى المزرعة التي
لمحتك من بعيد فيها . . فجلست محتجبا بشجرة الجوز وقد ملكتني
الدهشة لوجود صبية وحيدة دون رفيق لحراستها في هذا المكان
النائي الذي يخلو من النار إلا العابرين في طريقهم إلى ضواحي
المنصورة . . ونسبت بك الكواكب التي كنت أتأملها وأناجيتها
متهورا أنها مخلوقات حية تسمع وترى . . اذبت أخاف عليها من
أبناء الأرض الذين يحاولون الوصول إليها ونقل عدوى رذائلهم
ومساوئهم . . إنها قبس من نور الله لم يعلق بها لوثة آثام الإنسان . .
وقد رفعت وجهي إلى السماء وأنا أتأملها بجوار النيل الهادي أدعو أن
يحميها من بطش وعدوان الإنسان الذي يتيه بصو لجان الطغيان وشدتي
الصبية التي تلتف بأزار يخفي جسمها ووجهها ولم تكشف غير عينيها
كأنها تغيش في بلد عربي لم يزل يتمسك بشريعة الإسلام . . وخامرني
الشك إذ خيل لي أنها هاربة من المدينة لأمر ما ومتخفية ووسوس لي
الشیطان أن أنحقق من شخصيتها ولكنني استعذت بالله وأخذت طريقتي
هائلا لنفسي . . لتكن ما تكرن . . وشجعتني على المضي في الطريق
صفاء السماء وجو المزارع الشاعري حتى أعياني المسير فجلست لاستريح
وأدخ السيجار ومر طيف أوى بخيال فندسبت بها جمال الطبيعة البادية

وما كفى الأسى وروح أبكى في مرارة حتى انهارت قواي ولم اتنبه إلا
 على صوتك الحاني فقاطعته : لقد رأيتك من بعيد فخننت أن تكون
 من قطاع الطريق فحاولت أن اتخفى لكيلا تحاول الاعتداء علي . . ولم
 ألبت حتى لمحتك وأنت تطرق اطراق الحزين الباكي ووجدتني مشدودة
 اليك دون أن أدري ولما اقتربت منك وجدتني في حاجة إلى الرعاية إذ
 كانت ضربات قلبك توشك أن تقف واصفرار المرات يرتسم عليك
 فهالني أمرك وخشيت أن تموت وليس بجانبك من يحمل جثثك للتعرف
 عليها إذ لم أعرف على شخصيتك ثم ندمت على سوء الظن الذي خامرني
 إذ خيل لي أنك من رجال المباحث تبحث في هذه المزارع عن مهربي
 المخدرات أو مشهم في جناية ما فابتسم وقل . . وأخيراً وجدت من ؟
 قالت . . رجل مؤمن صالح زاهد بدليل أنك بعد أن استمفقت
 واستعدت قواك لم تحاول أن تتقرب إلي أو تتعرف علي . . بل شكرتني
 على إسعافك وعرضت على استعدادك لمعاونتي وخدمتي . . فلما قلت . .
 لست في حاجة إلى عون إنسان ما . . . وتنهيت عنك فلم تحاول أن
 تتبعني . . فضحك في براءة وقال . . في الواقع تبعتك دون أن تدري
 لكن لم أراستك فقط . . . وعن عمد طرقت كوخك في صباح اليوم
 التالي لأعرف كيف تعيشين ومع من ؟ وطلبت كرب ماء وكأني عابر
 طريق فذاولتني كوب اللبن وقالت : إن لبن الماعز ري لمن يعوزه
 العطش في كل حين . . وحمدت الله لأنك لم تتعرف علي وارتضيت بأن
 أحميك من كل معد أتيه فقالت : حتى هيا الله لك هذه الفرصة بصدد
 ذلك الشاب الوقح المسمى محسن بك الذي كان يريد . . . فقاطعتها
 كنت على استعداد لقتله في كل حين . .

وسمنا . . استأذنته لكي تمام . . ثم عادت لتسأله . . إلى متى
أمكث هنا لا أريد أن يطول مقامي . . وغرفة الحارس تضيق بنا . .
فقال . . لقد أعددت لك كوخا في مكان أمين وسوف أنقلك إليه في
المساء . . لكيلا يتعرف عليه اتباع محسن اللعين

* * *

كلف محسن أنبأه بالتجول في جميع المزارع للبحث عن خضفاء
لإعتقاده أنها لا يمكن أن ترحل بقطيعها إلى المدينة وفي المساء نقلها
العابر إلى كوخها وبعد أن هيا لها أسباب الراحة والنوم تركها ليستفر
حيث يريد . . ولم يلاحظ أن هناك رجل يختفي بحيث يرانب الراعية
دون أن تراه . . واتخذ العابر منامة بقرب كوخها . . وفي منتصف
الليل تنهت الطفلة تبكي ولما تحسستها الراعية وجدت أنها في حاجة
لتغيير ملابسها المبللة بالماء . . فغيرتها وهذا وجدته أن العابر نسي أن
ينقل إليها وعاء الماء وهي في حاجة إليه في التوازي ل اثر البول من الطفلة . .
وتذكرت أنه أخيرها بوجود بر غصص الباء بوسيلة الشادوف
إلى المزرعة . . فخرجت لتملأ القدر وبدأت الطفلة تصيح فتنبه العابر
وأسرع إليها خشية أن يكرن حدث للراعية ما أفزع الطفلة . . فوجد
الطفلة وحدها ولمح الراعية في الطريق إلى البر . . وعلى صياح الطفلة
تنبه تابع محسن فأسرع إلى الكوخ بدعوى أن يؤدي خدمة للراعية
وكان لم يرها وهي خارجة لأنه يختفي في جهة أخرى وعندما دخل
الكوخ قائلا . . أنريدين أي خدمة يا أختاه . . أجاب العابر . .

من أنت يا رجل ولماذا تجرأ على اقتحام خباء زوجين ؟؟ .. ودون
ان يتكلم فر وسرعان ما ذهب إلى محسن وأخبره أن زوجها يقيم معها
في كوخ انتقلا اليه في مزرعة جاره .. وتشاور معه فيما يجب عمله
ليخلص من زوجها فقال التابع في مقدورى أن أقضى عليه بضربة سكين
ثم أرميه للكلاب وسط مزرعة الجار .. فوافق محسن لقاء مكافأة
كبيرة لو نفذ ذلك .. وعاد التابع مسرعا وهجم على العابر بسكين
ليقتله وقبل أن يرفع يده هجم كلب القطيع عليه وقبض على ساقه
بأنيا به فصرخ التابع مستغيثا بعد ان رماه الكلب على الأرض ..
فأشفق العابر عليه وخلصه من الكلب وتحول عنه ليحضر له كوبا من
اللبن بدل الماء .. وانتهر التابع الفرصة وفر هاربا .. ولما حضرت
الراعية لم يشأ أن يخبرها العابر بما حدث لكيلا ينزعها واخيرها انه
حضر عندما سمع صراخ الطفل .. وغادرها .. وفى الصباح جاءها
العابر ليخبرها أنه مضطر الى السفر حيث وصلتته رسالة من زميله
ليخبره بأنه اتفق على تحويل قصر المرحومة والدته الى مؤسسة لايواء
العجزة بناء على رغبته ولكن يتحتم حضوره شخصيا لتوقيع عقد
الاتفاق مع المختص فى الوزارة .. والآن استودعك الله الى حين ..
والله كفيل بأن يراك وأنا مطمئن الى قدرتك على حماية نفسك ..
وكان احتفظ عندها بصندوق مغلق فاستأذنها بتغييره لابسها اذ لا يجوز
ان يظهر فى المدينة بزي العابر .. وغادرها متجها صوب طريق
يوصلها إلى محطة الانوبيس ولم يتنبه الى الرجل الذى يتبعه بعد ان
استرق السمع عند آخر كلماته حين أوصاها بحماية نفسها وفى الوقت

الذى انتظر فيه العابر السياره التى نقله الى القاهره كان التابع اسرع الى محسن وأخبره بما جرى وسرعان ما ركب سيارة ليلاحق بالعابر مع رفيقين بعد ان ارتديا ملابس فاخرة وعندما هم العابر بركوب الأتوبيس اصطدم به أحدهم ونشل محفظته ولم ينتبه العابر الى فقدتها إلا عند دفع قيمة التذكرة .. ولم يصدق الكسارى ان محفظته نشأت لخلو هذا الطريق من النشالين واران أن يسوقه الى الشرطة لولا تدخل تابع محسن فأعطى السائق المبلغ مدافعا عنه .. وعند نهاية الخط وترجل الركاب جميعا .. تقدم التابع الى العابر وسأله .. اظنك فى حاجة الى نقود لقضاء مهمتك فقال العابر .. فعلا .. فهل لك أن تفرضنى ثمن تذكرة القطار على أن أردّها اليك اذا كتبت مسافرا الى المدينة معى .. فقال التابع .. بكل سرور .. وعلى كل حال ما زال هناك متسع من الوقت .. فاحفظ هذه الحقيبة معك .. ريثما أقابل صديق لى على موعد سابق معه .. فتسلم العابر الحقيبة ومكث ينتظر عودته .. واختفى التابع عن ناظريه وركب السيارة التى كانت تسير خلف الأتوبيس وتوقف عند مركز الشرطة القريب من المحطة وتحدث إلى رئيس الشرطة فى حذر لكيلا يسمعه أى احد .. وفوجئ العابر بالمباحث تأمره بفتح الشنطة وعندما يأتى لأنها لا تخصه وهى أمانة لديه ريثما يعود صاحبها حالا .. ولكن الضابط ينتحبها وينزع الابر عندما يجد بها مخدرات ويحاول اقتناع الضابط بعدم معرفة ما بداخلها ويقص عليه ما حدث بينه وبين صاحبها ويساق الى السجن بتهمة احراز مخدرات ولعدم ظهور صاحبها كما ادعى ، وفى

الغرفة التي ينام فيها دار الحديث بينه وبين أحد المسجونين وكان
 أحدهم عاملاً في مزرعة محسن بك قص عليه سبب دخوله السجن إذ
 كانت امرأته تتردد عليه لتجسس له الطعام فرآها محسن بك فطلب
 منه أن يسمح لها بالخدمة في قصره فوافق ولم تمر أيام حتى صارت
 الزوجة زوجها العامل أنها لا تريد أن تشتغل عند محسن إذ أنه يحاول
 الإعتداء على شرفها . . . وحفظاً على شرفه منعها من العمل عنده ولما
 استدعاه محسن وسأله عن سبب امتناع زوجته عن العمل لم يشأ أن
 يصارح، وادعى أنها مريضة . . . فعرض عليه علاجها ما دامت تعمل
 عنده فهو مسئول عنها . . . فأبى الرجل ولما أصر محسن على ضرورة
 عودتها إليه إذ علم أنها ليست مريضة اضطر أن يصارحها بأن حالتها
 الصحية لا تساعد على العمل مطلقاً وكانت زوجته أخبرت جارتها
 بما دار بينها وبين محسن والجارة أخبرت زوجها الذي يعمل عند
 محسن وهو أحد المقربين إليه والحاquدين على العامل . . . واستدعى
 محسن العامل وكنهه بمساعدة عامل آخر وعندما بدأ العمل معه شاكسه
 وناوشه وضايقه واتهم زوجته بأنها غير شريفة وفقد العامل وعيه
 وعندما هم بضربه . . . ابتعد عنه وجرح نفسه وراح يستغيث كأن
 العامل هو الذي أسال دماءه وحضر رجال الشرطة على أثر الاتصال
 بهم تليفونيا من بيت محسن فوجدوا سكيناً ملقاة تحت قدمي العامل
 كأنها وقعت من يده وشهد بعض أتباع محسن بمحاولة العامل اغتيال
 زميله لولا تدخلهم بعد استغاثة الزميل وانتهت المحاكمة بإيداعه
 السجن ولكن الله سبحانه وتعالى انتقم من الجاني إذ شبت النار في بيته
 وماتت ابنته في التوشووت الحريق وجهه ويديه ولم يعد صالحاً

للعمل . . ولما تنبه ضميره بعد أن صار أحد زملاءه بأن ما حدث له عقاب من الله لأنه افترى على زميله البرى، وكان سبباً في سجنه ذهب إلى العامل في السجن لزيارته ولكي يطلب منه المغفرة ويخبره بأن محسن هو الذى كلفه بتدبير ذلك انتقاماً منه . . على مسمع من العابر الذى تألم له كما أدرك أن ما حدث له لا شك أنه بتدبير من محسن أيضاً . . وهنا كلف الزائر أن يذهب إلى صديقه المحامى وكتب على عتبة السجائر الذى كانت مع الزائر بعد أن استهאר قلباً من الحارس الذى توسم فيه الطيبة منذ دخوله السجن .

وفوجئ صديقه بهذا الخبر من الرسول الزائر . . فأسرع باستخراج تصريح رسمى لزيارته . . وعلم منه ما جرى . . وتطوع بالدفاع عنه مع الدفاع عن زميله السجين مستشعراً بالزائر المصائب الذى أبدى استعداداً بإعلان الحقيقة مع زملاء من العاين الذين يخافون الله وهم ناقمون على محسن لسوء سلوكه . . وطلب العابر من صديقه المحامى أن يذهب إلى الراعية ويخبرها أنه مضطر للتغيب لانجاز عمل يتعلق بمصير قريب له راجياً منه ألا يشير إلى تهمة وسجنه لكيلا يزعجها ثم خلع خاتمه الذى أهده لياه جدته قبل وفاتها وطلب منه أن يقدمه إليها أمانة ريثما يراها مع مبلغ المال تصرف منه على ابنتها من الأموال المودعة عنده أمانة تحت الحساب .

وفى خلال تغيب العابر تشعر الراعية بفراغ هائل ووحشة قاتلة مقارنة بينه وبين محسن وهكذا يزداد تعلقها به يوماً بعد يوم فى حين

تزداد كراهيتها لمحسن الذي يحاول التغرير بها يشقى الوسائل وهي تصد أنا
وتهرب كلما أتيح لها الحرب إذا وقف في طريقها . . . واثناء جميع
الأعشاب من المزرعة لغنائها ذهب صديق العابر (أمين) الحامي إلى
الكوخ ليقابله فلم يجدها ولكنه يجد الطفلة فيداعبها ويسأل عن اسم
أمها واسم أبيها ويدهش عندما تذكر أن اسمه بابا نادى فيظن أن صديقه
زوج هذه المرأة ومن أجلها اختار هذا المكان مقاما يعيدا عن المدينة
وعارفيه ولم يطل مقامه إذ تقبل الراحية فتسأله بلهجة جافة عما يريد
إذ يتبادر لها أنه من اتباع محسن وقبل أن يتكلم يتقدم إليها رسالة صديقه
[نادى] مع الخاتم لتطمئن فترحب به وتسأل . لقد طال غيابك ألم يحن
إلى الطفلة التي تسأل عنه وتتألف لرؤياه فيجيبها . . . إن شاء الله يعود
قريبا وعندما يقدم إليها النقود تقول . . . لست في حاجة إليها وإزاء
تصميمه تقول . . . إذا تهنأت اشترى ملايس جديدة وحلوى بمناسبة
المولد النبوي بقدر ما تسمح به هذه النقود لتوزيعها على أطفال أبناء
هذه الضاحية الاحتمال بالمولد مع صغيرتي . . . فيقول : سأحضر الطلوب
وأرجو أن يعفو الله عن زوجك ليحتفل بهذا العيد المبارك معك
فتنظر إليه دهشة لاعتقاده بأن العابر زوجها وتفكر ما عساها تقول .
أتؤكد ذلك أم تنفيه فلمعه ادغى ذلك ليهيب يصاحبه إلى ضرورة
الحضور إليها وتأتي أن تكذب . . . كما تخشى مغبة تكذيبه فتفكر في
مخرج وقبل أن يتكلم ينظر إلى ساعته ثم يقول . . . يجب أن أسرع
للحاق بالقطار . ثم يقبل الطفلة وهي تقول . . . قل لبابا يحضر حالا . .
ويصافح الراحية . . . ويهرول مسرعاً في طريقه إلى الانوبيس . . .

ويعود إلى زيارة العابر [نادى] في السجن يعد أن استصدر أمراً
بإعادة التحقيق ليتمكن من المرافعة وتقديم مستندات جديدة . . وبدأ
حديثه معه عندما قابله بالتهنئة على زواجه عاتبا لإخفاء ذلك عنه . .
ويكذب العابر هذا الزعم ولا يمكن الصديق يؤكده له بحديث ابنته
ونظرات الراعيه التي تتم عن شوقها ولحفتها لرؤياه واهتمامها البالغ
بالسؤال عنه وضرورة عودته ويبتسم العابر ويقول أنه لم يتزوج بعد
فيضحك الصديق مداعبا . . والطفلة . . هل ابنتها من رجل تزوجته
قبلك . . فتبذيتها أنت من أجلها ؟ فيقول العابر . . صدقنى . . وقبل
أن يكمل حديثه . . يعلن الحارس انتهاء الزيارة فيضطر الصديق أن
يخبره عن مجرى القضية ليطمئنه . . وتمر الأيام والمحامى يوالى باهتمام
بالقضية مع قضية زميله المتهم معه فى هذا الوقت لم يستطع بحسن
التأثير على الراعية كي تخضع له وتقوى رغبته فى ضرورة السيطرة
فيسافر إلى المدينة ليقابل صديقا له يجيد إغراء البريئات لكسب المال
وينغضى إليه بضرورة الحصول على الراعية بأى ثمن ويتركه بعد أن
يطمئن إلى قدرته على تنفيذ رغبته ولا يكي يساعده على تأدية مهمته
بخبره بما عرفه من تابعه الذى يتحرى أخبار العابر فى السجن أن له
محاميا يهتم بأمره ويتولى الدفاع عنه وقد زار الراعية أكثر من مرة
موفدا من قبل العابر .

وفرجئت الراعية برسالة يحملها إليها رسول لم تره من قبل بدغوى
أنه كان عند المحامى بشأن قضية ما وقد قابل بالصدفة زائرا عند هذا
المحامى ولما علم هذا الزائر أننى مضطر إلى الحضور لهذه الضاحية

وأنتى سأمر فى طريقى كلفنى بتسليم هذه الرسالة إليك . . وقد أدت
الامانة . . وتركها دون أن يترك لها فرصة السؤال عن صاحب الرسالة
فلما فاضتها قرأت فيها . . عزيزتى الراحلة . .

كنت أتمنى أن أحضر بنفسى ولكنى فضلت ألا أحضر إلا بعد
انجاز المهام التى أقوم بها لكيلا أتركك بعد ذلك وبمناسبة حفل
قران صديقى المحامى الذى حضر إليك فأرجو الحضور لتتقنى بجانبى
للقيام بالواجب نحوه وأنا فى إنتظارك إذ عندى ما يهمك معرفته . .
أتركى ابنك عند الفلاحة صاحبتك وكلفيها برعاية القطيع ريثما
تعودين ولها أن تتصرف فى اللبن لحسابها وإلى اللقاء يا حبيبتي . .
أبو نسمه وكان هذا اسمه الذى ينادى به . . ملاحظة ستحضر
إليك خادم صديقى المحامى اذ لم أشأ أن أرسل اليك أحد العاملين
معه لكيلا يراك أهل سوء فى الطريق معه فيسيئون الظن بك . .
وعلى أثر انصراف الرسول تحضر اليها الخادم قائلة . . أنا تحت
أمرك . . السيارة فى انتظار سيدتى لنذهب الى الحفل . . فترافقها
دون أن يخامرها أى شك وان كانت توجست خيفة من أن يراها
أحد معارفها أو مطلقها فى الحفل . . ولذلك بدا عليها الاضطراب
والقلق رغم سعادتها بلقاء العابر . . وعندما دخلت البيت وجدت
حفلا راقصا واستقبلتها امرأة مرحبة كأنها أخت المحامى واختات بها
بعيدا عن المدعوين ولفتت نظرها بضرورة تغيير ملابسها لكيلا تلنث
النظر وترددت الراحلة ثم توافقت ريثما ينتهى الحفل وتغيرها المرأة
ثوبا يكشف عن ذراعيها وصدرها وظهرها فاتهمش وتمفر وترفض فى

أصرار ارتدائه فتؤكد المرأة أن جميع ملابس المدعوات كما ترى هكذا
وليس في الحفل من يعرفها فتبدي اهتمامها وحياءها وتسألها عن العريس
الحامى لتقدم إليه التهنئة وتحاول أن تراقب من بالحفل عسانا ترى نادى
وتدرك ذلك المرأة فتقول . . سأتركك لترتدى هذا الثوب وسوف
أرسل إليك العريس وقبل مغادرتها يدخل محسن متجاهلا رؤية الراحية
مخاطبا المرأة . . أنا سعيد اليوم للهبة العظيمة التي قام بها شقيقك . .
فتسأله . . ترى ما هي ؟ فيقول . . أزال سرور التفاهم الذي كان بينى
وبين صديقه أبو نسمة وبذلك أصبحنا أصدقاء وقد وعدنى بالتخلي
عن الراحية وإن يعود إليها . . وتحضر الخادم التليفون إلى الاخت
قائلة تليفون لحضرتك . . وتصغى المرأة للتمكلم . ثم تبدي هلعها
وفزعها مخاطبة محسن أخى . . وأبو نسمة . . فيبدي ازعاجه قائلا .
ماذا . . لقد خرجنا لحضور العروس من بيت أسرتها . . فترتمى
المرأة صارخة بصوت مخنوق قبل أن يصل إليها اصطدمت السيارة لشدة
سرعتها فمات مرافقهما في التو وقد قبض على الحامى وصديقه . . ويشهد
هلع الراحية وتنهار اعصابها إلى درجة تعمى بصيرتها فلا تتبين ماحولها
ويلاحظ ذلك محسن . . فينبهها بالمنبرات بعد أن يشير إلى المدعوين
بالانصراف وبعد أن تستفيق لا ترى أمامها غير محسن فتغضب قائلة
أين أخت العريس . فيجيبها محسن وهو يتقرب إليها مصطنعا العطف . .
لقد انصرفت لترى شقيقها ولم يبق الاى لأن هذا البيت ملكى وقد
استأجره الحامى هذه الليلة لهذا الحفل . . وها أنت أصبحت لى
وحدى يا حبيبتي . . دعك من الاغنام والحرام والتعشف والنمقر . .

تمتعي معي بما يستحقه جمالك ويحاول أن يطوقها بذراعيه فترده في
احتقار وبعد فشله في السيطرة عليها يحاول اغتصابها رغم أنفها . .
وعندما تهم بالصراخ والاستغاثة . . يؤكدها قائلاً : لا فائدة ويحاول
أن ينقض عليها كالوحش ولكنها تدفعه في عنف فيرتدى على الأرض
وهي تصرخ وتستغيث غير آبهة بتهديده . . وهنا يترامى صوت
استغاثتها إلى ضابط كان يمر أمام الدار فيطرق الباب بشدة وعندما
يعلم أنه الشرطة ينتصب محسن كالمجنون ويمزق ثوبها ليكشف عن
جسمها قائلاً . . استسلمي الشرطة وحدك . . أنا رجل . . وأنت
التي جئت طرغاً إلى بيتي وعندما يكسر الضابط الباب يسرع هو
بالخروج من النافذة وتفاجأ بالضابط فتلف جسمها بمنفرش كان على
المنفذة ويسأل الضابط ممن تستغيثين ؟ . . فتقول . . فاجأني ثعبان
التف على ثوبي مما اضطرني إلى تمزيقه خشيعة لإذائي وراحت تنظر إلى
النافذة وهي تقول . . لقد خرج من النافذة . . فبدأ الضابط روعها
قائلاً . . وهل أنت وحدك هنا . . قالت جئت لزيارة صاحبتى وقد
خرجت لشراء الطعام لأن خادمتها في إجازة لمرضها وقد غابت . .
وعندى طمنلة في حاجة إلى الآن وقد استأذنتها في ترك المنزل إذا
تأخرت فوافقت وأرجو أن تتفضل بمرافقتي حتى محطة القطار لأنها
احترقت هنا بسيارتها فيوافق وتضطر إلى البحث عن ملاءة سرير
بيضاء تلفها حول جسمها على طريقة الساري . . ويتركها الضابط
تنتظر القطار حسب رغبتها . . ويمر الوقت وهي سارحة في العابر
الغادر كما صرح بذلك محسن وآله الحال في السجن بسبب حادث

الميت ثم تنبيه على صوت عامل المحطة وهو يقول : لقد انقمت مواعيد
 قيام الاتوبيسات يا ست فتسأله عن ميعاد أول أنوبيس يقرم إلى
 ضواحي المنصورة . . فيقول . . صباحاً فاذهبي إلى بيتك لأنني
 سأقوم بغسل المحطة وتنظيفها الآن أو استريح في استراحة السيدات
 إذا صعب عليك العودة لدارك . . فتنصب في أعياه لتتجه إلى
 الاستراحة ولم تسكد تسترد أنفاسها حتى تغفو . . ولم تستيقظ إلا
 على تنبيه امرأة توظفها قائلة . . إلى أين ذاهبة يا أختاه فتجيها إلى
 ضاحية بقرب المنصورة . . فتقول المرأة إذن الحقى أول أنوبيس انه على
 وشك المسير . . وقبل أن تصله يتحرك ويسير بسرعة قبل أن تبلغه . .
 فتقدم اليها المرأة . . يبدو عليك أنك طيبة . . وبدل أن تتكلم
 انهمرت دموعها حتى غسلت وجهها فعطفت عليها المرأة قائلة . . فوضى
 أمرك لله . . بقى على ميعاد الأنوبيس الثاني مدة تكفى لزيارة ضريح
 شيخ مبارك على مقربة من هنا فتعالى معى نزوره واستعيني به لتفريح
 كربك وإزالة همك . . فنظرت اليها الراحية في حزن وأسى وقالت . .
 لا استعين إلا بالله وحده . . انما لا خير من زيارته ما دام ولياً
 صالحاً أدعو الله في ساحته ليظهر الدنيا من الآثمين وهناك ترى جماعة
 من عشاق هذا الولي ومريديه حيث توفى قريباً وقد عاصروه وشاهدوا
 إيمانه وتفضل الله عليه بتقريب روحه اليه بالكهف أحيانا عما
 يحدث لمريديه .

وفي حذر وحيلة تتخذ الراحية طريقها إلى كوخها في غير الطريق
 المألوف لحسن ولم تسكد تستقر بكوخها حتى تغرى العلاء وزوجها

على معاشرتها لقاء ما تمنحهما من ألبان الماعز ولا تدع لنفسها غير
ما تحتاج إليه مع طفلتها تاركة لهما استعمال اللبن في صناعة الزبد
والجبن . . وبذلك لا تخلو بنفسها فلا يجد محسن فرصة لمطاردتها في
خلال هذه الأيام يهدم الأوبيس أحد أتباع محسن فينتقل إلى المستشفى
ويقرر بتر ساقه وتركيب ساق صناعية تتكلف مبلغاً من المال والاستعانة
بركيزة من الخشب للسير بوسيطتها . . ولاعتقاد المصاب بأن ما قدمه
من خدمات لمحسن تستحق مكافأة تزيد عن المبلغ المطلوب أرسل إليه
رسولاً يطلب منه بمن الساق الصناعية . . فيرفض محسن قائلاً . .
كثير من أصيبوا يسرون على الركيزة فليعود لأن حالتي المالية الآن
بعد تحديد الملكية لا تسمح بدفع هذا المبلغ ويبلغ الرسول المصاب
حديث محسن ويتمتع هذا الرفض من نفس المصاب موقعاً يشير كراهيته
لمحسن ويعترف لصاحبه الرسول أن ما حدث له كان بسبب قيامه بمهمة
خاصة بمحسن فيها ضرر شنيع لمن لا يستحق الضرر وإطالمهم
بمهمات له عادت بأضرار جسيمة وخطيرة على من رقعوا فريسة
مطامعه الأثيمة أو المادية الجائرة ولم يشأ أن يذهب إلى بيته وقال
لصاحبه لقد بتر الله ساقى لاني كنت أساعده في تنفيذ جرائمه وترويح
فجوره وأخشى أن استمر فيبتر الله ساقى الثانية فلا كفر عن آخر خطيئة
لي عسى الله يغفر لي .

وذهب إلى النيابة وأدلى بأقوال ساعدت محامي العابر على إثبات
براءته وبرائة زميله في السجن . .

وتشجع الجبناء على الاعتراف بحوادث المؤامرات والاغتيالات
التي صيغت بتدبير محكم تنفيذا لرغبات محسن بك الذي لم يقنع بالشراء
الوفير بل اغتصب كميرات من البريئات الفقيرات اللاتي دفعهن العوز
والحاجة إلى الاستسلام له تحت تأثير مخدر الجاه والمال الكثير .

وحكم بهرارة العابر [نادى] وأراد المحامي أن يحتفل بهذه البرامة
فطلب منه أن يوجدها ريثما يذهب إلى الراحية ويحضرها للمشاركة هذا
الحفل . . ومن شدة شوقه إليها يستأجر عربة خاصة على أمل أن يعود
برفقتها مع الطفلة إلى صديقه كما وعده ولما وصل إلى كوخها وجد
الطفلة جالسة مع الفلاحة تسقيها اللبن فلما وقع نظر الطفلة عليه
أسرعت إليه مبهلة منادية . . أبي . . أبي . . وتلفت ليرى الراحية فلم
يجدها فلما سأل الفلاحة قالت لقد حضرت سيدة واختلت بها بعض
الوقت ثم ذهبت معها بدعوى أنك مريض في المستشفى وقد طلبت
رؤيتها ونحشى أن تحتضر دون أن تراها وانتابه الوجوم
وملكته الحيرة واستولى عليه سوء الظن وخيل إليه أن مطلقها اغتدى
إلى مكانها فلانق هذه المؤامرة ليحيدها إليه أو عل والدها استطاع أن
يبتدى إلى مكانها فأرسل إليها زوجته بعد أن عرف مكانها أو لعل
محسن دبر مؤامرة لاختطافها . . ولم يشأ أن يستسلم لليأس وحاول
التأكد من ذهابها إلى بيت أبيها وكان عرف من سياق حديثها معه مقره
ورأى لا بد من الحيلة لكيلا ينتضح أمره فاشتري فاكهة وضعاها في
سلة فوق رأسه ليظهر بمظهر بائع متجول وطرق باب مسكن والدها
وتننى لو تفتح له هي إطمئن قلبه . . ولكن زوجة أبيها فتحت الباب

وعرض عليها فأكهته ولم يبالغ في الثمن فأعجبها الثمن والتنوع فوافقت
على الشراء وفي بطنه وهو يختلس النظر داخل المصك انتقى الجيد
وطالب كوب ماء عسى الراعية تحضره عندما تسمع صوته ولكن
الشغالة أحضرت الماء بأمر السيدة واضطر أن ينصرف أسفاً حزناً ..
ووزع النماكة على الصغار الذي توسم فيهم العوز والحرمات .. وجلس
على مقهى يفكر في وسيلة تهديه إليها وبعد تفكير اشترى جلياًباً
جاهزاً مقاس الراعية وطرق باب والدها ففتحت الخادم فسألها عن
السيدة حسناء وسمعت الزوجة ذاك نخرجت إليه فقالت لها : منذ أكثر
من عامين حضرت إلى واعطتني هذا القماش لأحيكه ثوباً لها وبعد
أسبوعه بأيام مرضت مرضاً منمناً من العمل واضطرت إلى غلق المحل
ريثما أتعافى ولكن المرض اشتد وطالت مدة العلاج حتى تماثلت للشفاء
ولما فتحت المحل بعد أكثر من عامين وجدت العامل الذي كلفته بإعادة
القماش لأصحابه وتسليم الجاهز لآء حبابه نرى تسليم هذا القمستان لآء
كان في فاترينة مغلفة بالمفتاح حرصاً عليه إذ أخبرني صاحبه أنها قد
تصافر إلى الخارج فاذا لم تحضر في الميعاد احتفظ به ريثما تعود ..
والآن ما عساي أفعل ؟ ولا بد من تسليمها القمستان وتكف الزوجة
الحزن وتتهمد في ألم قاتلة .. لقد ماتت منذ أعوام وأخذت منه القمستان
فلما طالبتها بأجر الحياكة مع مبلغ متأخر عليها من قبل .. رمت الحلباب
في وجهه وأغلقت الباب ووقف يسترق السمع حينما ترامى صوت
والدها من وراء الباب بعد غلقه وهو يقول .. حرام عليك أليس
من المحتمل أن تكون على قيد الحياة ؟ وراح يردد اسمها في حنان ..

حسنا . . حسنا أين أنت يا حبيبتي . . فتشور الزوجة ساخرة
قائلة اشتاق لرؤية من وضعت رأسك في الوحل فلم يتأثر الوالد من
سخرتها وراح يهيم بنفسه . . أنا السبب في شقائها وتشردها يودي
لو أتنازل عما تبقى من عمري لتصفح عني فأنا سبب نكبتها فيا ترى
أين أنت يا قرة عيني . . وتنبه حنينه في عنف فراح يلطف من حديثه
بالبكاء كانه طفل فقد أمه ويبكيها لأول مرة والزوجة تهزأ منه وتقول
له أنها تعيش مع بنات الهوى فقد رآها مطلقها أكثر من مرة في أماكن
موبوءة فلما وقع نظرها عليه هربت قبل أن يلحق بها ويقبض عليها . .
فزاد مشاعر الوالد بتجسيد جريمته نحو ابنته التي تغاضى عن حمايتها
والذود عنها ويؤكد لزوجته أن مطلقها كاذب مفترى وقد ثبت أخيراً
بعدم أن افترقت ابنته والأسفاه أنها كانت على حق وهو المجرم الآثم . .
لقد جنى عليها وعلى . .

ويود العابر (نادى إلى بيت صديقه المحامى . . مخبولا مهموما . .
لا يدري ماذا يصنع ومربخاطره مطاردة محسن لها ويصر له الشيطان
بوقوعها في هيدته وليس معها من يحميها وقد اغتصبها رغما عنها ثم
نبذها . . خافت أن يفتضح أمرها فساقها الشيطان إلى الأماكن
المربوة لتنتقم من الرجال كما تفعل كل امرأة يدفعها الرجل إلى الفساد
قهرأ . . وقد يكون مطلقها رآها حتماً . .

ويعتزم أن يعود إلى كوخها للتحري عنها في دقة عساها اشتاقت
لابنتها وعادت لتطمئن عليها ويهيب على صديقه المحامى أن يتركه

يذهب وهو مشحون بانفعالات قاله قد تقضى عليه في الطريق فيرافقه
ليكون عليه في الطريق وليبحث معه عنها لأنه موقن كما صارح بأنها لن
تستسلم للرديله بأي وسيلة ومن المحتمل أنها تختفي في مكان ما بعض
أيام لتضلل بمحسن لكيلا يعثر عليها حتى تجد وسيلة للتخلص منه
نهائياً ريثما يدينه القضاء بسبب اقترافه الجرائم التي حدثت بأمر منه
وفي طريقهما لمح رجلًا يقرب من الكوخ كأنه يترقب إنسانًا ما على موعد
معه ويتقدم منه المحامي ليسأله عن المكان الذي يقيم فيه راعية هنا
متكلمًا تجاهل كوخها فيحييه الرجل وهو يتلفت يمينًا ويسره كأنه
يخشى أن يسمعه أحد . . لقد كانت تعيش عند محسن بك ثم هربت
من عنده وهو الآن يبحث عن مقرها لأنها لم تعد للكوخ وعندما
يسمع العابر ذلك يزداد هلعاً ويعرض على رفيقه فكرة يوافق عليها
وأم يلبث حتى نفذها وقابل بستاني حديقه محسن بصفته بائع شتل
زهور ليتفق معه على ما يريد ويتفق معه البستاني على ما يطلبه وعند
تسليمه المطلوب لا يبالغ في الثمن ليغري البستاني على مصاحبته للتعامل
معه دائماً لكي يرجح من ورائه وفي خلال حديثهما حول ما يشاع عن
محسن ومبالغته في علاقاته النسوية فينفذ لآيئه البستاني بما يعرفه عن
آخر علاقة له مع راعية استطاع أن يجذبها إليه وهي تقيم معه الآن
في مسكنه الخاص في إحدى ضواحي القاهرة بعيداً عن زوجته التي
تقيم في القاهرة لتعيش بحريتها وعندما يسأله عن عنوان مسكنه الخاص
إذ لا شك أن به حديقه وله نصف ربحه فصارح أنه يخشى مكان هذا
المسكن لكيلا يتسرب الخبر إلى زوجته لأنها تستعين ببعض الخدم

المقربين إليها لمعرفة أخبار علاقاته مع النساء . . ويرداد بأس العابر
ويماود التفكير وبينما يطالع صديقه الجريدة يلفت نظره إعلان منوم
مفناطيسي ولكي يهون عليه يداعبه لقد وجدتها . . وكأن العابر
كان مسجوناً ثم تحرر بمعجزة وقال . . أين . . فقال المحامي . . ذهب
إلى المنوم المفناطيسي وبوسيلة يمكن معرفة مقرها . . وبالرغم من
خفية أمله بعد تفائله بتصريح صديقه بهذه المفاجأة . . فقد وافق . .
وذهبا إلى المنوم الذي أدلى بتصريح لا يحدد مكان إقامتها . . وقال . .
لقد استولى عليها رجل مخامر مستهتر ولكنهما هربت وهي تتنقل من
مكان إلى مكان وفي هذه اللحظة تسير في الطريق المتجه إلى مسجد
الحسين رضي الله عنه وعند انصرافهما قال قد تغير الطريق
بعد لحظة . . . الله معك . . وصافح العابر مردفاً إذا لم تجدها يمكنك
تدويرها بخير منها . . هكذا يفعل الأزواج دائماً عندما . . فقاطعه
العابر . . لا ياسيدي . . إنها غير النساء . . فبرز المنوم رأسه ساخراً
منه . . واتجه صوب مسجد الحسين رضي الله عنه وكل منهما يبحث
بنظريه عما هما تسير وسط الازدحام الذي يخفي بعض الأجساد فلا
تظهر إلا بعد الدنو منها حيث كانت مباهج الاحتمال بذكرى مولد
النبي ﷺ . . ووجد العابر نفسه مشدوداً إلى مقام الحسين فأبدى رغبته
لصاحبه للطواف حرله ضارعا إلى الله تعالى أن يجمع بينهما . . وبعد
الطواف والدعاء خرجا ليتابعوا البحث وأمام باب المسجد . . ملح
رفيقه امرأة تهلع حذاءها لتدخل المسجد وعلى وجهها خمار أسود
يخفيه . . فبرز كنف العابر أيوجه نظره إليها فاذا بها ترفع وجهها

عليه وفي غمرة المشاعر المكبوتة الخفية .. صاحبت بصوت الغريق
الذي انقذه الله .. نادى .. وأسرع بلهفة المأخوذ يشد يدها
وبصرت مخنوق صاح حسناء وقبل أن يغادرا المسجد .. قامت
بزيارة الضريح شاكرة الله سبحانه وتعالى على انقاذها وعودة العابر
إليها وقبل انصرافهما استوقفهما صديقه قائلاً .. إلى أين تذهبان ؟
قالت الراحية .. إلى كوسنغ وقال العابر وأنا معها لكي أحميها فقال
صاحبه .. يجب أن تكون هذه الحماية رسمية لكيلا يعتد عليها
ولن يكون لك الحق الشرعي في حمايتها إذا كان المعتدى طاغيا
حائراً لا يقيم للدين وزناً مثل محسن .. لقد اقتضى الله منه وحكم
عليه بالسجن مع إيقاف التنفيذ لأن التهم المنسوبة إليه استطاع أن يشرك معه
الآخرين الذين قاموا بالتنفيذ .. واعتقد أن يتورع مطلقاً في مطاردها إذا هتدى
إليها .. لذا أرى ضرورة عقد قرارنا الآن في مسجد الحسين رضي الله عنه ليجمعه
الله زواجاً مباركاً بإذن الله .. كما أرى أن تمكثا في القاهرة لكي تتمكن
من اتمام دراستك واعتقد أن زوجتك سوف تشجعك على ذلك ..
فوافق العابر قائلاً .. إن شاء الله ولكي يفقد محسن الأمل في معرفة
مقرنا لكيلا يشوه جو سعادتنا بأوامرنا .. وسأل الراحية : ما رأيك
بأم واحد .. إذ تركت الدراسة وأنا في الرابعة زراعة ولو لم يحدث
ما حدث لكنت تخرجت مع صديقي .. فقاطعه .. ولكن دراسته
تتخالف دراستك .. قال انه رفيق طنواني وصباي وقد تعاهدنا ألا
نفترق مهما اختلفت ميولنا في الدراسة .. وقد اتجهت للزراعة تحت
درغبة أمي أعني جدتي .. لكي استرد أرض والدي رحمه الله الذي

تستولي عليها عني بدعوى أن والدي كان مدينا له بمبلغ يماثل قيمة هذه
 الأرض على أن قريبا لنا أثبت لي أن عني انتهز فرصة طفولتي وجهل
 أمي وادعى ذلك بمسند مزور وقد سلمني هذا القريب فعلا ما يثبت
 صحة التزوير وترددت مع أمي (جدي) على الريف في كل عطلة
 دراسية أحببت الزراعة والإقامة في الريف وهز رأسه في مرارة
 قائلا .. إن ألسي مطلقا .. أن جدي هي أمي .. فإذا قلت أمي أعنيها
 رغم مشاعر البقرة نحو أمي التي هجرتني رحمتها الله .. قالت الراحلة ..
 لكن رغبتك لكن يتحتم أن نذهب لنحضر ابنتي فوافق وودع
 صاحبه على أمل اللقاء بعد عودته .. وعادا إلى مكانهما في المزرعة .
 واستودعت الراحلة القطيع الفلاحية أمانة عندها بدعوى أنها
 مضطرة لتضاء عام في القاهرة مع زوجها لإتمام دراسته ولها أن
 تصرف في القطيع تصرف المالك .. وعادا بمرافقة الابنة إلى بيت
 الجدة وقاما بإعداد له صلح لهما مع شراء أثاث جديد .. ومعنى العام
 ونجح نادى بتفوق .. واعتزم أن يرافقها لكي يذهب إلى بلدة أمه
 لكي يسترد أرض والده ولما سأله زوجته .. وهل في نيتك أن تقيم
 في الريف .. قل : لا .. إن استرد الأرض من أجل بل من أجل
 الفقراء من أهلي إذ سوف أتأزل لهم عنها إذ أمامي مهمة أكبر وأعظم
 ونحتاج لمجهود أضخم يتطلب منك معاويتي فمدت يدها تصافحه معاهدة
 لياه في صدق ويقين . وذهبا بعد أن أقنعها بضرورة استرداد الأرض
 رغم عدم حاجته إليها وما يحتمل أن يتعرض له من متاعب كخيلو قلب
 عمه من رحمة الرحم .. وعلى اثر وصوله استعان بمن يمكن الاعتماد عليهم

للوقوف بجانبه رقدتم لعمه مبلغاً من المال أكبر من قيمة الأرض ولم
يقادر الريف إلا بعد توزيعها على فقراء أسرة والدته مسجلاً تنازله
وعاد إلى المزرعة بعد أن أقنعته الراحلة بضرورة الإقامة في المكان
الذي تعارفا وتحابا فيه وكان لابد أن يقيم منزلاً صالحاً لإقامتها
وذلك يقتضى شراء قاعة أرض صالحة لذلك وعند ما كلف الفلاح
الذي استضافه من قبل بالبحث عن قطعة أرض لبناء منزل مع مزرعة
حوله .. أخبره أن ورثة هذه الأرض أعلنوا بيعها بعد وفاة والدهم
ليستغل كل وريث ثمن نصيبه فيما يريد وهكذا ساعده الحظ فاشترى
المزرعة المجاورة لمزرعة محسن . وسرعان ما ابتنى منزلاً فاخراً به
جميع الكماليات وبدأ يهيئ الأرض لزراعة الموسم وفق دراسته
الزراعية الحديثة معتمداً على الفلاح وقد عهد إليه استدعاء كل فلاح
هجر ضاحيته للبحث عن عمل في المدينة هرباً من تعسف الإقطاعي
صاحب الأرض وعدم انصافه وتقدير جهدهم . ومرت الأعوام
وأصبحت هذه المزرعة نموذجية وقد بنى فيها مساكن للفلاحين
العاملين فيها على حسابه الخاص . ورأت الراحلة أن عملها يجب أن
يتحول من رعاية الأغنام إلى رعاية البشر فأست جمعية أعضاها من
الريفيات التي تعهدت بتعليمهن وتدريبهن على استغلال المزرعة
والقطيع مع توفير أسباب الصحة والمعيشة والتعليم والوعي للأسر
الفقيرة وأبنائهم .

وفي خلال هذه المدة شبت الصغيرة - وحيدة - وأصبحت صبية
طالبة في الجامعة وكانت تذهب بعربة والدها كل يوم إلى الجامعة

بالمنصورة وفي يوم ما .. تمطلت العربية في منتصف الطريق .. وطال
بها الوقوف أمام الجامعة كماداتها تنتظرها .. وكان أحد الطلبة سبق
أن رآها وأعجب بها وحاول أن يتقرب إليها فأعرضت عنه إذ كانت
أمها زودتها بضرورة الحرص والحيلة وعدم الاستجابة لأي طالب
يبدى إعجابه بها أو التقرب منها وأنشأها على التمسك بتعاليم الدين
 وإقامة الصلاة وعدم تقليد الطالبات اللاتي يظهرن جمالهن ويتخذن
 المدنية وسيلة لإثبات شخصيتهن . واستطاع أن يتبع هربها بعربة
 والده حتى عرف مقرها وأسعده أنها تقيم في مزرعة بجوار مزرعة
 أبيه وقد بعث ذلك الأمل في نفسه إذ في مقدوره أن يلتقى بها في جو
 بعيد عن ضجيج الجامعة وأقاربها ولما حانت أجازة الصيف بدأت
 - وحيدة - تخرج إلى المزرعة لتعاون والدتها فيما تقوم به نحو أبناء
 الفقراء .. وراق لها أن تخصص لهم غرفة في أطراف المزرعة بعيدا
 عن المزروعات لكيلا يلعب الصغار في المزرعة كما لاحظت ذلك وبدأت
 تمرينهم على الألعاب الرياضية في الصباح الباكر في الأرض الخالية
 من الزرع ولم تدر أن هذه الأرض ملك والد الطالب وبذلك هيا
 القدر فرصة للطالب بأن يراها صباح كل يوم دون أن يشعرها بذلك
 خشية أن تراه والدتها التي كانت تشرف عليها أحيانا كلما سمح لها
 الوقت .. ولاعتقاده باستحالة استجابتها له صمم على أن يتقدم لوالدها
 بدعوى تطوعه في الإجازة للعمل في مزرعته ليتدرب عمليا لأن والده
 قد أصيب بالشلل وأهمل المزرعة ولم تعد صالحة للتدريب خلوما
 من أجازة الزراعة الحديثة .. فرحب به الوالد إذ توسم فيه الصدق

والشجاعة والطموح وشجعة على ذلك . مهما به كأنه ولده كما أعجبت
زوجته به لأنها لا سمحت أنه لا يحاول التقرب من ابنتها أو التحدث
معها إلا أمام والدها أو والدتها إذا اقتضى الأمر وحدث من النقائس
ما يدعو لإبداء رأى كل منهما . . ورغم استقامة الشاب لاعتقاده
أن الاستقامة وحدها هي الوسيلة التي تجلب - وحيدة - فيه تسميها
بالدين وبعدها عن مغريات الحياة التي تجذب مشاعر مثيلاها من
الفتيات - فقد كان والده رغم مرضه يعيش على ضوء المدينة الزائفة كما
كانت والدته مفتونة بكل ما يمثل مظاهر الأبهة والترف والرفاهية
حريصة على أن تكون من نساء المجتمع الشهيرات بالأناقة وارتداء
أغلى الملابس وقد كلف ذلك زوجها مبالغ طائلة اضطرت به إلى
الاستدانة . . فلما حان وقت تسديد الدين وعجز عن ذلك عرض
مزرعته للبيع ولما علم ولده بذلك حزن حزناً شديداً وصارح والدته
بأنها السبب في هذا المصير المفجع الذي سوف يدفعهم إلى الفقر
والعوز والحرمان . . ولم تبد أى ألم للمصير المرتقب على أمل أن
تحصل على ما تبقى من ثمن بيع المزرعة لتضمن لنفسها حياة تناسبها في
المستقبل . . وهو شاب في مقدوره أن يعمل ويعول نفسه ووالده
في مقدوره أن يستعين بأحد أصدقائه من المسؤولين الكبار لإستاد
رئاسة مجلس إدارة أى شركة إليه ولطالما قدم لبعضهم المون المادى بعد
شفائه ولاحظ نادى زوج الراحلة . . حزن الطالب البادى عليه
وانطوائه على نفسه وبعده عن العمال في ساعة راحتهم حينما يمرحون
ويمزحون بعد أن كان يشاطرهم المرح والدسابة كأنه عامل مثلم . .

فدعاه ليتناول معه الغداء وراح يتحدث إليه فيما لا يخصه حتى انتقل
إلى ما يخصه وسأله عن تجهمه على غير عادته . . وإزاء مزالسته
والاطمئنان إليه واتخاذها مثلاً أعلى له صارحه بالنكبة التي حلت بهم
بسبب اسراف والديه . . دون مراعاة لمستقبل الأولاد وضرورة
الحفاظ على حياتهم بعيداً عن العوز والحاجة . . وكان نكبة الأسرة
المقبلة لم تحدث برادرها فأقامت أم الطالب حفلة راقصة بمنزلها
كعادتها وأصرت على أن يحضر ولدها الطالب الحفل رغم معارضته
الشديدة لإقامة هذا الحفل وإزاء اصرار والده بعد أن أسرت إليه
زوجته بما يحمله على ارغام ولده بدعوى أنها اتفقت مع صديقتها
زوجة مسئول كبير على أن تزوج ابنتها من ابنها دون أن تشعرها بما
حدث لها وسوف يعين هذا المسئول الزوج في المركز المناسب
ويعين الطالب بعد تخرجه مباشرة في المكان الذي يلائم زوج
ابنته وبذلك تضمن الربح الهائل للأسرة حالياً ومستقبلاً . .
وحضر الطالب الحفل دون أن يشترك في الرقص رغم اقبال
العروس المنشودة لأمه عليه بتوجيه من أمها وتنحى جانباً بدعوى
صداع شديد ألم به . . وبعد انتهاء الحفل تخلو به أمه وتهنئه لموافقة
الباشا على تزويجه ابنته . ناريمان . وبدل أن يفرح لهذا النبأ يتهم
ويسألها هل صارحت صديقتك وزوجها بالمأساة التي حلت بهما
ومصيرنا المرتقب المحنوف بالفقر والذل والمهانة بعد الفنى والعز
والكرامة . . وتبدي الأم خرفها من أن يتزوجها الشاب الذي
راقصها وإذا طلبها فلن يرفض والدما يده لأن والده أكبر منه شأماً

وبيده مسئولية جسيمة تبيح للباشا والد الفتاة تزويد ثروته . . ويحتاج
- كامل - رافضاً في اصرار هذا الزواج معلناً في صراحة أنه لا يميل
مطلقاً إلى الزواج من فتاة نشأت في بيئة كرسست الأم حياتها على مراعاة
المظاهر البراقة الخادعة الباطلة بعيداً عن تعاليم الدين وقداسة الفضيلة
التي يتحتم أن تتحلى بهما المرأة . . وتهزأ الأم قائلة . . يبدو أنك
تصورت أنك بت ممددا ولم تعد صالحاً للزواج من بنات الأسر
الراقية . . لا يا كامل . . أنا أعرف كيف أحافظ على مظهرنا بأى
وسيلة وسيلان عندي افتقد والدك عزبته أو لم يفتقدنا فيشور سخطاً
بأى وسيلة تحافظين على مظهرنا ؟ . . ثم يهددها . . اسمعى إذا سمع
لك والذى الذى يعيش بعيداً عنك بمزاولة أى وسيلة خاطئة للحفاظ
على الأسرة فأنا لا أسمح مطلقاً وسوف أحول دون ذلك مهما كلفنى
الامر . . ثم يتهم في مرارة مردفا بصوت جاد أنعرفين سبب هذه
النكبة . . هو عدم تمسك والذى بتحقيق عدالة السماء ولطالما داس
بالعمال على رقاب العاملين عنده دون رحمة . . إن الله يعطى فإذا لم
يحافظ من اعطاه هذه النعمة بالرحمة والبر والزكاة . . سبحانه الله منه
على غير ارتقاب . . كنت أتمنى أن أكون ابن فلاح مرمى لا يملك
غير قوت يومه وليلته غنى بشروة إيمانه وكرامته . . لقد بت احتقر
كل عاطل ثرى بالورثة . . ولشد ما أنقم على كل غنى لا يتقى الله
ويتخذ المجون والعبد بل الدين ديناً وقيل أن يغادرها خاطبها بلجة
لا تخلو من الحنن والشفقة . . يا أماء حسبك ما منى لقد نعمت بالم
ينعم به سواك وحن الوقت التى نعيش فيه لربك الذى أنعم عليك

وعليها بوفير النعم والخيرات وبدل أن تتأثر به إزدادت نقمة عليه بما
دفعه إلى الاعتراف بأنه لن يتزوج بغير الفتاة التي يميل إليها قلبه
ويجدها جديرة بمشاركته الحياة حلوها ومرها .. وتخاف الله لا تعرف
من الحب غير أنه بضات صادقة وتضحية هائلة في سبيل من تحب
تعاف المراقص والملاهي لأنها ترى بروحها الشفيفة شبح الشيطان فيها
ونشأت في بيئة تجدد في القناعة زادا يشبع كل جانحة فيها ولا غير لغة
القلب .. لغة الضمير .. لغة الروح .. لغة الأولاد ولغة الزوج
لغة وطنها ومن أجل هؤلاء جميعاً تتعلم لغة الخير لتتقى الرذيلة وتتمسك
بالفضيلة ويخادرها دون أن يأبى بتهديدها وحرمانه بما لذ وطاب ..
ولم يحاول أن يسترضيها رغم محاولة والده تنفيذ رغبتها وإلا اضطر
مكرهاً أن يمنع عنه المصروف ويستقل بنفسه وحسبه أن ينام
في البيت على أن يعمل أى عمل يدر عليه ما لا يسد مطالب دراسته
ومطالبه .. ولم يبد أى اعتراض على هذا التهديد .. وقال له في
هدوء واتزان .. لا تكبرها شيئاً على أن يكون خيراً
لكم .. إذن أستودعك الله وإن تراني بعد اليوم والله ممي ..
وعند مفارقة البيت وجد ابن البواب — فاضل — جالساً على
مقعد أبيه بدلاً منه لحراسة البيت ريثما يعود .. فحياءه ولاحظ
— فاضل — أنه على غير عادته متجههم الوجه فاستوقفه أسلاً بكامل
بك .. لم أرك منذ عام .. فجلس كامل بجانبه قائلاً .. منذ هناك
بنجاحك في بكالوريوس الهندسة .. لقد ظننت أنك تسليت عملاً في
بلد آخر والنتى دراستى وشواغلى عن سؤال والدك عنك .. فنحن

أصدقاء منذ الطفولة يا فاضل .. فتهد فاضل .. ذكرى هذه الأيام
لا تفارقني .. ولكم ضربتك الست الكبيرة كلما رأتك تلعب معي ..
وكنت تخبئني وتسحب يدي رغما عني لنستأنف اللعب رغما عني كأنك
تعتذر عنها فتولين عطفك وتحنني المحلوى في سحابة .. وهذا انبسطت
أسارير كامل .. وكأنه عاد إلى طمولته وقال .. كنت تملأ فراغ
طاولتي بحبك القى يا فاضل وكنت أقرب إلى قلبي من أخى الكبير
الذى يمارس أسلوب والديه .. والآل .. في أي عمل تعمل ...
وقبل أن يجيبه أقبل والده .. البواب .. فاستأذن منه فاضل في أدب
قائلا .. عن إذنك يا والدي سأذهب إلى المصنع وخاطب كامل وباحذا
لو تنفضت وشرفتي لترى مجهودي .. ولما وصلا المصنع .. أمر فاضل
أحد العاملين بعمل الشاي ثم قال لكامل .. كان المفروض أن أعمل
في الحكومة أو أهاجر إلى بلد عربي كما فعل بعض الزملاء للحضور على
مال وفير .. ولكن صعب على أن أحرم والدي من نتيجة كفاحهما
من أجل .. وأنشأت هذا المصنع لعمل آلات كهربائية بديلا لآلات
التي نستوردها من الخارج بالعملة الصعبة والتي تسكف الدولة ديونا
قد يصعب تسديدها في زمن قريب وراح يشرح له .. كيف انتهى
إلى هذا العمل .. وذلك بالاطلاع على أحدث الدراسات الخاصة بذلك
مع تجاربه دون أن ييأس إذا فشل في أول محاولة أو ثانی محاولة أو ثالث
محاولة .. إذ في كل تجربة فاشلة كان يخرج بمعرفة جديدة .. وهكذا
ظل يعمل بين الفشل آنا والترقيق أحيانا حتى انتهى إلى النجاح الحق
وسأله كامل .. ومن أين جئت برأس المال .. فأجاب .. كنت

والدقي تعمل شغالة عند سيدة كريمة فلما نجحت وصارحت والدتي
برغبتي في إنشاء مصنع يحتاج لوأس مال لشراء الحاجيات الضرورية .
وطلبت منها أن توسط سيدتها لدى زوجها لكي يسمح لي بالعمل في
مزرعته أثناء النهار ريثما أوفر المبلغ المطلوب . . ولما صارحت
السيدة . . طلبت منها أن تعرف مني المبلغ المطلوب لتحدد مع زوجها
المدة اللازمة للعمل لتوفير هذا المبلغ . . وكان المبلغ مائتين من
الجنيهات لارتفاع ثمن آلات التدريب الدقيقة في هذه الأيام . .
وعادت والدتي من عند سيدتها وقدمت لي المبلغ المطلوب وقالت . .
عندما علم زوجها اغتبط ولم يشأ أن يخرجني ويطلب مقابلي لي تقدم لي
المبلغ بنفسه وأرسل إلى المبلغ مع أمي راجيا لي النجاح والتوفيق مع
إعفائي من العمل في مزرعته لكي أفرغ للمصنع . . وبعد عام
استطعت أن أوفر هذا المبلغ بعد تغطية مرتبات العمال ومطالب
المصنع وكلفت والدتي بإعادة المبلغ إلى السيد زوج سيدتها مع تحديد
موعد معه لكي أشكره وأدعوه لزيارة المصنع . . وأبت السيدة أن
تسلم المبلغ وقالت لوالدتي . . لقد قدمه زوجي هدية لإبنك أنفوقه
في دراسته وتفكيره لتحرير نفسه من قيود الوظيفة وطموحه، لتوفير
ما يسد حاجة البلاد في زمن يزداد الغلاء يوما بعد يوم لتضخم
السكان . . وهنا لاحظ سروح كامل كأنه ليس معه فقال . . أظنك
ستخرج هذا العام فعلام عولت ؟ طبعاً ستأحق بعمل حسب مزاجك
البركة في الباشا . . فتعهد كامل وقال . . ليتني التحقت بالهندسة لقد
أدخلني والدي الحقوق لأعفيه في المستقبل من أجور الحماماء البناط

لكثرة قضاياه . . فهدأ من روعه وقال . . الخير فيما يريد الله . .
ولكن يمكن استغلال هواية من هواياتك فقال هويت الزراعة
ولكن استغلالها يحتاج لمزرعة . . فقال فاضل . . هون عليك
فندمك مزرعة . . فلزم كامل الصمت لحظة كأنه لم يسمعه وهو يفكر
هل يخبره بأن مزرعة أبيه لم يعد من حقه استغلالها أم يخفى النسبة
ريثاً تخين . . وعاد فاضل يقول فيم تفكر . . في مشروع يناسب
شباب عصرنا أليس كذلك ؟ . . فانتبه كامل وقال أجل . . ولكن
أريد أن اعتمد على نفسي . . لا فاجيء والدي بوثبة من وثبات
الشباب الثائر الذي يسخر منه . . فقال فاضل . . بجانب مصنعي قطعة
أرض يملكها فلاح وتدر عليه رباً ضئيلاً إذ تقدم في السن ومن
يؤجرها منه لا يعطيه حقه وقد عرضها على لاضمها إلى مصنعي لقاء
إيجار يكفي لسد مطالب معيشته مع زوجته العجوز . . ويمكنك
استغلالها مزرعة للدواجن وهو مشروع يدر رباً كبيراً فقد قام به
دكتور بيطري بشاركة مهندس زراعي في المرح وهذا المهندس ابن
خالتي وقد استضافني عنده بعض أيام على أثر انتهائي من امتحان
الكالوريوس مباشرة ترويحاً لنفسه والاستجمام وأنا أقوم الآن
بتوريد آلات السكرباء الخاصة بالتفريخ وفي مقدوري أن أقرضك
من الدواجن وسوف نستعين بابن خالتي لانتقاء اللازم وإعداد
المزرعة الخاصة ولا تنسى أن ابن كاتب دائرة والدك الباشا تخرج
طبيباً بيطرياً ويمكن الاستعانة به لقاء مكافأة تشجعه على العمل دون
غضاظة . . وكان لابد أن ينقطع كامل عن التدريب في مزرعة (نادي)

فاستأذنه شاكرآ له عطفه ومروءته وأخبره بما اعتزم عليه فشجعه وأبدى
استعداده لمساعدته حالياً على أن يساعد زوجته فنياً حيث أنشأت
مزرعة تابعة للجمعية النسوية التي ترأسها لتوريد الدواجن والأرانب
للمدينة. وبعد عام نجح مشروعه ونجح في ليسانس الحقوق. . وعلم والده
بذلك فأرسل إليه يدعوه ليصلح بينه وبين أمه فقال كامل للرسول. .
سوف أحضر في الوقت المناسب فاني أعلم أنهما سوف يحتاجان إلى. .
وكان فاضل لم يعلم منه بما جرى بينه وبين والديه إذ أخبره أثناء إنجاز
المشروع أنه مضطر إلى المبيت بقرب المزرعة خشية اعتداء اللصوص
عليها وتوفيراً لأجر حارس هو في حاجة إليه الآن وأعد لنفسه غرفة
مجهزة بسرير متواضع ودولاب ومنضدة وكرسى استطاع أن يأخذهم
من أثاث بيت الأسرة الزائد عن الحاجة دون أن تشعر به أمه مدعياً
للخدام الذي كان يحبه أنه مضطر أن يقضي وقت المذاكرة خارج البيت
توفيراً لراحته وبعداً عن مشاحنة والدته. .

وبعد أن توفر لدى كامل المال الكافي بعد تسديد ما استدانته
من فاضل وثمن آلات التفريخ وتوفير مبلغ كان تحت الحساب
للطوارئ وجد ما تبقى لديه كافياً لشراء شبكة مع المهر. وصارح
فاضل برغبته في الزواج من ابنة صاحب المزرعة التي كان يتدرب فيها
فمنأه على حسن اختياره وصارحه بأنه جدير بها وهي جديرة به
ولولا ثقته بأن والدها يرفضه إذا علم بأنه ابن بواب لتقدم إليها منذ
عام فهي فتاة ممتازة حتماً. . وذهبا سويا للقاء (نادى) وبعد أن قدم
كامل. . فاضل بما هو جدير به من المديح لزم الصمت ليتكلم - فاضل -

فقال .. إن كامل يسعده ويشرفه أن يتقدم لسيادتك على أمل أن
تسمح له بمصاهرته .. فابتسم نادى وقال .. حماى ينيب عنه حمايا ..
فابتسم فاضل قائلا .. أحيانا يصعب على صاحب الحاجة الكلام ..
فرحب به راجياً أن يمهل يوماً ريثما يأخذ رأى ابنته .. وانصرفا على
أمل أن يزور كامل في مزرعته .

وعندما خلا نادى بزوجته أخبرها بما جرى .. فأظهرت
ارتياحها وقالت تأخذ رأيها فالمستقبل خاص بها .. فقال .. معك
حق .. وإن كان الشاب كما رأيناه وعاشرته أنا عن قرب .. ممتاز
خلقاً وعلماً .. وله مستقبل مرموق .. وسوف أزوره في مزرعته
أولاً وفي سياق حديثي معه أعرف كل شيء يتعلق بأسرته إذ ربما
أسأل عنه فيعلم بصورة مشوهة تجرح كرامته ..

وزاره في المزرعة وأثناء تناول الشاي كان كامل استدعى فاضل
ليكون بجانبه وعندما بدأ نادى أول كلامه بقوله ؟ لم أنشرف باسم
والدك .. قال فاضل قبل أن يجيب كامل .. اسمح لي سيدي أن آخذ
رأيك في أمر يتعلق بزواج أخق لأننى على موعد الآن لبدء رأى
النهائى .. بصفتك ذا رأى صائب وخبرة فائقة .. تقدم إلى خطبة
أختى شابين .. أحدهما تخلى عن أسرته التى تعيش في رفاهية الثراء
ليبتعد عن مظاهر المدينة الباطلة واضاليل المجتمع الفاسد ليعمل عمل
السكادحين العاملين في سبيل الرزق الحلال واسعاد الآخرين غير آبه
لنضب أهله ما دام يرضى ربه . والثانى شاب لم يزل يعيش في نعيم
الثراء قائماً بالبطالة ما دام بين يديه المال الذى يحقق رغباته ونزواته

واسرافه .. مباهايا بأن ذلك يكفي لتقبل أى فتاة به . ودون تفكير
رجح نادى الشاب الاول .. وهنا استأذن فاضل لسيلا يفوته الميعاد
واعاد نادى سؤاله لم تخبرنى عن اسه والدك .. فأجابته .. كامل ..
محسن وبصوت خفيض قال نادى تشرفنا .. إنه رجل عظيم .. فقاطعه
كامل .. اسمح لى أن أصارحك بأنتى ابتمدت عن والدى لاختلاف
جيولنا ونزعاتنا .. فهما يعيشان فى كنف الرفاهية بعيدا عن الله ،
وأنا اصطفتانى الله لى أكون من محبيه والعاملين فى سبيل مرضاته .
فاهتزت جوانح نادى وكأن كامل عزف سيمفونية عذبه شدته إلى السماء
فمنى معها أهل الأرض فقال .. حسبك هذا يا ولدى لقد رضيتك لابنتى
زوجا . وعندما أخبر زوجته بذلك رفضت وقالت .. لا .. لا .. لأن أوافق
مطلقا على زواجها من ابن محسن فلو لم يمرض بالشلل لظل يهاجمنا
حتى الآن .. فترفق بها نادى وقال .. يخرج من بيت الفاسد عالم
وبيت العالم فاسد .. إنه شاب تقى صالح مؤمن مكافح طموح ..
وهذه الميزات كفيلة بأن تجعله خير زوج لابنتنا .. وظل يقنعها حتى
وافقت على شريطة موافقة ابنتها أولا ..

فى هذا الوقت اتصل رسول محسن بولده .. كامل .. وأبلغه
أن والده اشتد به المرض ويأمل أن يراه .. فوعده كامل بالذهاب
إليه غدا إن شاء الله .. وكان على موعد مع والد العروس ليعرف
رأيه النهائى .. فلما اجتمع نادى بوحيدة وسألها رأيا أطرقت
ولم تجب فقال .. مادمت لم ترفضى فأنت موافقة فطوقت عنقه
بنزاعها وهى تقبله ولم تنكح .. فلما أخبر زوجته بموافقتها قالت ..
لنسكن مشيئة الله ..

وأقيم حفلا بهيجا وزعت فيه الحلوى على الفقراء والعاملين إذ
لم يحضر غير نادى وزوجته وكامل ووالده الذى ذهب إليه ورافقه
على كرسي متحرك لمرضه ورفضت الأم أن تحضر رغم إلحاح زوجها
ترضية لولدهما بدعوى أنه خرج عن طاعتها . . . ولكي يشعر نادى
محسن بصفاء السريرة نحوه . . . قال له . . . بارك العروس ليبارك الله
في زواجهما وعندما أقبلت عليه وسحب يدها ليقبلها لمح خاتما في
أصبعها فخدق في الخاتم وسألها من أين اشتريت هذا الخاتم يا ابنتي فقالت
لأنه هدية أمها بمناسبة زواجهما وكانت الراعية حاولت ألا يراها فطلب
منها دعوة أمها ليعفها ولشدها ما هاله رؤية الراعية . . . فغمغم مستحيل
ثم اتجه نحو نادى واستأذنه ليخاطب الراعية على مسمع منه بعيدا عن
العروسين فسمح له فلما أختلى بهما سألهما هذا الخاتم خاتمي كنت أهديته
لامرأة تزوجتها عرفيا وحالت تقاليد الاسرة عن إثبات هذا الزواج
شرعاً فصارحته الراعية بالحقيقة فريع وقال . . . إذن هي أخته
كامل . . . وعرف نادى ساعته إذ حقيقة ميلاد وحيدة وكان يظن
أنها ابنة شقيق الراعية الذى توفي أثناء معركة بورسعيد . . .

وهنا اضطر محسن أن يواجه كامل ووحيدة قائلاً لكامل . . . لقد
تبين لي من هذا الخاتم أن وحيدة أختك لأننى تزوجت أمها دون علم
اسرقى وكنت أهديتها هذا الخاتم وقد اتضح فيما بعد أنها شقيقة . . .
محسن الذى احتضنتها عندما توفيت أمها على أثر استشهاد زوجها في
بورسعيد . وقبل كامل أخته قبلة حنان واستدعى فاضلا وقال له كنت

تتمنى أن تتزوج وحيدة وقد تبين أنها اختى وسأل وحيدة ما رأيك
في هذا يبقى انه جدير بك .. وهملت الراحية ورحبت

وبارك محسن زواجهما قائلا .. هذه مشيئة الله .. وباركهما
نادى قائلا : الزواج قسمه ونصيب .. واتجه فاضل نحو كامل
وقال .. ليت أختى الطالبة في كلية الزراعة جديرة بك .. وكانت
حاضرة في الحفل .. فسأله كامل ولماذا لم تحضرها معك .. فنادها
فاضل قائلا .. فضيلة .. أقدم إليك صديق شقيق عروسى .. فلما
صالحها ظل ممسكا يدها وهو يقول .. ليكون زواجنا اليوم معاً .

تمت



على أثر العبور الذي تم في العاشر من شهر رمضان المبارك الموافق في السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ وتم الاتفاق بين جمهورية مصر العربية لثانته صره وبين اسرائيل المقهورة على تبادل الاسرى أقنع أحد أسرى اسرائيل أسرته على ضرورة الهجرة إلى مصر بعد أن استعصى لإيجاد عمل له يمينه على رعاية الأسرة إذ كان يعمل في السويس المحتلة وبدهاء اليهودي استطاع أن يعبر الحدود وبدأ أن وصل إلى القاهرة مع أسرته تقدم إلى المسئولين وقدم نفسه مع أفراد أسرته كلاجئ يريد أن يعيش في مصر وفق قانون دستورهما وبعد التأكد من صحة نيته عن طريق المخابرات

خشية أن يكون من الجواسيس حول إلى هيئة أغاثة اللاجئين. ولم تمر
أيام حتى استقر بأسرته المقام في مسكن مناسب والتحق الابناء في
المدارس حسب أعمارهم ومستواهم العلمي . . . وبعد مرور شهر
لاحظت - نسمة - الابنة الكبرى فتح نافذة الجيران التي تطل
عليهم أثناء اذاعة القرآن الكريم في الصباح الباكر كل يوم وفي المساء
وشدها صوت المقرئ فراجت تحرص على الإصغاء في تمن وشغف
كلما ترامى إليها تلاوة القرآن وبدا فع خفي وجدت نفسها حريصة على
متابعة الإصغاء في أي وقت حيث كثرت التلاوة في شهر رمضان المعظم
وخشية أن تفوتها التلاوة كلفت شقيقها الصغير - يوسف - بشرائه
الجريدة رغم اعتراض والدتها لكي توفر ثمن الجريدة لإتمام المنقوص
من مطالب البيت فاحتج - نسمة - بدعوى أن غداء العقل أهم
من غداء الجسم وفي الجريدة مقالات تتعلق بدراساتها - ويلاحظ
الصغير بعد أن تطالع أخته على الجريدة أنها لا تقرأ غير برنامج الإذاعة
فيدهش ويقول . وهل غدا مذايع حتى تهتمى بقراءة برنامجها فتقول
لأنها تقرأ برنامج الثقافة فقد تجد موضوعا هاما يمكنها متابعتها من مذايع
اليران فيعلم الصغير . عندما تمكن من العمل بجانب دراستي سوف
أشترى مذايعا وتستنكر الأم فتقاطعه لكي تتعلم الأغاني النافذة بدل
المذاكرة فتقبله نسمة قائلة . . سأعفيك من شرائه بعد إتمام دراستي
واستلام العمل وعليك أن تهتم بدراساتك فقط يا يوسف . . ثم
ترتدى ملابسها الخارجية وتحبى أمها وتأم يوسف بعدم التخلف عن
الدراسة بدعوى قضاء الحاجيات لأمه من السوق . . وعند خروجها
من منزلها يلتفت نظرها خروج شاب من المنزل المقابل لمنزلها ويسير

خلفها دون أن يشعرها بأنه تعتمد ذلك وتلدح، يأخذ طريقه إلى
كلية الهندسة . وفي الصباح الباكر تفاجأ بالشاب الذي رآه يجلس أمام
النافذة بقرب المذياع يصغي إلى القرآن في خشوع وهذا تدخل أمها
لتماولا كوب الشاي فتراها على هذه الصورة فتغضب وتغلق النافذة
في عنف وهي تسب الشاب وتلعنه ظنا منها أنه يغازل ابنتها . وأمر
ابنتها بمزم فتح النافذة وتحدث بينهما مشادة تترامى إلى مسامع الوالد
فيسألها في فتور عما حدث وبعد أن تخبره الأم بأن ابن الجيران يحلو له
معاكسة ابنتها ولما تنفي ابنته ذلك في جد وتوضح لوالدها أن أختها
وأمه يطلان من النافذة دائما للمناداة على الباعة أو البقال . . وأنا
تعودت أن أجلس أمام نافذة غرفتي أثناء المذاكرة وكلانا لم يحاول
مخاطبة الآخر . . مع أنه شاب مهذب لم ينظر إلى نافذتي مطلقا . . .
ويقتنع الوالد بحديث ابنته ويأخذ على زوجته سوء الظن وشهورها
ويلفت نظرها أن أبناء القاهرة غير أبناء إسرائيل . . فهذه الإباحية
المطلقة وهنا تقاليد مرعية تحتم على الأبناء مراعاتها ولكل ساكن الحرية
في فتح نوافذ بيته أو غلقها وما دامت أبنتنا مهذبة فهي كنفيلة بحماية
نفسها . . .

وتمر الأيام وسوء الظن يزداد عند الأم كلما لمحت ابنتها قرب النافذة
وابن الجيران على مقربة من نافذته فتسمى معاملتها ابنتها إلى حد يلفت
نظر الوالد الذي يدافع عن ابنته وابن الجيران مؤكدا لها أنه لم يسمع
قط غير امتداح هذا الولد لجميع سكان الشارع يتحدثون عن أدبه
ويأخذ على الأم تغاضيها عن سوء سلوك ابنها - موسى - وهو

أحق من غيره بالنقد والتأنيب والتوجيه . ويتنهد في مرارة مردفا
كثيرا ما وجه نظره أحد الجيران إلى سوء سلوكه ومعا كسته لبنات
الجيران ولولا ما عرف عنى من وقار للقي من الجيران جزاء استهزائه
وتدافع الأم عن ابنها وتباهى بأن البنات من اللاتي يفتن به . .
وفي صباح يوم يدخل يوسف على أخته ليوقظها لتناول الإفطار فيراها
بجانب النافذة تصغى إلى القرآن . : فيقف بجانبها مبهورا في حين
تلدحها أمهما من الصالة فتدخل عاليا غاضبة وتسب وتعلق النافذة في
عنف وهي تلعن أنور فتدعها قسمة وترتدى ملبسها في سكون وعلى
وجهها أثر الغضب والاشمزاز من أمها وتغادر الدار دون تناول
الإفطار غير آبهة بنداء الأم أو الأخ الصغير الذي وجه اللوم لأمه
على إمانتها لأخته البريئة . . وعندما تطل من النافذة مكره ضرورة
العودة لتناول الطعام تلح أنور يسير خلفها فتنادى زوجها ليرى بعينه
جسارة الشاب ووقاحته كما تعتقد وبدل أن يشو الزوج كما كانت تتوقع
يفصحها بالكف عن هذا السخف وتقوم بينهما مشادة تنتهى بخروج
الأم لزيارة جارة لها كي توضحها بتحذير ابن الجيران من معا كسته
ابنتها والكف عن مغازلتها من النافذة والسير وراءها في الطريق وتظهر
الجارة اعتمادا للقيام بهذه المهمة ولكن زوجها الذي استمع لما دار
بينهما من غرفة مجاورة ينعما من القيام بهذه المهمة ويعيب على أم موسى
سوء تصرفها قائلا : الشاب حر في بيته وفي الشارع ما دام لا يتعد
حدود الأدب وعلى ابنتها أن تبعد عنه لو لاحظت سوء سلوكه وتحجزها
في المنزل إذا كانت متهورة طائشة ولكن طالبة في الجامعة لا شك أنها

حريصة على كرامتها وقد لاحظ منذ سكنت هذه الاسرة بجوارهم .
حسن سلوك ابنتهم عكس شقيقتها المستهتر والاحدر بالام أن تصاحبه
وتقوم اعوجاجه .

وتقضى أم موسى اليوم غاضبة صاخبة تلعن اليوم الذي جاءت فيه
القاهرة وتهمل أعمال البيت مثقلة من بيت إلى بيت في الشارع متحدثه
عن سوء خلق أنور متهمه إياه بمخاللة ابنتها ولم تردع رغم امتداح
كل من تخاطبه اخلاق أنور والدفاع عنه بل كانت تزداد غيظاً وحنقا
وعندما تعود إلى بيتها تجد أولادها الصغار في انتظارها يتضورون
جوعاً وفي مقدمتهم يوسف وتذكر الام أمها لم تحضر الخبز فترسل
لشراثة وسرعان ما يعود ابنها مبهرولاً صارخاً . . . أختي . . . أختي وتسرع
الام لتتظر من النافذة فتجد ابنتها يحوطها بهض الجيران يهدثون من
ثورتها — وأنور ممسك بشباب عليه سمة الاستهتار يضربه في عنف
مردداً حذار أن تمر من هذا الشارع وإلا كان . . . هيرك السجن . . .
ويخيل للام أن هذا الشاب حاول أن يحمي ابنتها من أنور فتقول . . .
ربنا يحميه لازم شافه بيما كعبها . . . وعادت ابنتها ترافقها الجارة
قائلة . . . ربنا يحميه فعلقت الام ألم أقل لك أنه يعاكس ابنتي فأدركت
الجارة مرماها فقالت . . . لقد ظلمته . . . لولاه لتعرضت ابنتك إلى
إهانة لا تليق بها . . . ورفعت صرتها . . . ربنا يحميك يا أنور لقد
أثبت أنك ابن الشيخ الوقور المتدين الحريص . . . على صيانة الاخلاق . . .
وعادت الام تستوضح الخبر فقالت لدى حدث . . . فقالت
الجارة شاب متسكع كان يتبع ابنتك من بعيد . . . ويبدو أنها لم تشأ

أن تصده خوفا من اشتباكه معها فلما بلغت شارعنا واطمأنت . .
 صفحته وعندما هم بمعاكستها كان أنور أسرع منه وعرف كيف يصده
 والحمد لله ربنا نجاها ونجى أنور منه . . ربنا يحميه . . وينقل يوسف
 إعجاب الجيران بشهامة أنور ومحاولة أحمد الجيران إيذاء الشباب
 الذي عاكسها عندما علم أنه يهودى لولا تدخل أنور فألقته واكتفى
 بصفعه وإبعاده . . وقبل أن تنصرف الجارة تلفت نظر أم نسمة إلى
 ضرورة الذهاب إلى أم أنور لتشكر ولدها وهذا أقل ما يجب تجاه
 هذه الأسيرة الكريمة . . وتبدى أم موسى عدم ارتياحها لرأى الزائرة
 وتقول : . . لقد فعل ذلك ليظهر لابنتي أنه شجاع وأنا أنهم الأعيب
 الشبان وتبدى نسمة استاءها من حديث أمها وتتهمها بالأم بأنها
 ساذجة لا تعرف تصرفات الشبان للتأثير على الفتيات وبلهجة جادة
 تأمرها أن تغير ميعاد خروجها وطريق ذهابها وعودتها لكيلا
 تكرن عرضة للإشاعات التي حملت الأسيرة التي كانت تقطن في المسكن
 الذي حملت به أسيرة أنور سبب ما أشيع عن علاقة ابنتهم مع ابني مما
 دفع ولدها إلى ترك المنزل فتحمد نسمة مدافعة عن البنت مؤكدة أن
 الدنوب ذنوب شقيقتها موسى الذي كان يعتمد أن يثير الشبهة متخذاً من
 علاقتهم بأخيها وسيلة للتحدث إليها في الطريق متكلفاً السؤال عن أخيها
 أو تبليغ رسالة له والناس تحكم دائماً على المظهر على أن والدها انتقل
 إلى الريف بمناسبة إحالته على المعاش ولتوفير مطالب المعيشة هناك
 ويتدخل الأب فيؤكد صحة ما قالته ابنته وإن موسى شيطان فترد
 الأم في عنف بأن ابنها مرغوب فيه وإن بنات اليوم هن الشياطين

يلعن بمقول الشبان وتبدي ندمها على مغادرة إسرائيل إذ لم تكن
تصور هذه المتاعب التي تلاقىها بسبب تأثر أولادها بمظاهر مصر ..
وهنا تشور البنات مصورة ما يدور هناك من الفساد وعدم رعاية حرمة
الاديان .. إن موسى عليه السلام كان نصيراً للحق والعدالة فهل تعمل
إسرائيل بتعاليمه .. وتصرخ الام في وجهها هل أصيبت بالجنون ؟
أتجرئين على اتهام إسرائيل وهي التي تعمل على تخليد أمة موسى ..
لعن الله التعاليم الذي فتح بصيرتك على هذا الضلال .. وتزداد ابنتها
حماسة مدافعة عن التعاليم قائلة أن له الفضل في تنوير عقلي وتطهير
مشاعري فقد أصبحت أستطيع أن أفرق بين الدين الحق والدين المزيف
إن كثيراً من أبناء إسرائيل ينتمون إلى دين موسى زورا ولا يعرفون
مغزاه الاصيل .. صدقيني يا أماء ويعقب الوالد بهدوء محاولا تلطيف
الحدة بينهما .. يا ابنتي الدين لله فلا تتحدثي عنه ولا تحاولي أن تتمردي
على إسرائيل التي تنتمي إلى اليهود فمقاطعه : لو كانت تنتمي إلى اليهود
حقاً لما جارت على الغير بغير وجه حق واغتصبت أرض العرب دون
ميرر لهذا الاغتصاب .. يا أبي .. حاول أن تقرأ كتاب موسى كما
أنزله الله لو فعلت لأبرأت نفسك من وصمة الانتماء إلى مشركين ..
وهنا تصرخ الوالدة .. أسكني يا ملعونة .. أجننت ؟ حذار من
إسرائيل بسوء .. وتضطر نسمة أن تتركها دون تعليق تهرع إلى
غرفتها حيث ترامى إلى مسمعها تلاوة القرآن الكريم .. وبعد انتهاء
المقرء تهرع نسمة إلى أبيها في غرفته منتزة فرصة وجود أمها في
المطبخ وتسأله .. هل سمعت تلاوة القرآن يا أبي الآن ؟ فينظر إليها

الوالد متجاهلاً . . في الواقع كنت أطلع الاخبار . . فتقول . .
اسمح لي أن اذهب إلى زينب ابنة الشيخ فاضل لاستعير منها مصحفها
فقد أكد لنا دكتور الأدب العربي أن من يقرأ القرآن ويفهمه ويأخذها
لو حفظه . . يكون اكتسب أقوى ثروة لغوية تعينه على التعبير وقد
أكد لي ذلك أن الأول علينا مسيحي ولكنه يحفظ القرآن ويستشهد
به في كل ما يكتب فقال الوالد . . عل والده مسلم . . وقد أهاب به
إلى ذلك فقالت . . بل والديه وجميع أفراد أسرته من المسيحيين
وقد علمت سبب بلاغة مكرم عبيد وأنه كان أنصح خطيب أنه حفظ
القرآن عن ظهر قلب وهو مسيحي متعصب فمر الوالد رأسه وغمغم . .
ربما . . . ولكن لا يحول دون تلاوتك التوراة فقاطعت . . إلى
أتلوها الآن بتمعن واستيعاب لا قارن بين التوراة والقرآن . . وقد
قرأت في إحدى المراجع بالمكتبة . . إن التوراة الحالية . . حور
فيها اليهود بعد موسى وليست كما أنزلها الله . . وقد تكون التوراة
الأصيلة موجودة ولكن بعيداً عن عامة اليهود لكيلا يتسرب إلى
أذهانهم وقلوبهم ضرورة التمسك بشعائر العدالة والحب والإيمان . .
ليعيشوا مع غيرهم من لا ينسبون لديهم في أمن وسلام . . ويدخل
موسى ليطلب من والده مبلغاً من المال لشراء كتب له فتانسحب —
لسمة . . . وتحدث مشادة بين الوالد وابنه لعدم استجابة طلب الابن
لاعتقاد الوالد أنه يصرف النقود على نزوانه . . ويضطر موسى أن
يذهب إلى أمه يستعطفها ويطلبها بالحب ثم يطلب منها ما يريد
فتمتجيب ناقة على زوجها الذي يفضل ابنته لسمة عليه وتنتهز لسمته
أنصرف - موسى - وتخرج في حذر المصحف من صيوانها الخاص

وتتسأل إلى والدها لكيلا تشعر أمها . . . وتقدم له المصحف قائلة . .
أترأه يا أبي لأعرف رأيك بصراحة وعندما تهم بقراءة يا موسى ألق
بمصاك يترامى صوتهما إلى أمها حيث كانت تسير أمام غرفة الوالد
فتفاجئهما . . . وتعجب مما في يد زوجها قائلة . . . ما هذا ؟ فيقول في
بساطة . . . القرآن كتاب المسلمين . . . فتتظر إليه شذرا قائلة . . .
وما الذي جاء به إليك ؟ ولماذا ؟ وقبل أن يتكلم الوالد . . . إذ
اضطرب وراح يفكر ما عساه يقول . . . أسرعت ابنته قائلة . . . لقد
كان الشيخ فاضل هنا وقد نسيه . . . فوالدي يطالع عليه من حب الاستطلاع
فقات في اشمزاز ولماذا حضر الشيخ ؟ فقالت نسمة - جا لبشر
والدي بمرافقة وزير الشؤون الاجتماعية على زيادة الإعانة الشهرية له
لأن الشيخ عضو في لجنة فحص وتقدير المعونات . . . فتقاطعها الأم مخاطبة
زوجها أخشى ان يستغل تقديم هذه الخدمة لك كي يؤثر عليك
فمعتقد الإسلام وتعلق الإيثة الشيخ لا يفكر في هذا مطلقاً لأن الإسلام
ليس في حاجة إلى المزيد وإذا كان لإنسان ما أن يعتق الإسلام
فلا أظن اعتناقه سلباً إلا عن اقتناع منبثق من أعماق نفسه ونظرت
إليها الأم متفرسة وهي تقول . . . انك تتحدثين كأنك مسلمة . . . فصر
نسمة رأسها في غير اكتراث قائلة . . . مسلمة يهودية . . . سيان . . . المهم
استمع بما أشعر به مطمئنة إلى دمة يقيني واعتقادي ونظر الأم في
ملع إلى زوجها وهي تقول . . . اقنع ابنتك بأن اليهود شعب الله المختار
فتقاطعها ابنتها بابهجة جادة ولماذا إذن بعث الله عيسى وعهداً ماظم
اختر لنفسه اليهود . . . وهنا يدخل موسى ليبدى استياءه من حديث
أخته ويحمد قائلاً موجهاً الحديث إلى أبيه أنسبح هذا السخف

ولا تصفعها ؟ فيقول الوالد في مدود : دعها وشأنها ولا شأن لك
فيقاطعه في غضب وتصب : كأنك توافق على ما تقول ؟ فقال الوالد
متى كانت الأقوال تعبيرا صادقا عما تخبئه الصدور . . وهل قولها هذا
يغير من عقيدتها كيهودية ؟ قال موسى في حمدة . . يحتمل أن تنأثر
بعقيدة الجيران التي تخالطهم فقاطعه لسمه . . وفر على نفسك هذا
الجدل . . فلي رأي فيما اعتقد ولك رأيك فيسنخر منها قاتلا . . إن
تتفق أبدا . . ثم يتمشى في الصالة يرقص على موسيقى المذايع وهو يغنى
مع المطرب . . ويرتفع صوت الأم منادية الجميع لتناول الطعام . .
ويقبل الجميع عدا لسمه ويهرول الصغير لمناداتها فيجدها تطالع في كتاب
وتبدى عدم رغبتها في تناول الطعام ريثما تنتهي من قراءة هذا البحث
ويغناظ موسى وبسرع ليرى أى بحث يحول بينها وبين طعام هي التي
طلبتها . . وعندما يهم بشد الكتاب تقاومه ويحدث بينهما نزاع يضطر
الوالد إلى ترك الطعام لحسم النزاع ويصحب ابنته في رفق لتناول الطعام
وعلى المائدة يشير موسى الجدل بقوله . . انها تطالع كتابا ضد الصهيونية
فيقول الوالد . . وما الضرر ؟ لكي تستطيع الدفاع عنها في الوقت
المناسب وخصوصاً أن دعاية المرأة أقوى واشد تأثيراً من دعاية الرجل
وتقاطعه الأم وخصوصاً إذا كانت حلوة ومغرية مثل ابنتي فيقول الأب
المهم قوة الإقناع والعمل بشئ الوسائل المغرية للتأثير على الشباب الذي
يتمنى للهدر حيث فيهم من زعزعت الأحداث ثقته بقوميته وزلزلت
رغبته في المقاومة من أجل بلده وبلمحة جادة تقاطعه لسمه . . هؤلاء
الشباب هم المرضى فيقول موسى . . المرضى في المستشفيات فيقول . .

أعنى مرضى النفوس من أضلهم الشيطان .. مثلك اعتقد لو سأورك
أعداء صهيون على أن تتجسس مقابل أموال تحقق رغباتك وتضع
نزوانك لما ترددت .. فقال .. استطيع أن أشعره بتنفيذ رغبته لكي
استولى على ماله دون أن أخون وطني فقال الوالد .. رأى صائب قالت:
أصدقني ماذا تعرف عن دينك ؟ ..

فتضاحك ساخرا وقال .. سؤال تافه .. طبعا أعرف كل شيء؟؟
سل حاخام اليهود الأصيل الذي لم يهبط إلى درك الصهيونية سله هل
صهيون سليله اليهود حقا .. وهل دين موسى عليه السلام ينص على
اقتراف الاثم والذيلة في المسجد الحرام كما فعلت صهيون ؟ .. هل
حدث في تاريخ المسلمين في الوقت الذي استعمروا بلدا يدين بدين
المسيحيين أو اليهود أن وطئت نعالهم كنيسة أو معبد ؟ .. هل حللوا
الباطل وهاكوا الحرمات .. اعترف أن تصرفات صهيون حملتى إلى
البحث والدراسة لأعرف حقيقة كل دين .. وهذا تقاطعها الأم
ساخطة مفسرة منطقها بالهراء والبله وأنها لم تسكنسب من تعليمها حتى
الآن غير أفكار سخيفة بعيدة عن الواقع وأصالة دينها فتقدم لسمه
كأنها تتحسر على ضالة تفكير أمها وتقول كأنها تحاضر جماعة .. من
الخير ألا يعتمد الإنسان على وراثته بل عليه عندما ينضج فكره وتصرفه
مشاعره من كل شائبه أن يبحث كبحق ودارس في جميع الأديان دون
تحصب فاذا وجد أن دينه ينسب إلى الله حقا فليعلق به عن إيمان ويقين
وبذلك يمكنه أن يتنعم من لم يكن مقتنعا به ؟ .. دون خوف من المجتمع
والعقائد منطلقا بفكره إلى آفاق الانطلاق ليصل بالله بروحه ووجدانه

وفكره وبذلك يتسنى له تعرف دينه على حقيقته وتعود الام الى مهاجمة
ابنتها فيوقف الوالد حدة الام بتهذتها وألا تأخذ بآراء ابنتها كمقيدة
أكتسبتها .. إنها مجرد أفكار تطوف بخراطير الشباب عند مستهل عمر الشباب
لما يحمله هذا العمر من أعاصير قد تقتلع جذور الماضي ووهج قد
يصهر الدفين ليتحول إلى حرارة لا تبقى غير الإيمان القادر على
مقاومة التيارات الوافدة من قبل الباطل والاضاليل وتعاود نسمة
الحديث لتدافع عن فكرتها كاضاعة حرة تطهرت من رجس الصهيونية
كما تعتقد في الحفاء مؤمنة بالله الواحد الأحد كما تؤمن بالرسول جميعاً
خص الله كل رسول بمعجزة ليثبت قدرته وفقاً لمطالب العصر الذي
ظهر فيه الرسول ﷺ في القرآن ذكر الله جميع الرسل بالتبجيل
والتعظيم ولكل منهم قدره ومكانته عند الله وهنا يلحظ الوالد أنها
بدأت تخطو بين دينها والأديان الأخرى وخيل إليه أن كثرة المذاكرة
ليل نهار .. أثر على عقلها ويخشى عليها مغيبة ذلك فيقول لها .. يبدو
أنك أجهدت نفسك كثيراً الليلة يا ابنتي استريحى الآن في غرفتك
فستجيب لرغبته ظناً منها أنه يريد أن يقتصر الحديث لكيلا يشير
غضب أمها لتعصبها الدينى .. وعندما تغادرهما يقول لأمها افسحى
صدرك لها ودعها تتكلم بحرية دون خوف وحذر لكيلا تتعمر
تصرفاً خاطئاً دون علمنا ولا يمكننا بعد ذلك لإصلاح ما أعوج وهنا
يسمعون طرقة على الباب فيفتحه موسى إذ لمح القادمة من نافذة غرفته
وهو يطل منها على الشارع .. ويرحب بالزائرة — زينب — ابنة
الأميرة القاطنة في الشارع على مقربة منهم وهي صديقة لنسمة منذ كانتا

زميلتان في المرحلة الثانوية ثم حجزها والدها الشيخ المقرئ لتعلم
 تدبير البيت وشئونهم على أن صداقتهما ظلت قائمة . . وتستقبلها نسمة
 مرحبة بلمفة الحب الصافي وتصحبها إلى غرفتها ليتسامرا بعيداً عن أهل
 البيت ولكن موسى يلحق بهما ويجلس معهما في جراحة رغم تليح
 نسمة بتركهما احتراماً لحياة زينب ويحاول أن يصطنع مجاملتها بتقديم
 الشراب أنا والحلوى أحياناً ليجذب نظرها عماها تبدي أى اهتمام
 به . . وتضطر نسمة أن تصطنع حديث لا علاقة له بالدين عانية عليها
 لعدم زيارتها كثيراً فتعذر زينب لكثرة أعمال المنزل من طهي وحيافة
 ورعاية أخواتها الصغار بدل أمها وفي وقت فراغها تحفظ القرآن
 والأحاديث النبوية تحت إشراف والدها الذي يحتم عليها حفظ المصحف
 كله قبل الزواج وتفتخر نسمة انصراف موسى فتسألها عما كان يشغل
 بالها وبصعب عليها تفسيره . . كعجزة الإسراء حيث كان هذا اليوم
 ذكرى المعراج والإسراء في ٢٧ رجب فتجيبها زينب أنه من السهل
 تصور ذلك الآن بعد أن استطاع الإنسان أن يصعد إلى القمر بواسطة
 مركبة الفضاء الذي ابتكرها وصنعها فما بالنا بقدره الخالق سبحانه
 وتعالى رب المجرات وخالق الأرض والسموات أليس في مقدوره
 رفع الإنسان من الأرض إلى السماء ولم تجد نسمة أية غضاضة في
 مصارحتها بميلها لإلا الدين الإسلامي ورغبتها الملحة في تفهمه وقراءة
 كل ما يتعلق به وحفظ القرآن الكريم ويا حبذا لو ساعدتها على تحقيق
 ذلك فترحب زينب قائلة . . بكل سرور اعتمدى على الله وعلى وما
 هامت نيتك خالصة لوجه الله فسوف تتحقق أمنيتك وقبل أن تصرف

تتفق معها على تحديد الأوقات والأيام التي تناسبها على أن يكون ذلك
سراً بينهما وبعيداً عن بيت نسمة وعندما تستأذنها للانصراف بدعوى
أنها مضطرة إلى زيارة أم أنور لدعوتها إلى زيارة والدتها وتنتشر
نسمة الفريضة وتسألها أنها رأت من النافذة فتاة في مثل سنها فتقاطبها
زينب .. انها اخت أنور وهي طالبة جامعية وسوف يسرك معرفتها
فتعالى معي الآن للتعرف عليها .. فتوافق نسمة بعد تردد خشية انها
الذهاب من أجل أنور فتترك لها زينب بأن أنور ليس هناك الآن
وطبعاً الجيران رأوه أثناء خروجه وليس ثمة ما يدعو للشبهة فهو
شاب على خلق وأخته في الجامعة مثلك وقد تسكر ان في كلية واحدة
وكلتاكما لا تدري وعند خروجهما يتنبه موسى إذ كان مشغول بكى قبضه
فيتركة ويستوقف زينب عند الباب قبل مغادرتها قائلاً لم الاستعجال
أنا أعرف ان نسمة لا تقوم بالواجب كنت أهى لك الشاى
فتشكره دون أن تنظر إليه قائلة : شكراً لقد قامت بالواجب وأكثر
وتخرج بسرعة بمرافقة نسمة فيظل من النافذة ليرقبهما ويهوله
دخولهما بيت أنور .. ولم يلبث حتى تخرج نسمة وحدها عائدة إلى
بيتها تاركة زينب حيث حجزتها أم أنور لتذهب معها إلى أمها ..
ويسوء موسى الظن بأخته ويظن أنها ذهبت لمقابلة أنور وعندما
يصارحها بذلك تقول له أنه ليس هناك .. فيضحك موسى ساخراً ..
لذلك خرجت فتدافع عن نفسها .. لقد علمت من زينب أن أخته
معي في الكلية .. وعندما يعلم أن أم أنور صديقة لأم زينب وأنهما
يتزاوران فسر لعراض زينب عنه .. تعلقها بأنور فصارح أخته

بذلك وفي عنف هاجمته اسره ظنه ودافعت عن زينب .. فلزم
الهدم على مضض لا عن اقتناع بل على أمل ان يغامر ويتغلب على
أنور بتقريب زينب إليه مهما كلفه الأمر وفي اليوم التالي بعد عودته
من الخارج لا يجد نسمة في المنزل على غير عادتها إذ ليس لديها
محاضرات في هذا اليوم ويعلم من أمه أنها عند زينب فيفرح ويجد أنها
فرصة الذهاب إلى زينب وعندما تعلم زينب بمجيئه تغير مجرى الحديث
إذ كانت تفسر النسمة الآية التي مستقروم بحفظها وترحب به في ادب
واحترام متفانية عن نظراته ولكن تحول نسمة دون تصرفه الخاطيء
استأذنت لينصرفا فاضطر ان يخرج على مضض وهو يتلكأ ولم يرخ
جنونه او يحول عينيه عن زينب وفي طريقهما صارحا بأنه معجب
جداً بزينب وتمنى لو انها يهودية ليتزوجها وبان من لهجة الصدق
فقلت .. إذا كنت تحبها حقاً .. اعتنق دينها .. لكن بعد ان تدرسه
وتقتنع به فضحك ساخر آقائلا .. هل اترك ديني من اجل فتاة ..
يا لسذاجتك الحب شيء .. والزواج شيء آخر .. الحب لا دين ولا
وطن له .. اما الزواج فقاطعه إذن تغلى عنها ولا نعاكسها سألحيتها
منك لو حاولت .. ويدأب موسى على مراقبة زينب من الدافذة ليراها
أحياناً وهي خارجة فيلحق بها ولكن لا يلتق غير إعراضها وتجنبها ..
ويزداد غيظه وحقه على أنور عندما يراه يدخل بيت زينب في الصباح
الباكر ويلمح زينب تودعه عند الباب أثناء خروجه .. وينقل ذلك
إلى نسمة ليؤكد لها العلاقة القائمة بين زينب وأنور بدليل انه يحاول
ان يراما قبل ذهابه إلى الكلية .. ولا نأبه نسمة بهذا الانهم وتدافع

عن زينب بصق وحرارة .. وبعد أيام أثناء ذهاب نسمة في الصباح
إلى الكلية .. لمحت أنور بطرق باب أسرة زينب وتسكأت في مشيتها
لتنظر إليه دون أن تشمره بذلك واشد ما هالها رؤية زينب تفتح الباب
ثم يخاطبها بصوت خفيض وقبل أن يغادرها تقول له .. عند عودتك
مر علينا لأقول لك رأي الوالدة . وتشمر نسمة بشعور مبهم ثم لا
تلبث حتى تأسرها شئونها والانهماك في حفظ القرآن بمساعدة زينب
دون أن تشمرها بما لاحتته السكيات تجرح شعورها ما دامت لم
تفتح لها صدرها رغم العلاقة القوية التي تشتهد يوما بعد يوم متغاضية
عن تصرفات موسى لعلها أنه لن ينال منها وطرا للفارق الهائل بينه
وبين أنور على أن موسى لم ييأس من إعراض زينب منتهزا كل فرصة
يراهما فيها في الطريق أو في بيته أو بيتها بحجة الذهاب لاخته لأمر ما
دون جدوى فهي في واد وهو في واد آخر يحول بين تفاههما رغم
لقائهما . تمسكها بالدين مع مراعاة التقاليد وعدم ميلها للشباب العاثر
وفي يوم ما تدعو زينب أسرة نسمة لحضور حفل ميلادها ولم
يكذ موسى بعلم بذلك حتى رجوها أن تأذن له بالاشتراك مع فرقة
موسيقية من صحابه كهدية منه بهذه المناسبة السعيدة فشكره وتعذر
لأن والدها لا يعيل لأغاني العصريين والموشحات الدينية أو الأغاني
الوطنية فيعدها إعداد ذلك . ولم يلبث حتى حفظ موشحا دينيا
بوسيلة أستاذ في الموسيقى العربية وفوجئت أم زينب بوفاء
قريبة لها وأبى والدها إقامة الحفل مفضلا تقديم الصدقات على التقرء
بيلغ يعادل مصاريف الحفل واضطرت زينب أن تخضع لمشيئته
مراجعات الحفل لميلاد الامام القادم إن شاء الله .. ولما نجهت أخت

أنور كما نبح أنور أرادت أن تتيح فرصة لزَيْنَب كي تشارك معهم في
 الحفل فطلبت من والديها الإحتفال بمناسبة نجاحها ودعوة الرفاق
 والجيران وعندما دعت أسرة لَسْمَة رفضت أم لَسْمَة الذهاب من أجل
 أنور حيث كانت تكن له بغضا وحاولت أن تؤثر على أولادها بعدم
 الذهاب لأنها لا تميل إلى حفلات المسلمين لذا اضطرت أن تغادر منزل
 زَيْنَب عندما وجدت الحفل مجرد تلاوة القرآن وموسيقى دينية وحاولت
 لَسْمَة أن تقنعها بعدم التعصب ومجاملة الجيران ويوافق الوالد مرجحاً
 رأى ابنه وكذلك موسى الذي إغضب لهذه الفرصة التي تتيح له التفتيس
 عن عواطفه بأى وسيلة وتذهب الأسرة إلى الحفل عدا الأم ويفتح
 والد زَيْنَب بصوته الرخيم الحفل ببعض آيات القرآن الكريم ثم تنشد
 زَيْنَب بصوت عذب حنون المولد النبوى الشريف ثم يتناولون الطعام
 على الطريقة العربية حسب رغبة الوالد ثم تعزف الفرقة تحت إشراف
 موسى الموشحة التي تعلمها .. ويتراعى إلى مسامع الأم حديث الجيران
 بشأن غناء اليهودى أناشيد دينية ويفسر البعض بأنه من المحتمل أن
 يكون اعتنق الإسلام .. وتهرع الأم كالجنونة إلى الحفل تأمر أولادها
 بالخروج فوراً فى عنف دون مراعاة اللياقة ويأبى الأولاد الخروج
 عريدى زوجها أسفه الحاضرين بدعوى أنها مريضة وتنتابها حالة عصبية
 أحياناً .. ويسحبها إلى الخارج وهو يقول .. انك بتصرفك تسيئين
 لينا وتخلقين عداوة بيننا وبين جيران لم نر منهم غير التكريم والمعاملة
 الطيبة .. بدل أن تنقربى إليهم بالمجاملة والحب لتكتسبى مودتهم

وبعد انصراف الجميع يستبقى والد زَيْنَب والد أنور ليتذاكرا أيام

صباهما وأيام الدراسة في الأزهر الشريف مع المقارنة بين الماضي والحاضر
ففي الماضي كانوا يلتفون حول شيخهم يجلسون على الحصير زادم العلم
أكثر من زاد الطعام ومنتهى أملهم تحصيل أكبر قسط من العلوم ليكونوا
من الفقهاء والعلماء أما اليوم فالأزهر أصبح جامعة كآرقى الجامعات
حقا والطلبة يتخصصون بجانب الدين علوم العصر ولكن مع الأسف
فلم تشر هذه الدراسة الثمرة المرجوة كأداة عالمية لنشر الدين
الإسلامي مع تعاليمه في الأمم البدائية التي لا تعرف من أمور دنيها
غير ما يتعلق بمظهر حائرها والمسلمين لا يعرفون من الدين غير أنهم
ينتمون إلى الإسلام وأن الله واحد ورسوله محمد ﷺ والمفروض
أن يأخذ الأزهر على عاتقه نشر الدين وتعاليمه في جميع البلاد التي لم
تزل محرومة من منبع الدين ليتذوقوا أنقى ما نشتهيه الأرواح من شراب
مصفى يدفعهم إلى اعتناق المثل وعدم الاستسلام لمن يحارب الدين
بوسائل مادية باسم المدنية والنهضة وابدئ الشيخ أسفه لأنه لم يجب
ولدا .. ولو كان لهيأه إلى هذا الكفاح الشريف ويؤكد له رفيقه
أن الخير فيما يريد الله .. وأن الخلاف الصالح في البنين والبنات على
السواء مستهدا بما قامت به ابنته زينب من أداء رائع في هذا
الحفل راجيا أن تسمح الظروف فيسمعها ترتل آيات الذكر الحكيم ..
ولم لا أوافق من يستنكر - ترتيل المرأة لأن الصوت عورة ..
وقد أثبت بعض الفقهاء .. أن الصوت الجميل المحرم هو ما يشير رغبات
البدن .. أما الغناء الذي يذبه المشاعر ويسموها فلا جرم فيه ..
وتمنى لو يرجع - ابنته إلى استغلال صوتها الجميل لتقوية الوعي

الدينى والسمو بالنفس إلى أعلى مراتب السكال فينأى عن مغريات
 الدلس ويدنو من مقومات الروح ويصمت الشيخ لحظة ثم يترك
 الأمر لله يفعل بإذنه ما يشاء ويحمد الله الذى نبه الساسة والمشرفين على
 التعليم إلى ضرورة حفظ القرآن الكريم وتشجيع الصغار والكبار
 بالمكافآت والجوائز ومنا يترامى إليهم صوت مؤذن الفجر . . .
 فينتبه والده أنور قائلاً . . سرقنا الوقت استودعك الله وإلى لقاء وجعل
 الله هذا الحفل فاتحة لأفراحكم جميعاً . . . وتم الأيام ونسمة حريصة
 على حفظ القرآن بمعاونة زينب ومع مرور الأيام تظهر تفوقاً
 بارزاً يحمل زينب إلى المباهاة بها وإعلان ذلك لوالدها الذى تطوع
 أن يساعدها ليشرح ما يصعب على إبنته شرحه . . . وتلاحظ أم موسى
 تردد ابنتها على زينب فتكلف موسى بالتجسس على أخته فلما يذهب
 لمباغتها يسمعها تقرأ القرآن فيتظاهر بإبداء إعجابه بها راجياً من زينب
 أن تلو بصوتها الحلو بعض الآيات فتستجيب نزولاً على رغبة نسمة
 وفى طريقهما عند العودة يبدى خوفاً من تأثير زينب عليها بدليل أنها
 بدأت تحفظ القرآن وتقتضى أوقات فراغها فى قراءة كتب الدين والقرآن
 فترجوه ألا يخبر والدتها لأنها تعيش بعقلية متعصية ولم تحاول تفهم
 مبادئ العلاقات الإنسانية التى قومها إدراك مفاهيم الأديان السماوية
 التى تنص جميعاً على الحب والسلام وتؤكد له أنها تتعلم القرآن لتستقى
 من نبعه الفياض البلاغة والبيان والفصاحة وما أنتجه كبار الأدباء
 بحجاب أسرار الكون التى تكشف كل يوم عن اختراعات تبهر العقل
 وتناسب للمكتشف ما هو إلا من صنع الله وما الإنسان إلا الوسيلة

التي ساعدت على اكتشافها وبتظاهرها موسى بموافقتها .. قائلاً ..
 ليت هناك من ينشلنا من هذا الضياع الذي يلف بنا في دائرة لا تقف
 عند محط يهدينا سراء السبيل ثم ينتهز فرصة خوفها من مصارعة أمه
 فيطلب منها أن توفق بينه وبين زينب بأى وسيلة وهو على استعداد
 ليتعلم القرآن بواسطتها .. وفهمت نسيمة من لهجته أنه يريد أن يتقرب
 إلى زينب بهذه الوسيلة .. وخافت أن ترفض فيخبر والدتها .. فتألم
 له .. سوف أحاول أن أقنعها لأن والدما كما تعلم رجس جداً ولا
 يسمح لها بمخالطة أى شاب .. فقطاطعها .. وليكن في الخفاء كما تفعل
 فقطاطعته .. أن أسرة أنور لا يفصل بينها وبين أسرة زينب حاجز
 الدين في حين أن أمنا مصابة بتعصب بغرض وليست هناك علاقة
 غير شريفة بين زينب وأنور لإنهما كأخوين .. وهب لأننى استطعت
 أن أوثر عليها ووافقت لتعليمك القرآن وواجهك والدما يرما وسألك
 لماذا تتعلم القرآن ماذا تجيب فلزم الصمت مفكراً فأسعفته قائلة ..
 قل له لأنه معجزة خارقة من معجزات الفصاحة والبلاغة والبيان وقد
 نزل إعجازاً للقوم كانوا يمتازون ويماخرون بالإبداع البياني .. هذا
 بجانب ما يحويه من أسرار يتكشفها العلماء من حين إلى حين فتطالعنا
 معجزات العصر الحديث التي أشار إليها القرآن بأسلوب رمزي يدركه
 المفكرون ورغم محاولة موسى التقرب من زينب فقد كان يفتنم الفرص
 أيضاً لمقابلة أخت أنور وكان ذلك لا يكلفه جهداً .. لأنها متحررة
 ورغم مراعاة تقاليد أسرتها .. وساعدها على الاستجابة له تأكيداً لها
 بأنه سوف يمتق الإسلام ليتزوجها وهو يحفظ القرآن من أجل ذلك
 ويلقى على مسامعها بعض آيات استطاع أن يحفظها من أخته أثناء ترديد ما

بعيدا عن أفراد أسرتها .. وفي يوم ما دعى أخت أنور إلى السينما
وأثناء خروجهما ... لمح أنور بمرافقة زميل له يقتربان من السينما
وخيل إليه أنه رآهما فأسرع إليه وبعد أن حياه ادعى أنه جاء في التو
لأنه على موعد مع زميل له ولم يحضر بعد وتكاف البحث عن الزميل
المزعوم .. واختفى عن نظره في حين استطاعت أخته أن تختفي وسط
زحام الجمهور ويعود موسى إلى بيته فلا يجد أخته ويعلم أنها عند
زينب فيسرع إليها فتلقاها زينب في فتور وترد عليه في إيجاز قائلة ..
أختك خرجت منذ دقائق لتذهب إلى المكتبة ويقف متاكثا مصطنعا
اصطدام ساقه على العلم فتقول بلاهة جافة فاترة .. الحركة تفيدك
وتتحول عنه إلى الداخل قائلة .. عن إذنك الطعام على الموقد ..
فيقول .. إسبحي لي بلقائك في أي مكان إذ عندي كلام هام يتعلق
بإسلامي من أجل مستقبلنا فتعرض عنه قائلة .. عندما تكون أختك
حاضرة سل ما تشاء وتدخل بسرعة وتغلق الباب .. وهي تخاطب
نفسها يظنني كالأخريات اللاتي يلعب بقلوبهن كما يلعب الورق ليكسب
ويعود إلى بيته مغيظا ينتظر عودة أخته على أحر من الجمر فلما تحضر
يأخذ عليها تصرفها في توطيد العلاقة بينه وبين زينب لأن تعلقه بها
يزداد يوما بعد يوم فتخبره أنها حاولت والكنها مع الأسف مسلمة
متعصبة من فاحية ولا يخذلها الكلام الممسول الذي تعود أن يتخذه
وسيلة للوصول إلى قلب الفتاة التي يحلو له قضاء وقت ما معها فليغض
الطرف عنها .. وحسبه مغامراته العديدة التي تشغل تفكيره ووقته
وتلهيه عن دراسته وكأنها بأسلوبها الجاد قطعت الخيط الذي ظن أنه
يربطه بزينب فازداد غيظاً وحنقا وقال .. أظنيتني من البلاهة بمكان

أنا أعرف أنك تتخذين من صداقة زينب مطية لتصلي بها إلى أنور عن
 طريق أخته ونسيت أن أنور مسلم متعصب ولا يمكن أن يعيل إليك
 وهو على علاقة متينة مع زينب وعلاقة أسرتيهما تمسكهما من اللقاء
 والتفاهم فوفري على نفسك ضياع الوقتك فيما لا يجدي وتركها عطا
 منه أنه قد أفلح في أن يوغر صدرها وأنها سوف تعمل على إبعاد
 زينب عن أنور ليتهاجه نحوها ولقد كان على شيء كبير من الاستهانة
 بالكرامة فلا يعنيه سلك أخته طريق الرشاد أو الفساد بل لا يتردد
 في أن يدفعها إلى أن تسلك سبيل الفساد إن اقتضى الأمر لتحقيق مآرب
 أثيم يخصه لذلك كانا دائماً على غير وفاق وسوء تفاهم فنسمة يسرى في
 شرايينها مصل إيمان حولها من الكفر إلى الإيمان بعد أن تفهمت القرآن
 وقارنته بالتوراة التي وجدت والدها يتلوه كأنه كتاب منزل وقد
 تبين لها أنه حرف تحريف يتنافى مع أصول التوراة التي نزل على موسى
 عليه السلام وقد وجدت في المراجع القديمة من النصوص ما يثبت
 صحة مقدم الرسول عليه السلام قبل مجيئه .. هي توجه نحو الخير وهو
 يتجه نحو الشر ولم تفكر نسمة مطلقاً فيما زعم وظلت علاقتها مع
 زينب قائمة على التفاهم النقي لغير هدف والتعلق بالدين الإسلامي ..
 ولم تحاول أن ترغم زينب على زيارتها عندما لاحظت أنها لم تعد
 ترد عليها وتعتذر إذا دعيتها لزيارتها بماذير كان يمكن التغلب عليها
 إذا أرادت ولكما عمدت إلى تجنب الزيارة تحاشياً للقاء موسى ثمادياً
 لتصرفاته الجريئة ولما طال امتناعها بدأ سوء الظن يساورها ولكما
 لم تستطع تحديد سبب امتناعها محاولة التفاوض لسكناً تفقد صداقتها ..

ومرت الأيام ولم يجد يرى زينب بعد أن امتعت عن زيارة أخته
ولاحظ أن أخته تذهب إليها في مواعيد لا تسمح له بدوامه إليها بأى
حجة كما كان يفعل فاشتد غيظه وحنقه ولكي ينتقم منها صارح أمه بأن
سبب العلاقة القائمة بين أخته وزينب إقبال أخته على تعلم الدين
الإسلامي .. بواسطة زينب ويمكنها مبالغتها أثناء وجودها عند زينب
لتأكد بنفسها من تلاوة ابنتها للقرآن ولما تفاجئها الأم لم تستطع كبح
جراح غضبها فتهال عليها سباً وضرباً وتجرها من يدها في عنف وهي
نصب وتلمن أهل البيت وتتهمهم بإغرام ابنتها لاعتناق دينهم وبعد
عودتها تأمرها بعدم الذهاب إلى زينب أو أى مكان آخر عدا الجامعة
ولم تستطع نسمة احتمال سوء تصرف والدتها فصارحها بأنها سوف
تحفظ القرآن سواء ذهبت إلى زينب أو لم تذهب وإذا تمادت في إهانتها
فسوف تترك البيت وإذا كانت اليوم تحفظ القرآن لاستفيد من لغته
وبيانه ونصاحته في دراستها ولم تنكر قط في اعتناق الإسلام ..
لكنها تخشى أن تدفعها أمها إلى اعتناقه تاركة لها دينها وتمزق الرابطة
التي تربط بينهما مادامت لا تستطيع أن تفهمها ولا تعمل على تشجيعها
لتقو مداركها واتساع معارفها وتستخف أمها بتهديداتها وتزداد سخطاً
عليها مهددة إياها بحرمانها من مصروفها ولتعمل مثل البنات اللاتي
يعملن ليعلمن أنفسهن دون الاعتماد على الوالدين .. ولم تسكت الأم
إلا عندما يحضر الوالد ويعلم منها إقبال ابنته على حفظ القرآن ولم يثر
كما كانت تتوقع بل قابله بفتور وعدم اكتراث ودافع عن ابنته مدحها
إياها على دراسة القرآن لأنه عماد اللغة وزاد الإيمان ودكتور الأديان

مستشهداً بما قرأه في نسخة التوراة القديم في مكتبة حاخام كبير كان
احتضنه بعض أعوام بعد وفاة والديه ثم اضطر أن يرحل إلى أوروبا
للبحث عن عمل ليعول نفسه بعد وفاة الحاخام الذي كان يحترم جميع
الاديان .. لاعتراف التوراة بها قبل الذهاب لإسرائيل وأمرها أن
ترك ابنتها فقد بلغت من العلم ما يؤهلها لمعرفة الحق من الباطل وتحمده
الله لأنها ليست كالأخريات اللاتي يعكفن على مطالعة التافه من الأدب
والذي لا يساعد على تنمية مواهبهن وتزويد معلوماتهن بل يوجهن
إلى تقليد مالا يجوز للفتاة اعتناقه بل يدفعها للعبث والمجون وبدل أن
تتأثر الام بحديثه تزداد ثورة وسخفاً وتنقم على القدر الذي ربط
بينها وبين رجل ملحد كافر ولو عرفت ذلك من قبل لما تزوجته حتى
لو كان ملكاً متوجاً ويقابل الوالد سخطها بهدوء مؤكداً لها أن المدة
التي قضتها في إسرائيل وتعرف خلالها على مبادئ الصهيونية فتحت
بصيرته على ما كان يجمل مؤكداً لها أن الصهيونية لا تنتمي إلى الدين
اليهودي بهالة .. لقد اتخذت سياسة الاغتصاب والافك والضلال
ديناً لها .. ويتنهد مردداً وقانا الله شرها ويدخل موسى بعد أن يسمع
آخر الحديث الذي جرى بين أمه وأبيه فيتهم أبيه بالمخالطة ترضية
لاخته التي يؤثرها عليه ثم يأخذ على والده تساهله ويلفت نظره إلى
العاقبة الوخيمة التي تحطم أخته إذا استمرت في حفظ القرآن كأنه
أصبح هوايتها المفضلة في حين لم يبق على الامتحان غير أسابيع ..
ويشجع الابن أمه فتزداد سخطاً وتلوم زوجها على تهاونه في تربية
ابنته ولم يكن في وسع نسمة إلا أن تخلو بنفسها في غرفتها تبكي بكاء

مرا في حين يخرج موسى معتقدا أنه أزاح الحاضر الذي يحول بينه وبين
زينب متمنيا أن يقذف بأخته إلى الجحيم ليستريح منها كي يخلوا له
طريق الوصول إلى زينب وتخطر نفسه أن ترسل خطابا مع شقيقها
يوسف سرا إلى زينب يطلب منها مقابلة أمها أمام باب حكمة الزهدة
وتستجيب زينب لرغبتها لعلها أنها لا بد تحملت من الأذى ما يفوق
الإحتمال من أمها وبعد أن تقابلها يجلسان تحت خميلة في الحديقة بعيدا
عن الأنظار بقدر المستطاع تفضي إليها نسمة بما حدث وبأسلوب شيق
يحمل خلاصة الحب تهون عليها زينب ويفترقا بعد أن يقررا أن
يتقابلا مرتين في الأسبوع في هذا المكان

وفي يوم اجتماعهما كما قررا تخطر نفسه أن تغادر الجامعة دون
أن تمر على المكتبة كعادتها لكي تذهب في الميعاد إلى زينب . . . ويقف
أنور كعادته على بعد أمام الجامعة ليرقب نسمة أثناء خروجها ثم يتبعها
من بعيد دون أن تلاحظ ذلك حتى تصل إلى بيتها وتطال انتظاره وانفض
الطريق من الطالبات والطلبة ولم يرهما ولو لم يكن رآها في الصباح
وتبعها حتى دخلت الجامعة لظن أنها غابت لأمر ما ولاحظ موسى
تأخرها على غير عادتها في هذين اليومين ونبه أمه إلى ضرورة معرفة
سبب تأخرها فلما سألتها أمها ادعت أنه بمناسبة قرب الامتحان زادت
ساعات بعض المحاضرات التي تغيب الدكتور فيها لسفره إلى الخارج
وشجع موسى على الارتياح في هذا الزعم طالبة معها في الكلية وفي الفصل
أثناء عودتها بعد الدراسة في الميعاد المعروف كالمعتاد وفي اليوم الذي
تأخر فيه أخته ذهب في ميعاد الخروج إلى الجامعة ليعرف بالضبط

سبب تأخيرها وخرجت جميع الطلبات وفيهن من يعرفن من زميلاتنا
في الفصل . . . ومنى الوقت ولا أثر لها ولم يستطع في هذا اليوم أن
يعرف سبب تأخيرها . . . إذ جاءت متأخرة كالمعتاد في هذا اليوم
وإزداد ريبة وشكا واضطر أن يواجهها بأنها لفقت اكدوبة لوالدتها
تبرر تأخيرها ولم تشأ أن تصطدم معه فلزمت الصمت واعتصمت في
غرفتها تهون عن اسماها بقراءة القرآن في صمت وهدوء . . . واعرضت
عن الطعام لكيلا تجتمع مع الأسرة على مائدة واحدة وقد تضطر
للكذب وقد عاهدت الله أن تعمل ما يرضيه وصعب على يوسف
أضرابها عن الطعام فهون عليها وشاركها البكاء في صمت وعرض
عليها مغادرة البيت وتركه لأمه وموسى الوحش القاسى وقال : أنا على
استعداد للقيام بأى عمل لكى أعواك وإن أهمل دروسى فاطمنى فأنا
استطيع رغم صغرى أن أجمع بين العمل والدراسة حتى تكمل
دراستك . . . وتأثرت نسمة من صدقه وبراءته وحبه فقبلته في
عطف وحب وقالت له . . . يجب أن يتعذب الإنسان فى سبيل تحقيق
هدفه إذا كان شريفا وصالحا ومن أجل الله . . . ثم اتجهت بتفكيره
إلى ذاته ف راحت تسأله بعض أسئلة فى دروسه والحياة العامة قائلا . . .
اقرأ . . . اقرأ كثيرا كلما اتسع وقتك بعد تأدية واجباتك المدرسية ..

وبدأ أنور يفكر فى انصراف نسمة من الجامعة قبل مياعادها
المعتاد وهداه تفكيره على أن يترك آخر محاضرة له لكي يقف مبكرا
أمام الجامعة عليها تخرج مبكرا . . . ولم يكده يصل إلى الجامعة حتى
رآها خارجة تسرع الخطو كأنها على مياعاد فتبعها من بعيد حتى بلغت

مكان لقاءها بزينب ودون أن يشـعر به سـمع نسـمه تـتـلو القرآن
 بصوت معبر بصدق وإيمان وحرارة وكان كلام الله تنزل على قلبها
 دون سواها وعندما تأمبا للإعصاراف ناولتها زينب ورقة قائله . .
 قد جمعت لك هذه الأحاديث النبوية فاحفظيها . . وقبل أن تمتد
 يدها نسمة لتأخذ الورقة طارت بعيدا . . وجرت وراءها زينب واشد
 ما أدهشها رؤية أنور يسبقها لاختطاف الورقة . . وسمرت في مكانها
 لحظه وقد أخرجت المفاجأة لعمانها وناولها الورقة وهو يقول .
 صدفة عجيبة . . كنت في حاجة اليوم للترويح عن نفسي لتجديد
 نشاط ذهني وهذه المنتزه رائعة ممتعة تجلي الذهن وتساعد على المذاكرة
 أليس كذلك ؟ . . ولحتمها نسمة . . فحبل إليهما أنهما كانا على موعد
 وهمت لتصرف وقبل أن تتحرك تقدمت منها زينب بعد أن قالت
 تعال لأقدمك لصديقتي . . وقالت لنسمة . . تصوري الصدفة . .
 أنور حضر للاستذكار . . إنه كأخي تماما وهو يشرف من يتعرف
 عليه لنبله وأظنك رأيته قبل الآن . . فهزت نسمة رأسها بالإيجاب
 دون أن ترفع نظرها إليه . . وعقب أنور يبدو أنها جاءت أيضا
 فقطاعته زينب لغير المذاكرة في علومها . . قال . . للتمتع بالطبيعة
 واستعادة لنشاط ذهنها إذ لا شك ووجه الحديث لنسمة . . تصبرين
 الليل لقرب الامتحان . . فقالت . . لا هذا ولا ذاك . .
 فنظرت إليها زينب بمعنى . . لا ضير من مصارحته . . فقالت لنسمة
 وقد أظهرت المصحف بين يديها . . جئت لمراقبة هذا انه حبيبي
 فابتسم في ابتهاج وقال . . ونعم الحبيب . . وأي حبيب يا أختاه . .

المهم يمكنك الارتفاع إلى سمائه . . قالت . . إني أحاول . . وهذا
قالت زينب . . أنها جديرة بتهنئتك يا أنور فقال . . لم يحن وقت
الامتحان بعد فعلام التهنئة ؟ . فقالت نسمة . . سأوفر على صديقتي
الف والدوران . . انها تعني تهنئتي على حفظ القرآن . . فمد يده
ليصالحها قائلاً . . تهنئه لا حد لها وتفوق أسمى عبارات البيان . .
فقالت زينب إذن إجلس لتسمعها وهي تتلو القرآن فتقرأ نسمة مع
الإيجاز ثم تخاطب زينب . . لقد تأخرت اليوم وأنت تعرفين المقرب
الذي ينتظرني ليلدغني كلما رأيته ويفهم أنور ما ترمي إليه فقد تراءى إلى
مسمعه ما دار من أحاديث أمها وأخيها ووالدها فهدأ من ورعها
وطمأنها قائلاً . . بقدر عذابك يكون أجرك عند الله فاطمئني وعند
عودتهم طلبت منه نسمة أن يسبقهما خشية أن يراه موسى فقال . .
كان في نيتي ذلك قبل أن تلتقي نظري . . وتنحى عنهما قليلاً وعندما
همت بركوب الاتوبيس وهي مضطربة . . إنزلت ساقها ووقعت
على الأرض ولم يأبه السائق رغم صراخ الركاب وبعض المارة
وأسرع أنور وحملها في تاكسي حيث صعب عليها الحركة وكان لابد
أن تذهب إلى المستشفى وبعد أن استقرت كلف زينب أن تخاطب جيران
نسمة بالتليفون باسم زميلة لها في الكلية لتخبرهم بالحادث كأنه حدث
بالقرب من الجامعة أثناء انصرافها ولم يتركها إلا بعد أن أوصى طبيب
يعرفه كان زميله في الثانوية . . وعاد إلى بيته مهموما لا يدري كيف
يرعاها وفي طريق عودته حاولت زينب أن تشعره بما تسكنه له من
حب وتقدير وهو لاه عنها بالتفكير في نسمة تفكير المحب الواله .

ونسيت الام ما بينها وبين ابنتها من خلاف لما اصابها
ففرغت وأسرعت إليها بمرافقة الوالد الذي كان فزعه أقوى وأشد
وموسى الذى تظاهر بالالم منتظراً بحىء زينب الذى تعمد أن يخبرها
بما اصاب نسمة لكي يراها لاعتقاده أنها ستذهب إليها قطعاً . .
وتظاهرت زينب بالفزع والالام الشديد كأنها لم تعلم من قبل وكان
أكثرهم حزناً يوسف الصغير الذى لام أمه وأكد لها أنها سبب ما اصاب
أخته لسوء معاملتها مما جعلها تسرح أينما كانت مفكرة فيما يجب أن
تفعله للتخلص من حياة النكد الذى تعانيه بسببها . . وأنتهز موسى
فرصة تردد زينب على أخته فى غير مواعيد زيارة والدتها لكيلا تشير
ما ينقص حياة المريضة . . وبدأ يتخذ مسلكاً جديداً لتطمئن إليه بعد
أن فشلت سياسة استهتاره وجرأته ونجح فعلاً إذ بدأت زينب تغير
رأيها عنه وتعامله كأخ غير مترددة كلما دعاها للذهاب والإياب معه
لزيارة نسمة فى الوقت الذى اضطر فيه أنور أن يتردد على الطبيب
الصديق فى المستشفى ليطمئن عليها دون أن يشعر من يترددون عليها
حريصاً على أن يرسل إليها صباح كل يوم باقة من الفل حيث رآها
أكثر من مرة تضع باقة منه على منضحتها أثناء مذاكرتها حيث كان
يشترىها يوسف الصغير من مشتل بتكليف منها دون أن يشير إلى
اسمه وعند ما سألت الممرضة عن هذه الباقة ؟ قالت الممرضة لقد
أخبرها البواب أن زميلة لها ترسلها إليها ريثما تتاح لها فرصة زيارتها
لأنها مشغولة بخدمة والدتها المريضة وقت فراغها كله وصدقت نسمة
ذلك حتى ذلك اليوم الذى حضرت فيه زينب وحدها مبكرة
وأخبرتها أنها لمحت أنور وهو يعلم البواب باقة الفل وعلقت . .

تعبير جميل عن تمنياته لك بالشفاء إنه يراعى حق الجوار فالجار عنده
كأقرب القربى إليه .. إن اتزانة يفوق سنه واسترسلت في امتداد
وتصوير إعجابها به وأرادت نسمة أن تخبر عواطفها فقالت .. إن
معاملته لك يا زينب دليل على تعلقه بك ويبدو أنه يفكر في الزواج
منك ؟ وأطرقت زينب في حياء وتنفست الصعداء ثم قالت .. أعتقد
أنه لا يفكر في ذلك قط فقد سمعته يتحدث مرة في حوران مع والدته
عند ما نبهته إلى قرينة لها تتمنى أن يتزوجها بعد انتهائه من دراسته
فقال لها يومئذ .. لن يتزوج إلا بفتاة جامعية ولا يهمه الشراء والجاه
فقريبتها ثروتها في المال والعقار وهو يريد ثروة في الذهن والقلب فهذه
الثروة لا تغنى أبداً .. وكأنها بمشاعر اليأس هذه اعتصرت قلب نسمة
فقالت .. من يدري يا زينب يوم تغلبه عواطفه وتملكين زمام قلبه
يتجه نحوك وسيجد عندك من ثروة الدين والخلق ما يكفل له حياة
السعادة الزوجية الحقة واعتقد أن ثروتك الدينية منحتك ثروة فكرية
وحسية تفوق ما تكتسبها الجامعية من الدراسة النظرية . وأكدت لها
أنها مستعدة أن تقوم بما تشير إليه لتحقيق لها هذه الأمنية .. وغمرت
الدموع عيني زينب وهي تقول .. أشكرك على شعورك النبيل
يا عزيزتي كل شيء بمشيئة الله .. ونسيت نسمة نفسها بمشكلة زينب
وراحت تفكر كيف توفق بينها وبين أنور رغم عدم انقطاع باقة
الفل وإحساسها الدقيق بأن أنور يهتم بها كما يبدو من نظراته كلما وقع
نظره عليها أو تحدث إليها رغم إيجاز الحديث .. وفي هذا الوقت
كان موسى يمارس النفاق بتوزيع عواطفه بين زينب وتغريد أخت.

أنور فإذا تأكد من خلو منزل تغريد من أخيها فتح النافذة في حزن وراح يخاطبها بلغة الإشارة مردداً أغاني الحب

وفي اليوم الذي صرح نسمة بمغادرة المستشفى حرصت زينب بعد أن علت منها بمرافقتها أثناء خروجها وانتهم موسى الفرصة ليرافقها عند ما علم أن زينب ستصحبها وفي سياق حديثه مع أخته في الطريق أخبرها أنه بمناسبة استلام عمله من أول الشهر فقد اتفق مع أسرته على الانتقال إلى مسكن جديد يليق بمستقبل أخته المنتظر ومركزه الجديد وتدخلت زينب في الحديث لتبدي إستيائها من اهتمامه بالمظهر دون أن يهتم بالجواهر ورغم تحييد نسمة لرأي زينب فإنه لم يأبه لاعتراضهما ناقماً على حياة التقشف والتواضع مؤثراً حياة البذخ والتمتع بكل ما يمكن التمتع به ويطول بينهم الجدل نسمة تؤثر حياة الطمأنينة والاكتفاء والاعتدال وزينب توافقها مع الاستمتاع بالكماليات إن سمحت حالة الأسيرة المادية دون إرهاق أو اضطراب للاقتراض وعندما تصل نسمة إلى البيت تودعها زينب راجية لها تمام الصحة والعافية معتذرة إلى اضطرابها لعدم زيارتها بعض أيام لمرافقة والدها أثناء إجراء عملية جراحية له وقبل أن تصل إلى بيتها يلحق بها موسى ويستوقفها قائلاً .. لا تحملي هم والدك واعتمدي على كل ما يعوز الأسرة مع مطالب الوالد .. وبلغ أسلوبه المخلف بالحنان أعماقها فشكرته وبدأت تستشعر بالثقة فيه .. ولما خلت نسمة بنفسها نذكرت المظروف الذي تناولته من الممرضة عند مغادرتها المستشفى ولم تنفضه لضيق الوقت وخشية اطلاع موسى عليه ..

وقد اضطرت أن تخبره بأنها مذكرات كانت كلفت زميلة لها بإرسالها
إليها على المستشفى إذ لم تكن تعلم أنها ستغادرها اليوم . . وطاف
بخاطرها أنها رسالة من صاحب باقات الفل وتنبهت مشاعرها الخفية
واسكنها فوجئت بقصة مطبوعة عنوانها — إيمان الإيمان — لمؤلفتها
جميلة العلايلي . . ولم يشر مرسلها إلى اسمه . . بل اكتفى بكتابة إهداء
إلى من تعيش مع الإسلام بقلوبها راجيا أن يرسو مطافها حيث تريد . .
وظنت أن زينب أرسلتها بمناسبة شفائها لتتوب عنها أثناء تضييقها ومر
بخاطرها طيف أنور . . وعدم إرسال باقة الفل يوم مغادرتها
المستشفى كأن الراسل علم بخروجها ولم يعلم بذلك غير أسرتها وزينب
وتلاعبت بها الهواجس تدنى أنور منها آنا وتقصيه عند ما تتذكر
تعلق زينب به ويناجيها شقيقها يوسف يوما متعسلا : لا أرى في
غرفتكم أثرا للفاكهة التي يحضرها موسى لك يوميا ومتى كنت تتناولين
الحلوى بدوني ؟ فدهش وتقول . . لم اشتر قط أى فاكهة ولو أردت
لكفئك بالشراء ؟ . . . هذا إذا كان لدى فائض من مصروفي الخاص
ويبدى الصغير دهشته قائلا . . لقد رأيت أخى وأنا عائد من
المدرسة يشتري فاكهة . . وقد بحثت هنا فلم أجد لها أثرا . .
إذن هو يأكلها وحده خلسة . . ما أقسى قلبه وتدافع نعمة عن
موسى قائلة . . لقد خدعك نظرك يا يوسف . . لا بد أن الشارى
يشبهه فيهرز رأسه علامة الارتياح ويتركها وقد اعتزم أمراً . .
وأسرع إلى الفاكهة وسأله . . عن ثمن كيلو البرتقال فلما أخبره

قال الصغير لقد نسيت النقود في المنزل فقال الفاكهي . . خذ ماشئت
على الحساب فإن شقيقك موسى أفندي يأخذ كل يوم الفاكهة لاختكما
المريضة على الحساب وسوف يدفعه آخر الشهر . . فيعذر الصغير
قائلاً . . شكراً . . شكراً لا بد أن استأذن والدتي . . ويسرع إلى
أخته لينقل إليها حديث الفاكهي ويحاول أن التمسك من هذه الفاكهة
لأنه لم يحضر للنزل أو لاخته أى فاكهة . . وأخذ يوسف على عاتقه
ضرورة معرفة مصير هذه الفاكهة . . واختبأ وراء مخبأ السلم أثناء
خروج موسى ثم تبعه من بعيد وراه عندما اشترى الفاكهة ثم مر على
البقال واشترى حاجيات أخرى ثم ركب تاكسي فتعلق يوسف بخلف
التاكسي في حذر لكيلا يراه ثم استوقفه أمام مستشفى الجمهورية وعند
دخوله رحب به البواب كأنه تعود على ما يناوله إياه من نقود
واستطاع يوسف أن يتبعه في حذر وكأنه معه لكيلا يمنعه البواب
من الدخول وعلى مقربة من الغرفة التي دخل فيها استطاع بشقاوة
الصغير الذي أن يرى زينب ووالدها وهو يقدم إليهما ما حمله . .
وعندما تعلم نسمة ذلك تدهش لقدرة زينب على استغلال أخيها في
الوقت الذي تحب فيه أنور . . وتندم على ما أولتها به من حب أكيد
ثم تستعرض حالة أسرتها فيتلاشى احتقارها ويتحول إلى عطف عليها
موقنة بأن الذنب ذنب موسى لما طبع عليه من بذل ما تمتد إليه يده
من المال للتأثير على من يميل إليها أو يحاول التأثير عليها لتميل إليه
وتناست ذلك باستئناف دراستها والاستعداد لتأدية امتحانها وأعزمت

ألا تمس زينب بسوء أو تخرج شعورها إذا عاودت زيارتها إذ لا ندس
أنها كانت تحمل إليها كل يوم المحاضرات طوال مدة مرضها بدعوى
أن زميلة لنسمة تحضرها إليها لتسليها لها إذ ظروفها العائلية لا تسمح
لها بمغادرة منزلها بعد العردة من الجامعة وعندما سألتها نسمة من تكون
هذه الزميلة الكريمة قالت لها . . . إنها ترسلها مع خادمها في وقت
أكون متغيبية عن المنزل لأن خادمها يعرف علاقتي بك حيث كانت
ترافق أمها أثناء زيارتنا مرة لأن أمها صديقة لوالدتي منذ كانتا يقطنان في
منزل واحد وكانت والدتي أخبرتها في سياق حديثهما بعلاقتنا وترددك
علينا ووجهت الأم بدورها ابنتها عندما علمت أنك مريضة بمساعدة تلك
وكان ذلك كاف للتكفير عن خطيئة زينب لقبول هدايا موسى دون
مبرر لذلك .

وعندما عادت نسمة إلى كليتها حاولت أن تتعرف على الزميلة التي
كتبت إليها المحاضرات . . . فسمعت باستقبال زميلات والملاء لها
بفرحة لقاءها بعد تيسام شفائها ولم تلاحظ على أحدها ما يشير إلى
أنها كاتبة المحاضرات واضطرت أن تواجههم جميعا قائلة . . . لست
أدرى كيف أشكر من تفضلت منكم وكتبت لي المحاضرات انني
مدانة لها بنجاحي إذا كان مقدرا بإذن الله . . . ولم تنبس أي زميلة
بكلمة تنبى على أنها الكاتبة بل تبادلت النظرات وكل منهن تحاول
معرفة من قامت بهذا العمل نادمة على أنها لم تقم به وإنهات عليها
كلمات الاعتذار من كل واحدة آسفة لتقصيرها اعتمادا على عودتها
بسرعة وخشية عدم وضوح الخط أو نسيان بعض كلمات قد تغير

المعنى والمرمى . . . وأثناء انصرافها تقدم منها أحد الزملاء ولم يشأ أن يتحدث أمام الجميع إذ ألزم الصمت وانتهر فرصة عدم وجود أحد بجانبها في الطريق وأخبرها أن صديقه أنور الذى يقطن بجوارها كلفه بكتابة المحاضرات وكان يتسلمها منه ليرسلها إليها وقد كلفه بعدم إشاعة ذلك أو الإشارة إليه سراً أو جهراً . . . أما ولا بد أن تعرف فهو مضطر إلى مصارحتها بالتشكر أنور . . . الذى قام بنقل المحاضرات على الآلة الكاتبة ليتسنى لها قراءتها دون جهد أو التعرف على حط كانها .

وبدأت زينب تردد على نسمة دون أن تتحدث عن أنور كسابق عهدا ولم تعد تخلق مناسبة لتحدث عنه مما نبه تفكير نسمة إلى هذا التغير الغير منتظر ورجحته إلى سبب اعتقاد زينب بأن أنور يحبها ولم تشأ أن تشير غيرتها ولكن حب الاستطلاع سيطر على نسمة لى تعرف سبب هذا التحول فسألته لم يبق على تخرج أنور غير أسابيع قليلة واعتقد أنه سوف يتقدم لخطبتك بعد ظهور النتيجة مباشرة فقاطعتها . . . لن يحدث هذا لاستحالة تحقيقه لأن والدته تريد أن تزوجه قريبة وقد سبق أن صارحنى بذلك فى سياق حديث له كما أخبرت والدته والدتى بذلك ولكن بعد أن تتزوج أخته . . . ولم تشك نسمة فيما قالت ووجدت أنها على حق فى تجنبه وعدم التعلق به دون أمل .

وتمر الأيام ونسمة فريسة الهواجس والخواطر رغم عدم تركيز عواطفها على أنور خشية أن يصددها الواقع عندما يتزوج

قريته كما أنه لم يتحدث إليها صراحة عن تعلقه بها رغم أن
 اهتمامه وتفهماته دليل قاطع على مياله إليها . . . ومع تحكيم عقلها
 رجحت ذلك بالتزامه رعاية حقوق الجار بحكم تربيته الدينية ولاحظت
 أثناء ذلك تغيب — موسى — من البيت باستمرار وفست ذلك
 إلى استهتاره الممهود وبينما تبحث في غرفته عن قلبها وجدت في درج
 صيوانه مظروفا فلما فضته وجدت مجموعة من الصور لتغريد التقطت
 لها كما يبدو وهي في طريقها إلى الجامعة أحيانا أو واقفة تنتظر الأتوبيس
 وهو واقف بجانبها . . . فهاها الأمر وأدركت أنه لا يمكن مطلقا أن
 تتصور تغريد معه في الطريق العام وفكرت فيما عساه أن تفعله
 للتأكد من هذا التصرف الشائن . . . وساعدها على معرفة الحقيقة خاتم
 المصور المبهوم خلف الصور . . . وسرعان ما ذهبت إليه وسألته
 في لباقة هل يمكنها أن تتصور مع خطيبها مثل هذه الصور فقال المصور
 في بساطة . . . هل سيحضر معك شخصيا أم تريدني ضم صورتك
 إليه إذا كان واقفا في الطريق العام عكس هذه الصورة فالفتاة كانت
 واقفة في الطريق . . . أعني التقط لها الصورة عن بعد ثم ضممتها إلى
 صورته شخصيا هنا في الاستديو . . . وهنا تنفست الصعداء ولم تشأ أن
 تشعره بما خفي عنه وأخبرته أنها سوف تتصل به تليفونيا لتدعوه إلى
 الطريق الذي تعزم فيه التصوير . . . وانصرفت مستريحة البال من
 ناحية — تغريد — نائمة على — موسى — لتفنته في الإجمام والعبث
 بكرامة فتاة عفة . . . وفي منتصف الليل واجهت شقيقها باكتشاف عبثه
 وجونه ومدته بالابتعاد عن تغريد وإلا اضطرت إلى مصارحة شقيقها

فلم يأبه بتهديدها بدعوى أن الفتاة تحبه ولا شأن لها بهما وحيال تأكيده
صارحته أنها سوف تكشف ألاعيبه مع الفتيات التي غرر بهن لتغريده
وتحت يديها رسائل غرامية منه قدمتها إليها زميلة له في المكتب بعد
أن اكتشفت لهواه واستهتاره مع فتاة أخرى راجية منها أن تبعده عنها
وإلا كشفت أمره للدير وتحت يديها ما يثبت مجونه وعبثه وتغريده
ببعض الزميلات . . وتركته وهو يقهقه ساخرا قائلا . . انصحي
نفسك وابتعدي عن أنور فانه لا يحبك وان يحب فتاة صهيونية
واضطجع في فراشه مضمغا دعيني أنام . . ولم يهدأ بالها حتى أسرع
وقابلت المصور وأفهمته بخطورة العمل الذي قام به وأن الفتى التي كلفه
بإخراج هذه الصور .. مجرم يريد أن يهدد فتاة بريئة حاول التقرب منها
ومغازلتها فلما استعصى عليه التأثير عليها لجأ إلى هذه الحيلة ليهددها . .
ولما اكتشفت الفتاة ذلك أردت أن تبلغ النيابة وهو المسئول عن هذه
الجرمة . . وختمت حديثها بقولها لقد صعب على أن أقدمك للمحاكمة
لأنك صديق لأخي ولا ضرورة أن تعرف من هو لأنني أعرف أنه
سيألم لك إذا أصبت بسوء لذلك رجوتها بعدم التبليغ وتنبهك إلى
الحقيقة لعدم القيام بمثل هذا العمل مستقبلا إذ ذلك يتنافى مع شرف
الفن وتسجيل العلاقات الغير مشروعة من أجل الكسب . .
وثاني يوم ذهب موسى إلى المصور لاستخراج صور بديلة . .
فرفض المصور وأدرك أن أخته اتصلت به ووجد الموقف يتطلب
منه وضع حد لتصرف أخته . . فأسرع إلى البيت وفي طريقه قابله
يوسف الصغير وفي يده رسالة فاخطفها منه فوجدها معنونة باسم

تغريد . . وفضها فاذا بها موقعة باسم مجهول . . ينصح تغريد
بالابتعاد عن موسى ولا أضطر المرسل أن يخبر شقيقها . . فمزق
الرسالة وقال ليوسف . . قل لها أنك سلمتها إليها ففطر إليه الصغير
في امتعاض قائلا . . لن أكذب سأقول لها الحقيقة . . فهدده يوسف
بأن يمنع المصروف عنه إذا لم يخبر أمه بأن نسبه ترسل أنور بوسيطته
فأبدى الصغير استياءه وقال . . أتريدني مثلك كذوبا مستهترا . .
قل لوالدتي ما شئت فإن اساءت إلى سأترك البيت لغير رجعه . .
وليتولاني الله برحمته ورعايته . . وتركه وجرى نحو أخته فلم يجدها
إذ كانت غادرت البيت لتذهب إلى الجامعة . . واسرع موسى بتلفيق
اكذوبة إلى أمه . . فقال لها . . إن ابنك يتعلم القرآن مع صبية من
المسلمين على يد الشيخ والد زينب . . وفقدت الأم أعصابها فلما عاد
إليها الصغير انتهالت عليه ضربا دون رحمة حتى سال الدم من أنفه فلم
تتوقف عن الضرب وهي تردد . . لخير لك أن تموت من أن تترك
دينك يا ملامون . . وفقد الصغير النطق وبعد عناء استطاع أن يتحرك
ويترك البيت . . ونهبت الأم موسى قائلة . . لا تدعه يخرج سوف
أحبسه هنا طوال مدة العطلة لكيلا يذهب إلى الشيخ فالولد صغير
ويمكن تأثير الشيخ عليه . . فابتسم موسى ابتسامة الرضا ولم يلحق
به متمنيا ألا يعود قائلا لأمه وهي تردد . . لا تتركه يذهب . .
أسرع وقيده بالحبل وجره إن عصاك . . وقام متكلما بالإسراع ولسكنه
وقف أمام الباب يرقب نافذة زينب ولم يحاول البحث بنظره عن أخيه . .
وعانى الصغير مقاومة ما أصابه من ضرب أمه وتوقف لحظة بعيدا عن

داره يدبر أمره وعمر به أنور فماله منظره وأثر الدم على شفثيه وملا بسمه
فعمطف عليه وسأله .. هل تشاحنت مع أحد فاصابك ؟ فقال يوسف ..
كلفتني نسممة بشراء كراس لها وقد نسييت وصحوت فلم أجدها ومع
سرعتي أثناء هبوط السلم وقعت فاصابني ما اصابني فجذبه أنور في حنو
قائلا .. ولم السرعة فقال يوسف كنت أريد أن ألحق بها خشية أن
تكون في حاجة إلى الكراس .. فقاده أنور إلى أقرب صيدلية وقام
الصيدلي باللازم لتطهير الجرح وإيقاف النزيف ودفع أنور الأجر
وناوله بعض النقود قائلا .. يمكنك تعاطي السندوتش واسترح
وسوف أرسل للكراس إلى أختك باسمك فاطمئن .. وبعد أن غاب
أنور عن ناظريه .. ركب السيارة بضمن السندوتش وكان أنور
ركب تاكسي وأرسل الكراس إلى نسمه .. واشد ما أدهشها ..
تسليم الكراس لها بدعوى أنه من أخيها يوسف .. وألهاها التفكير
في إرسال يوسف للكراس عن المحاضرة حتى لفت سروحها نظر
الدكتور المحاضر وزميلتها .. وعندما نهبها الدكتور اصطنعت الصداع
فأمرها بالإفصاف للراحة .. وخرجت قيل ميعادها المؤلف لأنور
وكان يوسف واقفا في مكان يمكنه من رؤياها فلما رآها هرع إليها
فريمت وسألته .. هل أصيب الوالد بسوء فقال لا .. أشعر بدوار
شديد فهل يمكن أن نجلس في مكان بعيد عن هنا لاتحدث إليك فأخذته
إلى حديقة الحيوان وبعد أن حشها بما جرى هونت عليه ثم قالت ..
تعال تمتع برؤية الحيوانات لتجد فيها ما لم تجده في الإنسان .. حب
وألفه وتعاون وحنان ومررت معه .. وهي تشرح له طبيعة كل حيوان

أو طير يمران به وعندما رأى الأسد قال لها . . أظن إذا خرج هذا
 الأسد من قفصه يأكل أي حيوان صغير يقابله . . قالت أنه لا يعتدى
 على غيره إلا إذا اعتدى عليه أو كان جائعاً . . وحين موعد عودتها إلى
 المنزل قالت . . نسيت أن أسألك لماذا أرسلت الكراسة إلى ؟
 فقال . . ونسيت بدوري أن أذكر لك السبب . . وذكر لها أنه لفق
 سبب نزوله مسرعاً من على السلم لاذ لم يشأ أن يذكر لأن نور السبب . .
 فقبلته حانية قائلة . . أنت شقيق أختك يا حبيبي حفظك الله . .
 ولكن هيا نعد وكأنني رأيتك جالساً على قارعة الطريق قرب البيت
 رصارحاً بأنه صمم على عدم الذهاب إلى البيت وسوف يبحث عن عمل
 ليقتات منه ويتعلم . . فابتسمت لتهدى من روعه وقالت . . هب
 أنك وفقت إلى عمل فأين تمام فسرّح بهصره بعيداً لحظة كأنه يتخيل
 ما مر بخاطره ثم قال . . لقد رأيت زميلي الذي فقد أمه وامرأة والده
 تسومه أشد العذاب وتحول بينه وبين المذاكرة بتكليفه للقيام بأعمال
 البيت بدل الخادم . . من كنس ومسح وغسل الأطباق وغسل
 الملابس . . ولما أحس بالإرهاق وعدم التوفيق بين دراسته وأعمال
 البيت ووالده يساعده زوجته ويقصر عليه إذا أهمل تنفيذ أوامرها . .
 وهو راغب في الدراسة ترك البيت وهو ينام في مسجد بعد أن استأذن
 شيخ المسجد الذي عطف عليه عندما علم بما يعانيه وقد ساعده الشيخ
 على إتمام الدراسة بمعاونة ولده الكبير الطالب في الجامعة ولم يشأ أن
 يذهب إلى المدرسة ليأخذه والده إلى جهم الذي كان يعيش فيها دون
 رحمة أو عطف فدعيني أنام معه في المسجد ويمكنك الاطمئنان على

والمجيء إلى إذا شئت فمات على وجهه تقبله قائلة .. يا حبيبي ..
ثق بأن أمك تنفقد صوابها إذا فقدتك وسوف تزداد قسوتها على إذ
تظن أنني السبب في هروبك لدفاعي عنك دائما .. فتعال معي الآن
وسأعرف كيف أحملك منها ومن موسى .. فقال الصغير .. سأحضر
لكيلا أسبب لك متاعب بسببي .. فاذا تمادت في إبدائي فسوف أنفذ
رغبتى .. وتنفست الأم الصعداء عند ما دخل يوسف وقالت .. لقد
ذهب موسى ليبحث عنك .. أيها الملعون .. فقاطعتها ابتها .. أما يكفي
ما حدث له من جراء ضربك .. لقد اضطرت إلى تضميد جرحه
عند ما رأيته ينزف الدم وهو جالس كاليتيم والشريد على الطريق
يا أماه .. ارحمينا ونحن لا نطلب منك غير الرحمة .. وقبل أن تتكلم
يدخل موسى فلما يقع نظره عليه يقول لأمه لقد بحثت عنه في كل
الشوارع والأزقة والمستشفيات إذ علمت أن صبيا مزقه الترام لأربا
وقد حملته الإسعاف إلى المستشفى .. وكدت أجن من هول الصدمة
وكيف أبلغك الخبر والحمد لله وأعلمه يرتدع بعد ذلك ولا يعود إلى
تصرفه الخاطيء ثم يشير إلى أخته لتلحق به في غرفته فلما يخلو إليها
يقول لقد قابلتني تغريد في الطريق وأخبرتني برسالتك الملفة إليها
ولم أشأ طبعاً أن أشوه علاقةكما واكشف سوء نيته لها وتجاهلت
نسمة ما سمعته من يوسف وقالت في هدوء إذا كانت تحبك حقاً فهي
إذن جديرة بحبك فاعتنق الإسلام وتزوجها فريع ونظر إليها شذرا
قائلا - أجنونة أنت هل تبلغ بك الحماقة والاستماتة بدينك إلى التضحية
بأخيك . تريدن أن نجربني في يا ملعونة فلم تأبه لادعائه وقالت أعرض

عليها اعتناق دينك ما دامت تحبك كما تقول ١٩. فابتسم وقال وهل
تظنين أنها تقبل ذلك؟ فقالت إنك ماهر في الإقناع فأول أن تفهم
معها وتقنعها.. فنظر بعيداً لحظة كأنه يتخيل موقع عرض الاقتراح
عليها لو فعل ثم قال.. سأحاول وليتها تقبل.. وسكتا عند ما نادى
الأم عليهما لتناول الطعام.. على أن هذه الفكرة سيطرت على ذهن
موسى فشغلته إلى حد لم يتناول الطعام بشهية كماداته وانصرف بدعوى
أنه على موعد مع صديق له.. وكان على موعد مع زينب فالتقيها وفكرة
التحول من دين إلى دين قد سيطرت عليه ففاجأها.. أريد أن أتزوجك
فما رأيك خيل إليها أنه يعني ما يقوله وكان إقباله على تعلم الدين بوسيلة
والدهما من حين إلى حين دليل على رغبته في اعتناق الإسلام كما كان ينوه
بذلك في سياق أحاديثهما.. فقالت.. طبعاً تعرف شروط هذا الزواج
فقال.. أولاً الحب متوفر لدى وثنائياً استطيع استئجار شقة لنا وإعداد
الأثاث اللازم بقدر المستطاع.. وسكت فقالت.. هناك ما هو أهم
من ذلك؟ قال توفير أسباب الراحة لك.. قالت: دعك من الماديات
والحب.. المهم.. دين واحد.. قال ماذا تعنى قالت: دينك كديني
فهل هيأت نفسك لاعتناق الإسلام.. قال: ولماذا تكون التضحية
من جانبي لإثبات حبي لك.. وأنا رجل متصل بالمجتمع أما أنت
فلا يعرفك أى أحد.. ويمكنك اعتناق ديني دون أن يعلم أى أحد
بذلك فريعت وبان الغضب عليها وقالت في عنف.. أجنون أنت
أنا أترك ديني لأخبرك أن أموت بسببهم الحب على أن أتحوّل عن ديني
وإذا كنت بادلتك العاطفة.. فلأنك أقبليت على تعلم القرآن فهل

اتخذت ذلك وسيلة للتأثير على أم كنت تتعلمه بدافع الرغبة الأكيدة
بعيدا عن الهوى فاصطنع الهدوء وقال .. وهل من المعقول أن اسمح
لك بتغيير دينك في الوقت الذي اعمى نفسه لاعتناق دينك .. لا يا
حبيبتي سوف اعتنق أنا الإسلام ونزوج باذن الله قالت : إذا كنت
جادا صارع والدي لكي يتخذ لك الإجراءات الشرعية والقانونية
لتحقيق ذلك فقال بعد أيام ريشما أهى ظروف العائلة لكيلا يحدث
ما يعكر صفونا ويحول دون تحقيق ذلك وأنت أدري برأى والدتي في
هذا الشأن فاقتمعت وقالت .. لتسكن مشيئتك .. وقابل والدها قبل
انصرافه ليلقي عليه آخر آية حفظها وهو يقرأها في المصحف بتلسم
يدل على أنه لم يطالعها من قبل معتمدا على أن الشيخ ضرير وعنه الشيخ
لأنه لا يجيد التلاوة قائلا .. يبدو أنك لا تقرأ الآية إلا أثناء وجودك
هنا .. لا يا ولدي يجب أن تحفظ الآية عن ظهر قلب وذلك يقتضى
التكرار ويتظاهر موسى بالخضوع معذرا عن قصوره .

ولاحظت زينب أن نسيمة لم تعد مقبلة على حفظ القرآن كما كانت
فذهبت إليها لتعتب عليها فأكدت لها نسيمة أنها أصبحت قادرة على
التلاوة وحدها وتفهم ما يصعب عليها عن طريق مراجع التفسير وفي
خلال الحديث لحت نسيمة خاتما ذهبيا سبق أن رآته في أصبع أمها ثم
خلعت الأم واحتفظت به عند ما طلب زوجها بيع المصاغ لافتتاح
متجر ولم تشأ أن تبيعه لأنه هدية من أمها ولكي تتأكد مما خامر ذهنها
أظهرت إعجابها بالخاتم وسألتها من أى صائغ اشترته لتشتري خاتما
مثله وبحسن نية خلعت زينب قائلة ، جربى مقاسه فاذا وافقك كلفت

الصائغ بعمل خاتم مثله فسألتها بعد أن فحصته وتأكدت أنه خاتم أمها
لأن آثار الكتابة السابقة رغم إزالتها مازال لها أثر لا تكفى نفسك
مشقة الذهاب إلى الصائغ وفيدنى عن اسمه فقد أجد عنده أنواع
أخرى فارتبكت زينب وقالت أنا لا أعرف اسمه ولكن والدتي تعرفه
وقد رحل الصائغ من هنا لأنه يهودى وهنا دخل موسى وافتت نسمة
نظره إلى الخاتم بنظرة منها فارتبك ولكنه اصطنع الهدوء وصافح
زينب كأنه لم يرها من قبل قائلاً من زمن بعيد لم نرك وقبل أن
تجيب نادته أمه فالتفت لزينب قائلاً : والدك أرسل لاستدعائك
وقد صرفت الرسول ريشما تسعد أختى بك فانتصبت وافقة وسألت
عن الساعة ثم خرجت بدعوى أنه حان ميعاد تنساول والدها الدواء
وبعد انصرافها أسرع نسمة إلى والدتها فطلبت منها إعارتها الخاتم
لتحضر به حفل خطبة زميلة لها وبعد إلحاحها مع الرجاء وافقت الأم
ولم تفاجأ نسمة لضياح الخاتم كما فوجئت أمها التي صرخت واتهمت
خادم الجيران الذى كان يساعدُها في المنزل أحياناً بأمر من سيده إذ
مرضت .. ورغم محاولة نسمة تبرئة الخادم لأنه يعمل عند الأسرة
التي تحرص عليه لأمانته منذ سنين طوال في زمن قل فيه الأمن من
الخدم ورغم التلميح لموسى بأنه السارق فإنه لم يأبه وراح يؤكد
لوالدته أن الخادم هو السارق .. واتصلت الأم بالشرطة متهمه الخادم
ورغم دفاع الأسرة التي يعمل عندها عنه لإثبات أمانته وبالتالي براءته
فقد حول للنيابة وافرغ عنه بكفالة للتحري وشغل نفسه
بالتسكير لكي تبرئ الخادم دون أن تمس شرف شقيقها بسوء وهو لا

عندهما بنزواته وبعد طول تفكير أرسلت مع يوسف رسالة إلى
 زينب باسم موسى يطلب منها الخاتم لعمل مثله لأخته فزاواته زينب
 الخاتم ووضعتة نسمة في مكان بين ملابس الأم بحيث يمكن احتمال
 وقوعه من الصندوق أثناء تناولها بعض النقود المدخرة فيه ثم طلبت
 من أمها إعادة البحث في صيوانها لأن الأسرة التي يعمل عندها الخادم
 وكلت حاميا للدفاع عنه وسوف يحكم ببراءته لعدم وجود سوابق
 له وسبقته إلى الصيوان محاولة أن تبحث بين حاجيات الأم في غير
 المكان الذي وضع فيه وهي تقول للأم لمبحثي معي في هروء وعندما
 بحثت الأم في المكان الموجود فيه هلات في فرحها هو حمدا
 لله وتنفست نسمة الصعداء وعادت تفكر كيف تفرج عن المهتم
 دون أن تمس أمها بسوء وأخيرا طلبت منها الذهاب إلى الأسرة مدعية
 التنازل عن التبليغ اصغر سن الخادم والحاجة الأسرة الشديدة إليه وهي
 ترجح أنه وقع من الدولاب ولم يره أثناء السكس وضاع في القمامة
 وذهبت إلى الشرطة متنازلة عن الشكوى رحمة بالخادم راسكيلا يزج
 في السجن وقد يغرر به بعض النزلاء ويدفعه للسرقة والنشل وعندما
 التقى موسى بزينب سأله هل أحضرت لأختك خاتما مثله ؟ فخيّل
 إليه أنها تشير إلى إعجاب أخته بالخاتم عندما رآته فقال لقد أوصيت
 الصائغ بعمل خاتم مثله تماما ومرت بعض أيام وزينب تنظر أن
 يعيد إليها الخاتم ولتغيبه الدائم عن المنزل فلم يدر بما حدث وبعد
 مضي مدة تكفي لعمل الخاتم سأله زينب . ألم يذته الصائغ من عمل
 الخاتم .. فقال .. إن صناعته دقيقة تحتاج لمدة كبيرة وخاف أن

تمر مدة طوييلة يتحتم صنع الخاتم فيها ولا تراه في أصبع أخته . .
فاضطر أن ينقطع عن زيارتها بعد أن علم من أخته بما حدث وصارحته
بالتفاصيل وأنها فعلت ذلك لكيلا يزوج في السجن بدل الخادم وكظم
غيظه وقال لها . . لقد كان في نيتي أن أعيده إلى أمي دون أن تشعر
ولقد أخذته لكي تحضر زينب به حفل زفاف صديقة لها . . عند ما
طلبت مني أن أستعير منك خاتما ولما كنت لا تملكين الخاتم فقد
ادعيت انني استعيرته من أخت صديق فقاطعته ولكن زينب أخبرني
أنه خاتم أمها وقد أهدتها إياه . . فقال وهل تظنين أنها تصارحك بأنها
على صلة بي إلى حد تكفي بذلك . . ورغم إيمان نسمة بتلفيق ما ذكر
فقد غيرت مجرى الحديث عند ما دخلت أمه لتكلفه بشئ سراً بعض
الحاجيات . . وقبل أن يغادر البيت عاد إلى أخته قائلاً . . لا أريد أن
تخسري ثقة زينب إذا أخبرتها بأن الرسالة كانت مزورة وأنت التي
أرسلتها . . فابتسمت ساخرة وقالت . . أفهم من ذلك أنك تريد
الخروج من هذا المأزق؟ الأمر بسيط . . قل لها أن نشالا نشل منك
الخاتم بعد أن أخذته من الصانع لتعيده إليها . . وبدأ على وجهه
الارتياح لهذا الحل وانصرف وحضرت نسمة حفل زفاف زميلة لها
وقد حضر الحفل لفيف من الطلبة والطالبات ولحت نسمة أخت أنور
بجانب المروس وفهمت أن العريس قريبها . . وحارات بلباقة أن
تدنيها منها وتقربها إليها أثناء الحفل وعلى أثر الانتهاء وتفاهما
وتواعدا على تبادل الزيارات وانتهزت نسمة فرصة زيارة كل منهما
للأخرى وراحت تكشف لها عن سوء تصرفات موسى وأنه مولع

بتمثيل دور المخرم المتفاني فيمن يحاول أن يجذبها إليه بل يدفعه
الاستهتار أحيانا إلى الاستخفاف بدينه واعتناق دين من تحبه وتضرب
لها عدة أمثلة من مخامراته مع كثير من الفتيات وكلهن مع الأسف
ممتازات إذ يخرهن وسامته وإباقته وظرفه ومسايرتهن وعرضت عليها
بعض صور له مع فتيات جميلات كانت سرقتها واحتفظت بها عندها
دون أن يشعر وانصرفت من عندها تغريد في هذا اليوم بعد اكتشاف
نذالته وخداعه تحمد الله الذي نجاها منه ولا يدرى أن أخته لم تشأ أن
تشعرها باكتشاف علاقتها به لكيلا تسيء الظن بها واعتقد أنها تحاول
التفرقة بينهما ولم يدر موسى أن أخته على صلة مباشرة مع تغريد
وأنهما يتزاوران أثناء عمله.. ولذلك فمصر تجنب تغريد له تدللا ولكي
تدفعه إلى اعتناق دينها حيث نوهت له في سياق حديث لهما.. أن
العلاقة القائمة بينهما لن تستمر ما داما يختلفان في الدين إذ لابد أن
يتزوج بفتاة من دينه وكذلك هي لابد أن تتزوج برجل من دينها
وما دامت هذه العلاقة لا نتيجة لها تضمن لها المستقبل خيرا لهما ألا
يلتقيا ولم يعلق ولم يعترف بغير الحب في الوقت الحاضر والمستقبل
بيد الله.. ولم يأسف لتجنبها إذ كانت زينب ملأت فراغ وقته ولم
تسكن من الحذر بمكان مثل تغريد أضاللة ثقافتها وسذاجتها وكان
لابد أن تحضر تغريد حفل استقبال أم العريس بمناسبة عودتها من
الحج فدعت نسمة لمرافقتها.. وكان أنور ذهب مبكراً ليجامل العريس
وبرفقته زميل له.. وكان من الطبيعي أن يتبادل الجميع التحية
والحديث وعند ما رأى زميله جمال نسمة أظهر إعجابه بها لأنور

وأبدى رعبته في التعرف عليها وحاول أنور بلباقة أن يبعده عنها في
 الوقت الذي اظهرت فيه تغريد إعجابها بزميله إلى نسمة . . واقترعت
 نسمة الفرصة فأظهرت اعراضها عنه لكي يتسنى رؤية تغريد بوضوح
 محاولة أن تظهر محاسنها في مواضع الفتنة فيها وعلى مسمع منه اعتذرت
 لتغريد بأنها مضطرة إلى الانصراف لأنها على موعد مع خطيبها
 وحيتها بعد تهنئة العروس وزوجها والحاجة بعودتها بسلامة الله . .
 وقبل أن تغادر الباب الخارجي لحق بها أنور واستوقفها هل تأذنين
 لي بتوصيائك . . وبصوت ينم عن الأسى أردف . . وسوف
 أتركك قبل أن تصل إلى مكان اللقاء بخطيبك فابتسمت قائلة . . شكرا
 لا مانع وعند مفترق الطريق نظرت من نافذة التاكسي ثم ردت طرفها
 قائلة . . لقد تأخرت وقد ظن أنني لن أحضر فانصرف . . لقد
 تعودنا ذلك . . فقال . . ومتى كانت هذه الخطبة إذ لم نشاهد
 معالم هذه الفرحة لنقدم التهنئة على الأقل فنظرت إليه نظرة حب
 وقالت . . مجرد انفاق شفها بين والده والدي وشبه مرحلة اختبار
 قد انتهت بالفهم وقد لا تنتهي . . الله أعلم . . فعاد يقول . .
 الآن فهمت سبب عدم فتح نافذتك في مواعيد تلاوة القرآن كما أدت
 فقاطعته لأنني أقرأه لاسمع نفسي .. فدهش وقال بلهجة الاغتياب اشد
 ما يسعدني هذا قالت بلهجة الفخار .. وحققت منه الكثير .. قال ..
 أظن على يد الشيخ والد زينب قالت .. أجل .. وعلى فكره .. إن
 زينب تحبك وهي فتاة طيبة مؤمنة صالحة تصلح زوجة لمن يرغب في
 الاستقرار .. قال فعلا أنها فتاة ممتازة أرجو الله أن يوفقهما لزوج

جدير بها وهما اقتربا من شارعها فقالت .. انقف هنا .. وحيتته لتأخذ طريق بيتها وعاد هو إلى الحفل .. فلما رآه زميله قال له .. لم تقل لي رغم صداقتنا أن لك أخت أخرى في الجامعة .. أنها ممتازة يا أنور فضحك وقال أنور .. منذ برهة كنت .. فقاطعه .. لم أر أختك هذه وقد علمت أن صاحبكم يهوديه .. فارتاح أنور لذكر ذلك وقال .. ولكننا تحيا حياة المسلمين الاشراف .. لأنها تحفظ القرآن وتعلم الفقه والتفسير .. فضحك رفيقه وقال .. عليها تحب مسلما وتريد أن تزوجه .. فتمتم أنور كأنه يخاطب نفسه .. ليتها تحقق الإسلام .. إذ لا مثيل لها بين المسلمات إلا القليلات

وعادت نسمة إلى بيتها وكأن مسا منعشا كهرب قلبها ولم يفارق أنور خيالها .. وبدأت تصغفل أمها وتفتح النافذة في مواعيد القرآن وتبادل أنور التحية ومرت الأيام دون أن تفارق البيت لكيلا تضيع منها فرصة فتح النافذة في مواعيد القرآن وقد حرص أنور أن يمكث في المنزل دون أن يشعر بقلق أو تداهمه وساوس فراقها المحتوم لزواجها المراقب .. حتى اضطرت للسفر مع والدها لزيارة ابن عمه المريض الذي هاجر من إسرائيل واستقر في المنصورة .. ولم تفتح النافذة في مواعيد القرآن وإذا فتحها موسى ليطل منها بعض الوقت بعيدا عن ضجيج الزائرين وعندما يحاول أنور أن يراها في حذر لا يرى إلا شقيقها وخيل إليه أنها تزوجت دون ضجة ورحلت إلى زوجها .. وانهاالت عليه خواطر جهمة قائمة بددت الأمل والإشراق .. وباتت الدنيا في ناظره موحشة والشارع مظالما ولم يعد له رغبة في البقاء

بالمنزل . وعادت نسمة مسرعة بعد أن ألحت على والدها بضرورة
العودة لمعرفة نتيجة امتحانها وفتحت النافذة بمجرد وصولها . ولشد ما
هاها رؤية نوافذ بيت أنور مغلقة كلها وسألت شقيقها يوسف عن
سبب غلق نوافذ بيت صديقتها تغريد فهل تراها تزوجت ورحلت الأسيرة
معها لتقضى بعض أيام معها فى مقرها الجديد فأجابها يقولون أن الأسيرة
انتقلت إلى بلدة أخرى ولم تك . تسمع ذلك حتى شعرت بأن ريحا من
اليأس اجتاحت طمأنينة نفسها فغامت عينها بالدموع ولزمت الصمت
كأن صدمة عنيفة أخرستها وبعد مرور بعض أيام وجدت أنها
لا تستطيع اكتساح خراطرها والتغلب على مشاعرها إلا إذا عرفت
سبب انتقال الأسيرة ولم تجد أمامها غير زينب لصلة أسرتها الوثيقة
بأسيرة أنور فذهبت إليها على غير موعد ولشد ما هاها أن تسمع
صوت موسى الذى اختفى عند ما سمع صرتها ولحت الارتباك باديا على
حيا زينب عندما واجهتها وإن كانت غالبت اضطرابها وراعها شحوب
وجه نسمة فترفقت بها وتلطفت ظنا منها أنها تعاني مرضاً فسألتها فى
حنان عن صحتها إذ يبدو أنها متعبة فقالت بصوت ينم عن مقاومة ما
بها .. انحراف ألم بى وأنا ملتزمة بأداء واجب اجتماعى نحو منطقتنا :
ويتحتم تأدية هذا العمل حتى نهاية الشهر وصحى لا تساعدنى على ذلك
ولا أريد أن أتخلف لكيل أتهم بالتهرب من أداء واجب وطنى
فتلاطمها زينب وتقول .. أنا على استعداد للقيام بهذا الواجب إذا كان
فى مقدورى .. فمثلا أمر على المنازل للتوعية من أجل النظافة وتحديد
النسل فتعز نسمة رأسها وقد بدت على شفقتها بسمعة فاترة قائلة .. لو كان

الأمر كذلك لكلفت من تقوم به من بنات الحى . . ولكن دراسة
أحوال البيئة على مختلف المستويات وكتابة تقرير يشمل النقد والعلاج
والنوعية . . فالتسمت زينب قائلة . . لا أفهم فى هذا مع الأسف . .
ولو كانت تغريد أخت أنور هنا لكلفتها بالعمل بدلا منك وإن ترفض
لأنها مشتركة فى كثير من الجمعيات الخيرية . . ولكننى لم أرها منذ أيام
فهل تراها مشغولة بزواجها فتجيب زينب . . لقد سافرت الأسرة إلى
بلدتهم لمناسبة وفاة جدة تغريد . . وسرعان ما انطلق وجهه نسمة
وطرقها الأمل الغائب بحنان دفعها إلى تقبيل زينب والانصراف
مناسبة وجود موسى . . وعندما عادت إلى بيتها لمحت نوافذ بيت أنور
منفتوحة وبسرعة البرق صعدت الدرج لتفتح نافذتها كي تواجه أنور
الذى تراهى لها من بعيد يرقب نافذتها والتقت نظراتهما وكأنهما يتعانقان
فى شوق ولهفة وبعد لحظات لمحت خادمه يخرج ثم يعود ويده باقة الفل
يضعها على منضدة تجاهها وكان عطر الباقة شدها فلم تعد تر غير أنور
ولا تنفس إلا بأنفاسه التى تسالت إلى قلبها كأنسام معطرة بأريج
البنفسج ومرت الأيام وهى دائبة على رؤيا أنور من النافذة يتناجيان
بالنظرات كأنها أسلاك كهربائية نافذة وبالإشارات كأنها ومضات من
النور ناطقة .

وظهرت النتيجة وانتهم موسى الفرصة واقترح أن يحتفل بهذه
المناسبة ولم تعارض أمه لاعتقادها أن مصاريف الحفل سوف تعوضها
ابنتها بعد أن تعمل ولم تعد ملزمة بتوفير أثمان الكتب ومطالب

الحراسة .. ويبدأ الحفل بتلاوة القرآن الكريم من زينب رغم أنف
الأم وخضوعاً لمشيشة موسى الذي تعتمد ذلك ترضية لزينب وراح
يلتزم فرصة حضور كثير من الآفسات مداعباً كل واحدة بأسلوب
يناسبها فلما أظهرت أمه استياءها وتأفكها نصيحها بالكف عن إظهار
شعورها لكيلا تثير الشك في نفوس الحاضرين فيتهمون الأسرة
بشايعة الصهيونية وتضطر الأم كارهة أن تخفي مشاعرها ولم يكد
صوت الغناء والموسيقى يرتفع حتى تحضر جارة لأم أنور وتنبههم إلى
مراعاة شعور أم أنور بوفاة أمها وبذل أن تظهر أم موسى مشاعر
المجاملة تقول .. نحن أحرار وتضطر الجارة أن ترفع صوتها بحجة
ليسمع المدعوين واشد ما تخجل نسمة من موقف أمها المشين فتعذر
للجارة وتوقف المزف والغناء وتخطب أمها بلهجة صارمة اذهبي
وقدمي لها العزاء واعتذري لأننا لم ندر ولو علمنا لما أقمنا الحفل ..
ويتهامس الجميع .. يجب مراعاة شعور الجيران لقد أوصى النبي على
الجار حتى كاد يورثه وتأمر نسمة زينب بتلاوة بعض آيات القرآن
وتزجر الأم بصوت خفيض ثم تنسحب في غرفتها لتلعن اليوم الذي
جاء بها إلى مصر وتلعن الزوج الذي أرغمها على ترك إسرائيل .. ولم
يكد الجميع ينصرف حتى تهرع نسمة إلى نافذتها وكأن أنور في
انتظارها فقدمت له العزاء بالإشارة ريشما تذهب لتقديم العزاء لوالدته
وأخته تغريد .. وعند ما تعود زينب إلى بيتها يأمرها والدما بتلاوة
بعض آيات القرآن هدية منه إلى الجيران ويلحق بها موسى .. وبينما
كانت نسمة جالسة تسأل الغيب عما يخبئه لها القدر يدخل عليها يوسف

ويخبرها أن جارهم أنور قابله في الطريق وهنأه بخطبة أخته ويسألها
من تجرأ وأشاع عنك هذا الخبر الكاذب لو رأيت لمزقه إرباً ؟ ..
فتقول نسمة بهدوء .. وماذا قلت له فقال .. كذبت الخبر وقلت إنها
إشاعة وأختي معرضة عن الزواج وقد تقدم لها -- الكثير فرفضت ..
فتقول نسمة مداعبة .. ولم كذبت فقد تكون بشرى لزواجي ..
فيقبلها يوسف قائلاً .. سيكون أسعد يوم لي يوم زواجك .

وتلاحظ نسمة انقطاع زينب عن زيارتها وإذا مرت عليها لا تجدها
وأخيراً تعلم أنها سافرت مع أسرتها إلى الريف وتشهد رغبتها في
استئناف تعليم الدين الإسلامي وبعد البحث تهتدي إلى معهد حر لتعليم
القرآن وتضطر إلى مصارحة أنور ليساعدها على الالتحاق به خشية
الرفض لأنها يهودية وبعد أن يفكر يجد وسيلة تقبل دون اعتراض
فيأخذ صورتها ويلصقها ببطاقة ابنة خالة له توفيت منذ أعوام قلائل
وكانت في مثل سنها الآن وقدم لها البطاقة قائلاً .. لا ضير عليك من
استعارة الاسم لتحقيق مأربك إذا شئت .. فوافقت مسرورة قائلة ..
يشرفني ويسعدني أن أنتهي لأسرتك والتحقت بالمعهد باسم عبير عبد الله
وتلاحظ والدتها أنها تخرج كل يوم مع أنها في العطلة الصيفية وكلفت
موسى أن يتجسس عليها فأخبرها أن أسرة زينب انتقلت للريف ولما
تسألها أمها عن سبب خروجها يومياً تخبرها أنها التحقت بمشغل لكي
تتعلم الحياكة والنهصيل فتفرح الأم وتكافئها بحياكة منامة لشقيقها
يوسف وتجد نسمة نفسها في موقف حرج فتستشير تغريد شقيقة أنور

به راحة فتمون عليها الامر وتنصحها بالالتحاق بمشغل وسوف
 تساعدنا على ذلك لأنها على صلة قرابة برئيسة المشغل وتوزع نسمة
 وقتها بين المعهد والمشغل وبذلك وفقت بين رغبة الأم ورغبتها ..
 وتدعو أخت أنور نسمة لحضور حفل زفافها كما أرسلت دعوة لزینب
 ترجوها الحضور مع أسرتها وقد حدد والدها الزفاف في عيد النهر
 ويقام الحفل مبتدئاً بالقرآن الكريم ثم الموسيقى والغناء والرقص
 ويلحظ أنور أن نسمة تجلس وحدها واجمسة فيسألها قائلاً .. فيم
 تفكرين يا ترى ؟ فتقول : حبذا لو اتجهت الأصوات النسوية الجميلة
 إلى تلاوة القرآن بدل الغناء السخيف والألفاظ التي تهبط بأخلاق
 الصغار فقال .. لا تنسى أننا في بلد يجمع بين الأديان جميعاً فهل تظنين
 جميع الأديان تقبل على ترديد القرآن كالإقبال على الغناء المثير للعواطف ؟
 وذلك يتطلب بحثاً ودراسة لأنهم يقولون أن صوت المرأة عورة ..
 فتحتمد وتقول .. وهل الرقص الذي يظهر جسم المرأة في صور تدفع
 الحرة في وجه العذراء .. ليس عورة .. فيقاطعها .. كل ما يتعلق
 بالفن مباح .. فقالت بصوت حبيس النبرات .. هيه يا ابن خالتي ..
 متى نرعى حرمة الحلال ونقضى على بدعة الحرام لنقترب من الله عساه
 ينظر لنا ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر فابتسم وقال .. يا ابنة خالتي ..
 دعى الخلق للخالق .. المهم إن نعمل نحن بما يرضاه .. وينتهى
 الحفل وينصرف الجميع عدا والد زينب الذي يشعر بمبادئ
 الألفة القلبية وتخشى زينب أن تفاجئه فيصعب انتقاله وقبل
 أن تشهد تستعين بموسى فيسنده ويرافقه حتى يبلغ منزله ..

وبعد تناول الشيخ دواء القلب يستريح وينام فيلتهز موسى الفرصة
ويخلو بزینب زائلا : كم كنت رائعة بجمالک فانتہ بصرتک .

وهنا يعترف موسى لزینب أنه آمن بالله ورسوله وتبدى زینب
فرحتها وتطلب منه مصارحة والدها لتدخل الفرحة إلى قلبه ويبارک
اسلامه ويتركها على أمل أن يقابل والدها غدا لكيلا يوقظه وبعد أن
يعود إلى بيته يجد أمه في انتظاره وبدل أن ترد تحية المساء تبدى له
انزعاجها وخوفها على صحته من تمضية الليل خارج البيت كل يوم فيرد
عليها في استخفاف بأن الليل يمضي دون أن يشعر به وهو يلعب مع
أصحابه فتهمز رأسها في أسف وتخبره أن عشاءه على المائدة . .
وفي الصباح تزورها جارتها فتجدها مهمومة وفي سياق الحديث تعرف
الجاره سر ما يشغل فكرها فتهمز عليها وتقترح ضرورة الاستعانة
بمن يقرأ طالعہ وسرعان ما تصحبها إلى عراف لمعرفة سر سهره كل
ليلة . . ويخبرها العراف بأنه مشغول بامرأة سحرت له ولا بد من
فك السحر وإلا ساءت حالته .. وتعود الأم أكثرهما وقلقا وتلاحظ
ابنتها ما جد على أمها وبعد أن تنفض إليها بما سمعته من العراف تؤكد
لها نسمة أن ما قيل لا نصيب له من الصحة وهو احتمال لا يتأذ مالها
وتقص عليها عدة أمثلة لتثبت لها صحة نصب الدجالين فلا تتأثر الأم
بكلامها متشبثة برأى العراف مترددة عليه تمنحه المال لفك السحر
بينما يتبادى موسى في السهر موزعا وقته بين زینب والكابريات
مع حرصه على ألا يحضر لزيارة زینب إلا في مواعيد نوم والدها
فتضيق به وتلفت نظره إلى حضوره قبل نوم والدها فيعتذر لكثرة

شراغله بشأن إعداد مسكن لها ولإسكنها تصر على ضرورة حضوره .
نهارا لمقابلة والدها كي يعلن إسلامه كما اتفق معها فيعدها بذلك . .
وفي اليوم التالي يفاجأ بإقامة سرادق أمام منزل زينب بمناسبة وفاة
والدها . . فيهرع إليها معزيا مشاركا الأسرة في القيام بواجبات
تشجيع الجنازة ولما لاحظ ذلك شقيقه الصغير يوسف . . أخبر أمه
بأسلوب اثار غيظها وحتمها . . فارتفعت إليه تدعوه بدعوى أنها
أصيبت بوعكة شديدة . . وعندما يحضر إليها يجدها بخير فتؤتبه
على تصرفه إزاء أسرة مسلمة فيصدرها في غير رفق وتشجعه نسمة على
موقفه بقولها . . يا أمه لقد أصبحنا في بلد لا يفرق بين دين ودين
ويشمل الجميع بالعدل والرحمة والمساواة فانركي تعصب صهيون كأنك
لم تنتمي إليها في يوم ما . . واذكري فقط أننا الآن تحت رعاية
وحماية مصر التي منحتنا العون الأدبي والمادي .

ويواظب موسى على زيارة أسرة زينب وقضاء لوازمهم كأنه رب
الأسرة بما يستولى عليه من صحابه الأثرياء أثناء لعب الميسر عندما
تلعب برؤوسهم الحجر . . وبعد مضي الأربعين يوما يطلب يد زينب
من أمها بعد أن يخبرها أنه اعتنق الإسلام وقد أشهد الشيخ المرحوم
على ذلك وتوافق الأم لتأثرها بما أسداه اليهم وعندما تخلو به زينب
تسأله . . متى اعترفت بإسلامك لوالدي فيقول . . لقد
جئت في الصباح قبل ذهابي لعملي وكنت أنت نائمة وكان هو كمادته
يقرأ القرآن بعد صلاة الفجر وأشهدته على إسلامي فباركه وطلبت منه
يدك فوافق وانصرفت على أمل أن يخبرك . . ولكنه مع الأسف

اختاره الله وأنت مازلت نائمة كما تقولين . . فصدفته وهون ذلك من
حزنها على والدها وليكن مر بخاطرهما سؤال وجهته إليه قائلة . .
وكيف تواجه أسرتك وماذا يقول أهل الحى عنى . . فقال بلهجة من
استعد لهذه الاسئلة . . لقد أجرت مسكنا مؤقتاً فى إحدى الضواحي
وسوف أعقد قرانك فيه وإن اشهر هذا القران إلا بعد زواج أختى
من خطيبها بعد عودته من أمريكا فى خلال هذا العام أو بعده على
الأكثر ثم يضع فى أصبعها خاتم الخطبة قائلاً . . احتفظى بسر هذه
الخطبة ريثما تترك الشارع لكيلا لا تصدم أى . . ويتركها على أمل
أن يعود فى المساء لمرافقتها لترى المسكن الجديد والأثاث الذى اشتراه
. . وبعد خروجه تخرج زينب لشراء بعض لوازم لها فتقابلها نسمة
فى الطريق وتلمح فى أصبعها خاتم الخطبة فتقول . . مبروك . . ترى
من السعيد ؟ فتجيبها زينب . . شاب تعرفينه جيداً . . فتردد نسمة . .
أعرفه جيداً . . فتؤكد زينب . . كل المعرفة ولقد رأيته وما زلت
تريه . . فهزت نسمة رأسها وقد دارت رأسها مع دورة خراطرها
وقالت . . ما اسمه . . فقالت زينب . . هذه هى المفاجأة ستعرفينها بعد
زواجك إن شاء الله .

ثم تستأذنها لأنها مضطرة لشراء أشياء خشية أن يخلق المشجر . .
وبدل أن تواصل نسمة سيرها فى طريق المعهد أصابها دوار صعب
عليها مقاومة فعادت إلى بيتها وتحت نافذتها . . وقنة أن الخطيب
هو أنور فحديث زينب ينم عنه . . ومع أن الميعاد كان موعداً
تلاوة القرآن فإن النافذة لم تفتح ولم يظفر أنور وانتابها نوبة حسية

أهدتها القدرة على الاستمرار في دراسة القرآن بالمعهد فلزمت البيت
لا تفارقه ولا تفتح نافذتها . .

وعاد أنور من رحلة قضاها مع رفاقه خارج القاهرة للترويج عن
النفس ولا مستكشف أرض بور في طريق السويس لاعتزام رفاقه وهم
مجموعة من خريجي الزراعة والطب البيطري لاستغلالها مزرعة لتربية
المواجن والزراعة . . وفتح نافذته في ميعاد تلاوة القرآن ليرى نفسه
ولكنها لم تفتح النافذة رغم سماع صوت القرآن . . واضطر أن يقف
في طريق ذهابها إلى المعهد الديني في ميعادها المعتاد وطال انتظاره
وحضى الوقت ولم تظهر . . ولما عيل صبره . . وتمشى في الطريق
التي يلعب فيه يوسف الكرة مع رفاقه . . فلما حان وقت اللعب
بدأ يوسف مقبلاً أشار إليه وأسرع يوسف مسروراً بلقائه . .
وسأله أنور عن نتيجة دراسته ثم نصحه بالاطلاع على منهج العام
لخدم وأبدى استعداداه لمساعدته وشرح ما يصعب عليه فاحتضنه
يوسف شاكراً وانهى أنور حديثه بقوله . . كن مثل أختك أنها
لا تصيح وقتها عبثاً متناسبة ميعاد سفر تغريد إلى الخارج بمرافقة
زوجها . . فقال يوسف . . أنها تحب أختك كثيراً وسوف أبلغها
ذلك . . وعندما نقل يوسف الحديث الذي جرى بين أنور وبينه
وحسرة ذهابها لتوديع تغريد . . قالت بصوت تخنقه العبرات . .
أه فلا كدت أنسى من شدة الصداق الذي يلزمني . . واستأذنها
يوسف لكي يذهب ودار بها فلك التفكير مع دوامة مشاعرها
الخطيرة . . ثم استجمعت إرادتها وخاطبت نفسها . . سأذهب

وأهنته لأشعره اننى لم أربط قلبي به . . . وذهبت محاولة أن تبدو غير
متألمة وقد لقيها قبل أخته وقد رسمت على شففتيها بسملة لتبدو كما عهدتها
ثم أقبلت على أخته فى شرق مبدية أسفها لسفرها ومن حسن حظها
أنها علمت الآن وتعتب عليها لأنها لم تخبرها بهذا السفر من قبل . . .
ويتحدثا حديث الود والأخاء واضطرت تغريد أن تستأذن عندما
أعلن الخادم وصول التاكسى فقامت معها حتى الباب فلما انصرفت
تغريد وتحركت نسمة لتصرف استوقفها أنور قبل أن تغادره قائلاً .
علك علمت بخطبة زينب فقالت أجل أخبرتنى وكان فى نيتي أن أهنتك
فقطاعها . أظن الواجب يقضى أن نقدم لها هدية ومن أجل ذلك
ترقبت رؤياك لأدعوك إلى انتقاء هدية منى لأقدمها إليها لأن حالتهم
المادية لا تساعد على إعداد لوازم العرس فما رأيك ؟ قالت أفضل
أدوات المائدة لأن لوازم المطبخ يلتزم بها الزوج .. قال لقد فكرت
فى جمع مال بديل الهدايا من الجيران ومن لهم صلة وثيقة بهم
مع ما يستطيع جمعه من أصدقائي وأسرتى لشراء غرفة مناسبة لها ..
قالت وهى تنظر إليه متفردة لترى تأثير كلامها .. انك بذلك تساعد
العريس إذ المفروض أن يقدر العريس ظروفها ولا يحملها فوق
ما تستطيع .. فإقتسم وقال هبى ذلك فمن أجلها أفعل . . . فتقول . . .
والألفاظ تذوب فى حلقتها محاولة ألا تنفضحها مشاعرها وتمد يدها
مصافحة دون كلام وتخرج وهى تقول تفكيرك فى حله وتناهب
للانصراف ويعجب أنور لانصرافها قبل أن يقول كل ما عنده فقد
كان يريد أن يتحدث فى أمراهم من زواج زينب وطوق ذهنه شيطان
الوساوس وطاف به فى دنيا مظهره ورجح السبب خطبتها وأنها تعلقت

بخطيبها وغلبه الأسى لفقد أمل سعى إليه من زمن وكان يأمل أن
يتحقق كما يتمنى .

وعندما يعود موسى إلى منزله في النهار على غير عادته لكي يتترض
من والدته مبلغاً من المال مدعياً أنه تسلمه من العملاء لتسليمه إلى
الخزينة وقد نشل منه وتنتهز نسيمة الفرصة فتخبره بخطبة زينب
فيضطرب ويسألها من أخبرك فتقول . . هي أخبرتني بكل شيء فيزداد
هلعاً وفزعاً ويقول وهل أخبرتك والدتك فتقول . . ولم ؟ ومتى
كانت أمي تهتم بأحوال الجيران لقد قابلتها في الطريق بالصدفة . . قال
وما رأيك أنت ؟ قالت . . إنها فتاة طيبة وتستحق كل خير وفقها
الله . . المهم أن يقدرها كما يجب خطيبها فجلس وقد سرح بذهنه يفكر
في تلفيق مخرج لهذا الموقف الحرج بعد معرفة أخته والسكنها أخرجته
من سروحه قائلة . . عقبالك يا موسى ربنا يهديك ويرزقك بنمقة
تساعدك على الاستقرار والحياة الطيبة . . ولا تدري أنها انتشلتته من
أعماق الهواجس فتنبه قائلاً . . عقبالك يا نسيمة بشاب جدير بك
أنت جوهرة يفخر بها . . فعادت تقول . . أظن من واجبنا أن
نساعد العروس مادياً . . أنا متبرعة بمبلغ خمسة جنيهات وقد علمت
أن والدته أنور بصفتها صديقة أمها سوف تجمع بديل الهدايا مالا
للتشترى لها غرفة فأبدى ارتياحه لهذا الاقتراح قائلاً . . فكرة رائعة
مفيدة . . ولكن يستحسن تقديم المبلغ بعد جمعه إليها وهي تشتري
الغرفة التي تروقها فتوافق قائلة . . سوف أخبر أم أنور بذلك لكي
تخبر والدتها . .

وبعد أن يجمع أنور المال يقابل يوسف في الشارع ويقول له :
قل لأختك أن والدتي جمعت المال اللازم لهدية زينب وهي مريضة
ولا تستطيع الذهاب لتسليمها المبلغ وتخريد ليصمت هنا وأظن لا مانع
عندها من تسليم المبلغ من أمي لتسليمه إلى زينب وبعد أن ينقل يوسف
هذه الرسالة إلى أخته تذهب إلى بيت أنور فتجده في انتظارها في
الردهة وقبل أن تقابل أمه يسلمها المال قائلا . . لا أريد أن أخرج
زينب فليس العريس الظن بها عندما يراني في بيتها إذ لم أدخله بعد
وفاة والدتها فاذنبي أنت وسلي المبلغ إليها . . فتدهش وتقول . .
أولعت أنت العريس ؟ . . فيضحك ثم يقول . . وكيف طاف
بهذهنك هذا الخاطر . . أنا أتزوج فتاة لا يميل قلبي إليها ؟ قد تستحق
أحسن مني ولكنني لم أشعر نحوها بأي عاطفة تدفعني للتفكير في
الزواج منها . . إنها كأختي تماما بحكم العشرة الطويلة التي دامت بين
الأسرتين منذ كنا صغارا فاستردت طمأنينتها وتنهست الضعفاء
وقالت . . إذن من يكون العريس ؟ قالت لي أنني أعرفه . . ولقد
ظننت أنك أنت ؟ . . قال قد يكون الشاب الذي كان يتردد على والدتها
الطالب بالأزهر . . ولا شك أنك رأيته . . فسرحت مليا ثم قالت . .
آه تذكرت فعلا رأيته أكثر من مرة يستمعين بوالدها في تفسير بعض
آيات القرآن وقد ظننت أنه قريبها لأن لهجة ريفية رغم ثقافته . .
وقد امتدحته عندما سمعته لأنه يتمسك بلهجته كأنه يفخر بأنه ابن
فلاح . . عكس بعض الشباب الذي يتبرأ من أهله عندما يندمج
في المدينة . .

وافترقا على أن يلتقيا بعد أن تقدم لزَيْنَب قيمة الهدايا . .
وعندما تذهب لتقدم لزَيْنَب قيمة الهدايا تستقبلها الأم بكل ماتحملة
الأم من فرح وابتهاج لزواج ابنتها لاعتقادها أن أسرة العريس تبارك
هذا الزواج وخافت زَيْنَب أن تصارح الأم نسمة بنسمة العريس
وفرحتها باعتناق إسلامه فجلست بينهما لتضع حدا لحديث أمها ولم
تكذ الأم تقول . . لولا الحداد لأقنا فرحاً كبيراً ورثما ينتهي
العريس من إعداد مسكنه وأثاثه كما اتفق معنا يكون عام الحداد انتهى
فأقيم فرحاً يليق به . وتخفى ابنتها استرسالها فمقاطعتها . . عن إذك
يا أمي . . وتسحب نسمة بعيداً عنها بحجة إطلاعها على أشياء اشترتها
وهنا يفاجئها موسى كأنه قادم خصيصاً لأخته قائلاً . . لقد ظهرت
نتيجتك الآن فيها لتطمئني بنفسك فلتستأذن زَيْنَب وهي تسأله : من
أخبرك ؟ فيجيبها صديق لي سمع من قريبته . . وتسرع نسمة إلى
السكينة . . فلا تجد أثراً لظهورها في حين يعود موسى إلى زَيْنَب بعد
أن يتأكد من ذهاب نسمة إلى السكينة ويسألها عن الحديث الذي جرى
بين نسمة وبينها فتخبره أن أمها كادت تصارحها ظناً منها أنها عليمة
بإسلامك كما أفهمتها أنا لولا حيطتي ومقاطعة أمي دون أن تشعر
وعندما يعود موسى إلى بيته تؤنبه نسمة على تصديق خبر من غير
مصدر ثقة فيعتذر إليها ويقول . . إنها بشرى نجاحك ولقد كان
يسعدني أن أحتفل به عندما تتأكدين من النتيجة لولا أنني مضطر
لمغادرة القاهرة في آخر هذا الشهر حيث أنهيت أوراق سفري للعمل
بالكويت وفي هذه اللحظة تسمع أمه هذا النبأ فتحاول أن تثنيه عن

السفر والسكنه يصير لا ضطراره إلى زيادة دخله ويكفي أنها كانت تقوم
بتلبية طلباته طوال عمره وتستسلم الأم للحزن وتحول البيت بأكملها
الدائم إلى شبه مأتم ..

وتذهب زينب لتودع نسمة بدعوى إنها ستسافر مع عريسها إلى
الكويت وسوف ترحل أمها إلى الويف لتعيش مع شقيقها الذي دعاها إلى
ضرورة الإقامة معه ليرعاها. . ورحلت زينب وأشييع في الشارع أنها
تزوجت برجل عربي من الكويت كما أخبرت جيرانها بذلك وانقطعت
نسمة عن المعهد الديني لنلازم أمها التي مرضت بسبب رحيل موسى
ويتمد انقطاعها عن المعهد بامتداد مرض أمها وينزع أنور وينتظر رؤياها
من النافذة دون جدوى وقبل أن تشتهد هو أجسه يعلم سبب احتجابها
من يوسف فيتمنى لأما الشفاء ويتمنى لولا سوء العلاقة القائمة بين
أمه وأمها لاستطاع أن يخفف عنها عبء رعاية أمها لإنفرادها بهذا
العبء لتقدم من والدها واستحالة رعايته لزوجته. . ويحاول أن
يتربص لها في الطريق لعله من يوسف أنها لا تغادر البيت إلا لشراء
الدواء لأمها فلما يراها مقبلة بعد شراء الدواء يسألها عن صحة أمها
وسبب مرضها مع أنها كانت قوية البنية كاملة الصحة فتقول . لأول
مرة يفارقها موسى فراقا طويلا . . حتما كان يقضي طوال الليل خارج
البيت وقد يمضي النهار أيضا والسكنه كانت تراه وتطمئن عليه . .
لذلك كانت مغادرته القاهرة نهائيا ليعمل في الكويت صدمة قوية
زلزلتها وهزت أعصابها وكادت تصاب بالجلطة لولا العلاج العاجل مع
رعايتي الشديدة . . وتمر بعض الأيام ويقابل أنور بطريق الصدقة

صديقاً له منذ أعوام ويخبره الصديق أنه عائد من الخارج وهو يبحث
عن شقة لإتمام زواجه فيعده بالبحث معه والاتصال به إذا وفق حيث
أن له صديق خبير بمعرفة المساكن الخالية ويتركه بعد أن يعرف محل
إقامته ويذهب فوراً إلى صديقه تاركاً له بطاقته ليتصل به . . ولم تمر
ساعات حتى يتصل به الصديق الخبير تليفونياً وبعد أن يطلب منه أنور
ضرورة إيجاد مسكن لصديق عزيز يخبره عن مسكن يستأجره شاب
سيهاجر ويتخلى عنه في نهاية هذا الشهر وهو يقيم فيه الآن بمفرده
ويمكنه مرافقة صديقه لرؤية المسكن فإذا أعجبه يترك له إتمام
الإجراء اللازم .

وكان ليلة القدر تفتحت واستجابات لدعاء أنور إذ كان شغوفاً
بخدمة من يلجأ إليه فاتصل به صديقه وحدد معه الميعاد لرؤية المسكن
المذكور وعند ما طرق باب المسكن لعليه أن المستأجر يقضى هذا
الوقت فيه كما أخبره الخبير الصديق . . وفتح الباب وقف مبهوراً لا
يجرأ على الحركة ولا يقوى على الكلام . . وأسرع من الداخل لغلق
الباب بعد أن رأى أنور ونظر صديق أنور إليه وقال . . يظهر العنبران
خطأ يا أنور فأخرج أنور ورقة من جيبه وبعد أن قرأها قال . .
العنوان مضبوط . . وطرق الباب مرة أخرى بعد أن كلف صديقه
بالسؤال عن المساكن فيجيب صوت من الداخل من الطارق ؟ فيسأل
الطارق عن المستأجر ذا كرا اسمه . . فيجيبه الصوت من الداخل ليس
هنا ولقد استأجرنا هذا المسكن منه . . ويلزم أنور الصمت دون
تعليق تاركاً صديقه يلعن الأيام التي جعلت المساكن مشكاة العصر . .

ويعود أنور إلى بيته محاولاً أن يتقرب يوسف بنمروغ الصبر فلهاته
يسأله عن موسى فيقول له لقد سافر من أول الشهر إلى الكويت
ليعمل هناك وحتى الآن لم يرسل إلينا رسالة تطمئنا وأنى يزداد
مرضها بمرور الأيام لهذا السبب .. إذ تخشى أن يكون أصيب بمكروه
وخصوصاً إنه رحل لبلد إسلامي لا يستقبل اليهود مطلقاً فكيف
رحل فيغضب أنور بسمة تنم عن السخرية قائلاً .. يحتمل أن يكون
ادعى إنه مسلم واستعان ببطاقة صديق مسلم فذعر يوسف وقال ..
وكيف هذا فقال أنور انت صغير لا تعرف أساليب التزوير .

والصحافة تطالعنا كل يوم بأساليب قد لا تخطر على البال .. وعاد
الصغير يقول .. آه لو عرفت أى ذلك لقصت عليها الصدمة فيقول له
حذار أن تخبرها وإلا كنت انت السبب في التضاء عليها .. على كل
حال .. ربما يكون في رحلة مع رفاقه فلنلق لأمك سفره إلى
الكويت .. ولم يهدأ بال أنور وشغل نفسه بالتفكير في الشاب الذى
فتح له مسكن المستأجر .. لأنه موسى .. موسى بالتأكيد .. وصوته
من الداخل عند ما خاطب صديقه يؤكد ذلك .. ويحاول أن يفسر
سبب تجاهله أنور كأنه لم يعرفه وعدم فتح الباب واضطر أن يتصل
بالصديق الخبير ويخبره بما جرى ولما يؤكد له الصديق أن الشقة لم
تستأجر لأن المستأجر استودعه مفتاحاً معه لتكون تحت تصرفه إذا
اضطر لعرضها على مستأجر وهو خارج المسكن وحدد له مواعيد
وجوده بها وخروجه منها ثم حدد له ميعاداً آخر ليرافقه مع صاحبه
وذمبوا وفتح الصديق الخبير الباب بالمفتاح ودخلوا .. وإذا بموسى

وزينب يتناولان الطعام على المائدة .. وذعرت زينب وجرت لتختفي
في إحدى الغرف وغالب موسى اضطرابه وتمالك شجاعته وقال ..
دون أن ينظر إلى أنور لصوص تقتحمون المسكن نهاراً .. فقال
الصديق الخبير وهو يشير بالمفتاح .. لا يا أخ .. أنا المفوض بتأجير
هذا المسكن من فلان .. وقد أعطاني هذا المفتاح للتصرف عند الحاجة
وللتأكد .. لم يبق على عودته إلى هنا غير ساعة .. لقد أخرتنا
المواصلات وكان يجب أن نحضر قبل الآن وسوف ننتظر ريثما يحضر
لنتفاهم معه على مسمع منك .. فصعق موسى وقال .. ولكنه أجرى لي
عذا المسكن وستعرف ذلك عند بحيثه لتأكد من صدقي .. فقال الخبير
مشيراً إلى رفيقيه .. استريحوا فإن هذا الأثاث ملكه .. فقال موسى
استريحوا في الصالون ان شئتم .. وفهم أنور مغزاه فقال أظن هنا
الجو أفضل ولكن صديقه قبل الجلوس في الصالون ليرى الأثاث
ودخل حيث أشار موسى وتبعه الخبير عدا أنور ظل جالساً حيث
هو ليدخن وبدأ الغيظ على وجه موسى .. وتبع الآخرين متجاهلاً
أنور قائلاً .. شاي أم قهوة .. فقال الخبير .. سيان .. الموجود ..
ودخل المطبخ ولم تمض لحظة حتى صرخ مستغيثاً وكان لابد أن يهرع
أنور معهم .. فلما دخلوا المطبخ تسالت زينب وخرجت بسرعة من
غرفة النوم وغادرت المسكن .. وقال موسى .. لقد وقع الماء المغلي
على .. والحمد لله .. سليمة وتنفس الصعداء قائلاً .. استريحوا
يمكنكم رؤية جميع الغرف إذا شئتم .. وعند ما دخلوا غرفة النوم
لمح أنور صورة تجمع بين زينب وموسى ظهرت من مظروف ملقى

على الأرض تحت المشجب يبدو أنه وقع من جيب جاكته فالتقطها
أنور في حرص وأخفاها .. واستأذن رفيقه معذراً بموعد هام وعاد
إلى بيته .

وفي لطفه الاستطلاع فض المظروف فإذا به بطاقة عليها صورة
موسى وتحمل اسم صادق عبد الله وعقد زواج عرفى بين زينب عبد
الدايم وبينه وقد شهد على العقد مستأجر الشقة المعروضة مع شاهد
آخر وراح يفكر في جميع الاحتمالات .. أتى موسى اعتنق الإسلام
تحت هذا الإسم حقاً؟ أم ترى البطاقة مزورة إذ المعروف عنه أنه
لا يقيم وزناً للقيم وكيف استطاع أن يؤثر على زينب التقية المؤمنة
فتخضع وتقبل هذا الزواج العرفى؟ . وأراد أن يتحقق من أسباب
ذلك .. فذهب إلى والدتها ليسأل عن زينب ليعرض عليها خطيباً
تقدم إليها ، ، فلا يجد والدتها ويعلم أنها سافرت عند شقيقتها بعد سفر
ابنتها مع عريسها الكويك ،

ويعود إلى بيته مهموماً كأن ما أصاب زينب أصاب أخته ويفكر
ما عساه يفعل ليتأكد من صحة إسلام موسى ، ، واضطر أن يستعين
بقريب له يعمل في توثيق إشهار الإسلام وعاد يفكر هل يخبر
نسمة بتصرف موسى أم يحتفظ بالسر ريثما يتأكد من صحته ، ، وفكر
طويلاً ثم وجد الفرصة سانحة للتأكد من اتجاه نسمة الدينى فهل تراها
تميل للإسلام حقاً أم تتظاهر بذلك لتكتسب محبة المسلمين . ولكنه
لم يشأ أن يصارحها بما رأى تاركاً لها اكتشاف الواقع بنفسها . .
وراقبها لكي يتمكن من مقابلتها عندما تخرج وكان لابد أن تذهب إلى

الكلية لاستخراج شهادتها وهناك قابلها وأخبرها أن موسى لم
يسافر لأن سفارة الكويت لم تصرح له وهو يقيم عند صديق له
ليستخرج أوراق السفر إلى بلد في أفريقيا تسمح لليهود بدخولها
وأعطاهم العنوان الذي يقيم فيه وقال لها فيما قال . . أخشى أن
يمتنق الإسلام من أجل الحصول على مال وفير في الكويت لقد
صارحني بذلك صديق له مؤكدا أن حبه للمال والثراء يفوق حبه
لدينه . . فقاطعته . لو فعل من أجل اعتناق الدين بحق لكان الخطب
ولكن إذا فعل من أجل الثراء والمال فإنها مصيبة تقضى على والديه
ولم يستطع تحديد احساسها فتركها تواجه الكارثة بنفسها وفي طريقها
إلى المسكن الذي يقيم فيه موسى مر بخاطرها عدة احتمالات لتركة
البيت فقد يكون من أجل التحرر من سيطرة أمه أو مقابلة
الفتيات اللاتي يغرن بهن وياضيعة من تتأثر به وتخضع له وعندما
تبلغ المسكن الذي يقيم فيه موسى تقف لتتأمل هبوط المصعد
وتفاجأ بخروج موسى وزينب منه بعد هبوطه وتصعق زينب
ويدهى موسى عدم اهتمامه مرحبا بها قائلا . . أهلا نسمه . . كنت
في زيارة زوج زينب فعهد إلى بتوصيلها إلى (الترزي) فتنظر إليه
شذرا ثم تسحبه إلى الجانب وبصوت خفيض تقول . . موسى أعرف
أن أمك في خطر بسبب غيابك . . إنها على وشك الموت . ارحمها
وتعال معي فقال . . كان في نيتي أن أحضر إليكم الآن إذ عدت من
الكويت البارحة فقط مع رجل يشارك زوج زينب في العمل وقد
رافقته إلى هنا لأنه يعمل في الكويت ولا يعرف أمكنة القاهرة . .

فنظرت إليه بمعنى - أنت كاذب . . وأردفت أظن زينب تعرف
طريق الرزى ما دامت تقيم مع زوجها هنا . . وأنت هيا معى فنظر
إلى زينب ليرى أثر الموقف عليها ثم قال . . تعالى نتناول مشاجرا أولا . .
ورافقهما إلى محل عصير للفاكهة ولما استقر بهم المقام استأذن زينب
لينصرف فأذنت له . . وسار مع أخته وتركها تركب الأتوبيس
وتعمد أن يتخلف مشيرا إليها أنه سيلاحق بها . . وانتظرت ولم تشأ
أن تخبر أمه لتزيد من مرضها ولما خففت من وطأة حزنها فقالت
لها . . لقد اتصل موسى تليفونيا بصديق له وأخبره أنه سيحضر
اليوم . . وفرحت الأم لهذا النبا وعاشت مع أمل لقاءه فخفف ذلك
من حدة ألمها . .

ومضى اليوم وفي أثره أيام آخر ولم يحضر واضطرت لسمه أن
تذهب إلى مسكنه وكان آخر يوم في الشهر فلم تجده وعلمت من
المستأجر الأصلي أنه استضافه شهرا بمناسبة زواجه وكان المستأجر
لا يعرفها فظن أنها إحدى صديقاته اللاتي تركهن . . فحاول أن يخرر
بها وصارحها أن موسى أسلم لكي يتزوج فتاة مسلمة زواجا عريا . .
ويبدو أنه قد بدأ يملأ ولما سألتها ولماذا تزوجها مادام لم يركز تفكيره
وإحساسه عليها كشرى كعمره وكيف سمحت له أن يتزوجها دون
التأكد من حبه فقال لإعتناق الإسلام دليل قاطع على حبه لها ولولا
ذلك لما ضحى بدينه ولقد عقد عليها عريا مؤقتا ريثما يسوى أمور
تتعلق بدينه السابق إذ لا يستطيع أن يعلن إسلامه لأسرته وعشيرته
حرصا على زواج أخته ولا أكتمك أنني ندمت على الشهادة عندما

تبين لي الآن أنه زور بطاقة تثبت أنه مسلم لتخضع له المسكينة
وتتزوج به ولذلك اضطرت أن أكلفه بترك المسكن لأنني أجرت له لاسرة
أخرى بمناسبة مغادرتي القاهرة . . فقالت وإلى أين ذهب ؟ . . قال . .
أعتقد عند صديق شهد العقد معي . . لأن أسرته سافرت للمصيف ومن
سوء حظ المرأة أنها حملت منه ولذلك يحاول التخلص منها ولا أكتمك
أنني متألم جد الالم ولولا سفرى العاجل لوقفت بجانب هذه المسكينة
إذ علمت أنها يتيمة ؟ وهنا تتخلص منه بلباقة بعد أن تخبره بأنها
قريبته وكان خطبها رسميا وقد ادعى سيعقد عليها بعد الحصول
على مبلغ كان اقترضه صديق له وقد حل ميعاد رده ولما سألتها
كيف عرفت مكان إقامته هنا ؟ قالت : علم أخى من صديق له أنك
تستضيفه ولكنه لم يذكر أنه تزوج بعد إشهار إسلامه فعطف عليها
وقال . . وراك الله شر السوء . . وأوصيك التخلص منه فهو غير جدير
بك ولولا مغادرتي القاهرة لكشفت إشهار إسلامه ليضع حدا
لتصرفاته وتعود إلى بيتها حزينة مكتئبة لا تدري ماذا تصنع لتحل
هذه المشكلة حرصا على أمها ولكيلا يتبرأ من زينب بعد أن حملت
منه ما دام الزواج عرفيا وفي هذا الوقت تقابل تغريد شقيقها أنور
وتعرض عليه فكرة الزواج من ابنة خالته لارتباط والدته ووالدتها
بعهد يحتم عليه ضرورة الزواج منها فيرفض لاختلاف طباعهما وعدم
تآلف روحيهما وتحاول أن تقنعه بما تمتاز به من جمال وثراء وثقافة
فهي خريجة السوربون من فرنسا فيقول من أجل ذلك أرفض . .
فهي متحررة منطلقا إلى أبعد حدود الانطلاق في جميع تصرفاتها

وأنا مقيد بشريعة ديني فقطاعته وهل هذه الشريعة تبيح لك التعلق
بفتاة يهودية . . لقد لاحظت ذلك قبل زواجي وأراك تزداد تعلقا
بها يوما بعد يوم بدليل أنك لا تغادر غرفتك التي تظل نافذتها عليها
إلا لأمر هام وأخوف ما أخافه أن يطوف بخاطرك الرغبة في زواجها
متناسيا أنها تنتمي إلى صهيون كما يشاع عن أسرتها في الشارع ولم يملك
أنور ضبط مشاعره فيدافع عن نسمة بإخلاص وحرارة مؤكدا لها
أنها فتاة مثالية تبرات من صهيون منذ جاءت مصر مع أسرتها . .
ويتوقف عن الحديث عندما يسمع طرقا على الباب فلما يفتحه يجد
يوسف يقول له . . لقد وقعت الكورة في النرفة فهل تسمح لي بأخذها
فيناولها إياها ويسأله عن صحة أمه بعيداً عن مسمع أخته فيقول له
لقد تحسنت عندما علمت بعودة موسى من الكويت ولقد خرجت أخق
الآن لتنتظره في المطار . . وبعد انصرافه أسرع أنور ليلحق بها ليرى
ماذا جد في أمر أخيها . . وفي نهاية الشارع وجدها تنتظر الأنوبيس
فسألها إلى أين فأخبرته بما جرى بينها وبين المستأجر الذي استضافه . .
وتركها تذهب على أن يلتقيا في المعهد الديني غدا وتذهب مباشرة
حسب عنوان إقامة موسى الجديد وتفاعاً زينب بمواجهتها عندما تفتح
الباب إذ كان موسى خرج لاحتضار طمام لهما وترتمى زينب وقد
انتابها اضطراب ألجم لسانها وشل حركة يدها فلم تستطع مد يدها
لمصافحتها وأطرقت واجمة . . فرفقت بها نسمة ومرت بيدها على
خدها في عطف قائلة . . هروني عليك . . صارحيني وثقي بأنني سأقف
بجانبك إذا فتحت لي قلبك . . فأنمرت دموع زينب وقالت بشفتين

مرتعتين وتكاد الالفاظ تذوب بين شفثيها .. كان يتردد على أبي
ليتعلم القرآن وقد كلفني أن أخفي ذلك عنك خشية أن تخبري أمه

وفي خلال فترة ترده أظهر لي الحب إلى درجة أنساني تعلقي
بأنور الذي كنت مغرمة به إلى درجة العبادة وشجعتني على تركه عدم
اهتمامه بي كمحب رغم ما يبديه من عطف وحنان بحكم صلة الجوار
والصداقة التي تربط بين أمه وأمي المهم .. عرض على الزواج قبل
وفاة أبي فرفضت طبعاً لاختلاف الدين وازاء إصراري أخبرني أنه
اعتزم اعتناق الدين الإسلامي وكان ذلك دليلاً قاطعاً على تعلقه بي
فوافقت على شريطة أن يشهر إسلامه ويصارع والدي فوافق ولما
توفي أبي عكف على رعايتنا والاهتمام بشؤوننا بما أثر على والدتي فلما
صارحها برغبته في الزواج مني وأن والدي وافق قبل مماته .. وكلفني
أن أكتب الأمر ريثما تزوجي لأنك مخطوبة لرجل يهودي وهو في
الخارج وسوف يحضر لإتمام الزواج ولذا علم خطيبك باعتناقه
الإسلام فسوف يتخلى عنك .. ولما كنت أحبك . صدقيني وأتمنى
لك السعادة فقد كتبت الأمر على أمل أن يتم زواجك قريباً . وفي
خلال هذه الفترة تقدم الخطيب ابن عمي الطالب في الأزهر فلما أخبرته
قال .. يجب أن نتزوج حالا فقلت له الزواج يتطلب تقديم ورقة
إشهار إسلامك للمأذون .. قال سأفعل بعد أن ننتقل إلى مسكن
استأجرته وأثاثته وفعلاً صحتني إلى المسكن الذي مكثنا فيه شهر الحسل
فقاطعتها وهل تم الزواج قبل إشهاره الإسلام ؟ . قالت أطلعني على
بطاقة باسم صديق عبد الله عليها صورته ومبصومة باسمه وقد أثبت

فيها أنه مسلم . . . وكان من الطبيعي ألا يخامرني أي شك وقال
 لي . . . لتزوج عرфия والزواج العرفي كالشرعي لكيلا يفتضح أمرنا
 ريثما يتم زواجك وشهد على هذا الزواج صديقين له تبين لي فيما بعد
 أن أحدهما مستأجر الشقة وأنه استضافه لتضية شهر العسل . . . وآخرها
 كلّفنا صديقه بترك المسكن لأنه أجره لأسرة أخرى . . . ولا أخفي
 عنك أن معاملته لي تغيرت عن قبل وبات يقتضي طوال الليل أحيانا
 بعيدا عني . . . ولما سألتها هل استأجر المسكن حتما قالت يقول ذلك .
 . . . إذ لم يظهر حتى الآن غير ذلك وغير صديق له يتردد من آن لآن
 ليأخذ بعض لوازم من دولاب مغلق هنا وقد نبه على ألا أظهر أمامه
 مدعياً أنه يحتفظ عنده بملاسه وحاجياته ريثما يستأجر غرفة له . . .
 ويحاول دائماً أن يتحدث معه بهيئاً عني لكيلا استمع لحديثهما . . .
 وتعتمد نسمة أن تمكث حتى يعود من الخارج ولو اقتضى الأمر إلى
 المبين وفعلاً مضى الليل إلا أفله وعاد مخموراً . . . وأخفت نسمة
 زينب بعيداً عنه وواجهته فراح يهذي في غير وعي . . . قائلاً . . . أظن
 كفناك هذه المدة . . . اذهبي لغير رجعة . . . وريعت نسمة وصفعتة على
 خده وصبت الماء البارد على رأسه وهي تقول . . . يا نذل يا جبان
 يا حتمير . . . أو تحسب الأمر هيناً وأنه في مقدورك أن تلعب
 بالعداري كما يحلو لك . . . إلى هذا الحد أرني بطاقتك . . . فرفض
 قائلاً . . . لا شأن لك . . . أخرجني من هنا فتقاطعه في حدة وإصرار لن
 أخرج إلا بعد أن أسلمك إلى النيابة أو تشهر إسلامك وتعقد على أم
 ولدك . . . فصرخ في وجهها أجنونة أنت قالت . . . سني ما شئت لن

أتراجع عما ذكرته لك أتفهم . . . وتقدمت منه زينب قائلة . . . موسى
أرحم ولدك واعدد على لأن العقد العرفي لا يشرف ولدك عند ما يكبر
ومادمت أشهرت إسلامك وهاهي أختك عرفت فلا ضير عليك فصرخ
في وجهها . . . إن أشهر إسلامي . . . أنا يهودي ابن يهودي وسأظل
يهودياً أفهمت . . . ولم تكذب زينب تسمع ذلك حتى انهارت قواها ووقعت
على الأرض مغشياً عليها فتحنوا نسمة عليها محاولة أن تنبها وهي تلغنه
وتهدده بأنها ستحميها وسوف تقف بجانبها بعد أن تكشف تزويره
وفظاعة إثمها . بحسمة له ضخامة الجريمة التي سوف تكون قضية المرسوم . .
فيسخر من تهديدها متهمها زينب بتشجيعها إياه ولولا تجاوبها لما
عاشرها معاشرة الأزواج . . . ووجدت نسمة أن التهديد والعنف لا
يؤثران فيه وسوف يختفي وتبقى زينب مهددة بالقتل من أهلها إذا
علموا أو اتخذوا أي وسيلة غير شرعية لتعيش مع المولود إذا حرصت
كما تفعل ضحية أي رجل مضال خادع وتظهر باسم جديد . . . وازمت
الصدت برهة ثم تكلمت الرفق به وقالت . . . اعرف يا أخي أن
للشباب نزوات وقوة خفية تدفعه دون أن يدري أن تصرفه
خاطيء ولا شك أن هذه النزوة سيطر على . . . على أنني اعرف
أنك تمتاز بقلب كبير رحيم ويمكننا أن نعالج هذه المشكلة دون
علم والدي . . . إن لديك بطاقة تحمل اسماً غير اسمك ودينا غير دينك .
فلكيلا تكون عرضة للمحاكمة في كل وقت إذا ظهرت حقيقة أنك
ولكي تبريء زينب من وصمة الأثم والعار اعدد عليها عن طريق
المأذون وإن يكلفك ذلك شيئاً ولك أصدقاء من المسلمين فاختر منهم

شاهدا العقد بمن تثق فيهما ثم طلقها بعد ذلك إذا شئت لتتصرف في
 حياتك كأنك لم تمس لوثة عار .. وراحت تقبله وتهدهده كالأطفال
 حتى وافق .. وتركته بعد أن أخبرت عنوان صديقيه لاستدعائهما مع
 المأذون .. وعادت بمرافقة المأذون وأحد صديقيه وأنور .. ولما رأى
 أنور اضطرب ونظر إليها في خوف ولاكنها سحبتة بعيداً وقالت له ..
 لم أجد صديقك الثاني رقابلي أنور في الطريق وهو شاب خير وسوف
 يكتفم الأمر فاطمئن . وعقد المأذون قرانهما ودفعت نسمة تكاليف
 العقد وبعد انصراف المأذون طرق الباب ضابط بمرافقة بعض الجنود
 وسأل عن موسى كوهين اليهودي .. وتبين من نظراته أنه لم يعرف شبيهه
 إذ وقع نظره على موسى دون أن يبدى أى شك فقالت له نسمة .. نحن
 لانعرف هذا الشخص مطلقاً .. وتقدم منه أنور قائلاً كلنا مسلمون ..
 وقدم بطاقته كما قدم الشاهد والعريس .. فاعتذر الضابط وتناول مع من
 معه شراب العريس حيث كانت أحضرته معها لنسمة عند حضورها وهنا
 العروسين .. وعند ما سأله أنور وما سبب القبض على المدعو موسى
 كوهين فاذا كان الأمر يتعلق بالوطن فسوف أساعد المباحث على
 القبض عليه إذا وجدته فقال الضابط .. إنه يعمل جاسوساً لحساب
 إسرائيل فشقق الشاهد ونظر إلى موسى الذى بادله النظرة في فزع
 وقال الشاهد أليس له صورة لكي أراها حتى إذا رأيتك بلغت عنه فقال
 الضابط سوف يعثر على صورة له إن شاء الله ويمكنك الاتصال به في
 أى وقت للاطلاع عليها ويكون لمن يدلى عنه مكافأة مالية كبيرة .
 وحياتهم وانصرف .. ولزم الجميع الوجوم حتى تكلم أنور لقد أنقذك

الله يا صديقي في آخر لحظة لاعتناقك الإسلام ولعل هذا يؤكد لك أن
الله يحفظ من يؤمن به وبرسوله إيماناً خالصاً لوجه الله . . فلم يتكلم
وعقب الشاهد . . فعلاً . . لولا إيمانك بالله . . لكنت الآن في طريق
المعتقل إلى ما شاء الله وقد تكون قمت بدور الجاسوس لإسرائيل حقاً
ونحن لا ندري . . وعلى كل حال فاعتناقك الإسلام الآن دليل قاطع
على توبتك والله غفور رحيم . . ثم نظر إليه محذراً مردفاً . . لكن
حذار أن تكون اتخذت الإسلام وسيلة لتبعد الشبهة عنك . . فقاطعه
أنور أعتقد أنه أسلم لله ورسوله . . بقى أن نفكر في وسيلة تبعد
عنه الشبهة ثم يحتمل نشر صورته ومن السهل الحصول عليها أثناء
تفتيش منزله . . وسيكون مهدداً أينما كان ولذلك أقترح أن يغادر
القاهرة اليوم إلى الكويت للعمل هناك وهو كهربائي ماهر . . وغتدى
صديق مهندس كويتي ثرى سيغادر القاهرة اليوم في عربته وسوف
أصل به الآن فوراً لاستخراج تصريح كأنه يسافر معه للعمل عنده
هناك . . وسوف تطيب له الإقامة هناك . . وقاطعه موسى . . ولكن
فلم يدعه أنور يتمم كلامه قائلاً . . دع الباقي لاختك فانها ذكية تحبك
وستعرف كيف تكتم أمرك عن والدك . . فها استعد وعروسك
ريثاً أعود بمرافقة الصديق . . محذراً إياه من التعامل مع إسرائيل إن كان
حقاً ما أشار إليه الضابط فان مخبرات مصر لا يخفي عليها أى شيء مردفاً
ومن حسن حظك أن تغادر القاهرة اليوم قبل نشر صورتك . .
وانصرف أنور مع الشاهد على أن يعود بعد لحظة . . وعلى أثر
انصرافهما اختلى موسى بأخته بعيداً عن زينب وقال . . سوف أسافر

مضطراً لكي أهرب ولاكتفى لا أستطيع أن أعتنق الإسلام وإن كنت
سأتظاهر بذلك خشية افتضاحي وطردي من بلد إسلامي . . فقالت :
يا موسى الله واحد لليهود وللمسلمين والخلاف فقط بينهما في عدم
اعتراف اليهود بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام فقاطعها إنك تذكرين
اسمه بالتبجيل والخشوع كأنك تؤمنين به . . قالت لا أكتمك أننى
أمنت به بعد أن قرأت كلام الله واستوعبته . . دع زينب تقرأ عليك
القرآن في غربتكما وحاول أن تتفهم معانيه وتعيش معه بحسبك وعقلك
كما فعلت أنا وأنا واثقة إنك فقاطعها هل أفهم من ذلك أنك . . فقاطعته
أسأت بقلبي وعقلي ويقتنى من زمن بعيد بينى وبين الله دون أن يعلم
أى أحد حتى أقرب المسلمين إلى لائى أسأت ابتغاء مرضاة الله لا لشيء
آخر . . فقال . . وأهلك فقالت . . لهم دينهم ولى دين . . قال
وخطيبك الذى سافر ليعمل من أجلك . . قالت كتبت إليه وصارحته
بأننى لا أحبه وإن أتزوجه وليبحث له عن فتاة أخرى . . وقد يجد
هناك من توافقه . . قال . . ولكنه لم يكتب إلى بذلك . . فقالت
لائى أخبرته باعتناقي الإسلام . . وهنا عاد أنور برفقة صديقه
الكويتي الذى أبدى استعداداً لتحمل مسئولية سفر العروسين على
حسابه وسوف يستضيفهما في الكويت ريثما يستند عملاً للعريس
وسوف يعتبره صديقاً له باعتباره صديقاً لصديقه العزيز أنور وعندما
هم بتوديع أخته دمعت عيناه وهو يقبلها قائلاً . . حذار من أمك
لأنها إذا عرفت فقاطعته . . اطمئن لن تعرف لائى مضطرة أن أعولها
لمرضها بدل والدى الذى بات عاجزاً عن العمل ريثما يقف يوسف على

قدميه وينتهي من دراسته العالية ويعولهما وما عليك إلا أن تهتم بزيت
فهي زوجة مؤمنة صالحة خلصة لك وقلمما تجد هذه الميزات في زوجة في
هذا العصر الذي قل فيه من تتق الله وتخلص لزوجها .. إخلاصاً لا يعرف
الأنانية .. وناداه أنور ليتعجله لقرب الرحيل فناداه موسى ليتقرب
منهما وسأله .. هل تعرف أن نسمة أسلمت فقال أنور .. لا ..
أعرف أنها مؤمنة تخشى الله قال موسى .. اعتقد أنها أسلمت بدافع
الحب فقاطعت نسمة .. لا يا موسى أسلمت لله وآمنت به وبرسوله
بعد أن قرأت كلام الله فانبثق نورا ازاح غمامة كثيفة كانت تحجب
رؤيا الله عن بصيرتي .. قال موسى .. ليسكن هذا ولكنني اعتقد
أيضاً أنك رفضت خطيبك من أجل إنسان مسلم أحببته قالت - لا
رفضته بعد أن تفتح قلبي على نور الإسلام فلم أشأ أن أخدعه وأتركه
يبنى الآمال على مستقبلنا المشترك .. ولكيلا اقنض عليه عند ما يحضر
ولا يجردني كما تركني .. قال .. والآن .. اليس في حياتك إنسان آخر .
فصمتت قال .. دعيني اطمئن على مستقبلك قبل رحيلي فاني أعلم أنك
سوف تواجهين متاعب لم تخطر الآن على بالك بسبب اعتناقك الإسلام
فقاطعه أنور وهل تظن الله يتخلى عنها بعد أن لجأت إليه وآثرت دينه
قال يا صاحبي أحب أن اطمئن على مستقبلها ومن هذا السعيد المحظوظ
الذي قدر عليه أن تشاركه السراء والضراء .. فنظر إليها أنور وقال ..
طمئنيه وذلك من حقه إن كان في حياتك هذا المحظوظ .. فنظرت إليه
وقالت .. أنا لا أشجع الفتاة على اعترافها بالحب لمن تميل إليه إذا
فرض ومال قلبها لإنسان ما خير لها أن تطوى الحب بين جوانحها من

ان تهدير كرامتها وتجرح حياها وهو تاجها الذى يتحتم ان تعتز به .
قال : ألا يحتمل أن يكون ذلك الإنسان الذى أحبه بحبها وبخفى أن
يصارحها فيجد قلبها متجها لسواه . . . قالت . . . لا أظن إذ لا يمكن
أن تتآلف الأرواح بغير مشيئة الله أن تتآلف يجمع بين الروحين
والقلبين معاً لأن الروح إذا استمدت إشعاعها من الله وسلطته على
أخرى لا بد أن تتأثر بها وهنا تسرى حرارة هذا النور إلى القلبين
فتحركهما حركة الدفء والحياة وتراعى إليهما صوت الكريه ليعتجلاهما
فتحرك موسى وقبل أنور قائلا . . . أوصيك خيراً بنسمة . . . وأنا
أعرف أنك خير من يرعاها . . . ثم عانق أخته وقبلها قائلاً . . . أنا أعرف
من زمن بعيد من يميل قلبك إليه . . . إنه يحبك يا نسمة . . . أنا متأكد
من ذلك . . . وأبارك زواجك من الآن ونظر إلى أنور وعاد يمانقه
ويقبله مردفاً . . . حياء المرأة يحملها . . . أما الرجل فيتحتم أن يكون
شجاعاً وإلا خسر الممركة . . . فقال أنور معك حق . . . إذن دعنى أسأل
أختك إذا تقدم إليهما شاباً ليطلب يدها مع العلم أنه يحبها حباً لم يعرفه
تاريخ المحبين أتقبل ؟ فسألها موسى . . . الجواب عندك . . . قالت . . . ولماذا
لا يقدم لى نفسه دون حذر ؟ قال يخفى . . . قالت . . . ما دام يحبني
فلا شك أننى أحبه فقاطعها موسى . . . أزف الوقت ولا داعى للـ
والدوران . . . وخاطب أنور سداها واطمئن . . . فنظر إليها أنور بنظرة
تتم عن الحب المشبوب وقال . . . أنا الراغب فما جوابك قالت . . .
يسعدنى تحقيق أمنيتك فضمهما موسى مقبلاً كل منهما قائلاً فليبارككما
الله وسوف أعيش هناك موفقاً بفضل دعاء قلبين مؤمنين إن شاء الله

فقبله أنور معانقا متمنيا لهما السعادة ثم أتجه نحو زينب وصالحها في
حرارة قائلا : مهمتك أن تفتحى قلبه على كلام الله .. وقبلتها نسمة في
حرارة وعانقتها طريلا ثم قدمت إليها مصحفا مذهبا قائلة خير هدية
لكما كلام الله ففيه ما يبعث السعادة والأمان .. فافتحى قلب موسى
ليبصر وبذلك توضح له حقائق الوجود وبواعث الخلود وأنا واثقة
إنه سيخضع بإلهامك من الأولياء الصالحين إن شاء الله .

وهنا عانقها موسى وهو يتقبلها قائلا .. اطمئنى الآن فقط استشعر
بعد أن فتحت لى الباب أن الله وفقنى إلى السير فى طريقه وأشعر حتما
بإيماني به وبرسوله .. صديقتى .

والآن .. لقد مات موسى اليهودى وليعيش صديق عبد الله المسلم
وسوف أعلن إسلامى حتما وأعيش لزوجتى وولدى وبلدى مصر .

فعاينته نسمة قائلة .. اذهب يا أخى اذهب على بركة الله لكيلا
نحظى على والدتك إذا عرفت ذلك ودعنى أنا أعيش لها ولوالدى كما
يريدان ولزوجى ودينى كما يريد الله .

والله يتولانا جميعا برعايته ..



دق الهاتف الخاص بالاستاذ جلال بمكتبه بالإذاعة وعندما رفع
السماعة .. سمع صوتا لا يعرفه يقول - الو - ثم يسكت دون كلام
ويضع المذيع السماعة في غيظ واضح مغمغما هذا لا يطاق .. كل يوم
يظل رنين الهاتف مستمرا حتى استجيب .. ولا اسمع صوتا وتظل
السماعة مرفوعة حتى أقطع المكالمة دون كلام .. شيء عجيب .. ولا

يحدث ذلك لغيرى كان المتكلم يعلم مواعيد عملي ويهز رأسه متأففا
مستذكرا هذا التصرف ثم يهون الأمر فيخاطب نفسه على صوتى غير
الصوت المطلوب .. ثم يستبعد هذا الخاطر بدليل أن ذلك لا يحدث
إلا معى وهنا يدخل زميله صلاح ويسمع آخر كلامه فيقترب منه قائلا
جلال — ماذا جرى ؟ أنكم أنفسكم ؟ فيقص عليه ما يحدث يوميا
قبل مجيئه .

صلاح — ربما معجبة بك تعاكسك ؟؟

جلال — جميع المعجبات يتكلمن بصراحة

صلاح — قد تكون فناة خجولة ولأول مرة تحاول مخاطبة شاب
في الهاتف .

جلال — بصراحة .. استبعد ذلك أيضا .. إذ ليس من المعقول أن
تكون معجبة معجبة في هذا الزمن الذى تحررت فيه المرأة من
كل ما ينتمى إلى الحياء وقد لا تأبه بالتقاليد .

صلاح — لا يا عزيزى .. لم تزل بعض الفتيات متمسكات بالتقاليد
يمكن الخط بيقطع

جلال — مقاطعا .. عن عمد فى ساعة محددة ومعى أنا بالذات ..
ومع ذلك فالخط يظل مفتوحا لاني أسمع أنفاس المتكلمة
كأنها بجانبى .. بل أشعر أحيانا بأن رأسها مستند على كتفى
أو وجهها قريب من وجهى .

صلاح — ما دمت تشعر بذلك .. فالأمر فيه لغز

جلال — ولم استطع حتى الآن حله .. مضى شهر ونحن نلتقي على هذه الصورة وأغرب من ذلك أن قوة خنبة تلزمني بالمضرب في ساعة هذه المسكامة .. تصور أحيانا يضطرنى عملي إلى ترك مكنتي فإذا بي أجد ما يبرر حضوري إليه .. ويوم عطمتي أجدني نسيت هنا بعض أوراق يتحتم أن أنجزها فاحضر في الميعاد كأن قوة سحرية تدفعني .

صلاح — صحيح .. لغز عجيب .. على كل حال .. الأيام كفيلة بحله فلا تشغل بالك .. هيا حان ميعاد الإذاعة الخارجية .. ولاحظ صلاح أن جلال على غير عادته أثناء العمل .. فأول مرة يخطيء أثناء الإذاعة ويعتذر للمستمعين مما اضطر صلاح إلى مصارحته قائلا .. يبدو لك متعب .. لأول مرة تخطيء يا جلال وانت الوحيد الذي لم يخطيء طوال مدة عمله .. ماذا جرى لسبت أفهم ؟ .

ثم تنو إلى مكالمات المعجبات والمعجبين من المستمعات والمستمعين بعضهم يسألون عن صحته ومزاجه لأن إذاعته الأخيرة تنم عن انحراف ألم به، والبعض يظن أن مديعا آخر تكلم باسمه وهو يجيب في كل مرة إجابة مقتضبة لا تطمئن المتسائل

وتتكرر هذه المكالمات الصامتة في الميعاد وفي كل مرة يزداد حيرة واضطرابا بل يشعر أنه ازداد التصاقا بذلك الصوت المجهول ، كان إشعاعا خفيا يربط بينه وبين الصوت في قوة فيها دفء وحرارة ، وقد تتحول الأنفاس التي يشعر بها من وراء الهاتف إلى صوت رقيق

منغم كأنه صدى لاثير يداعب أوتار كان يبلغ أذنيه في حنان مستحب
وعن عمد يحضر إلى مكتبه في يوم أجازته محتجا لصلاح باعداد إذاعة
لم ينجزها من قبل وينتظر المكالمات كالمعتاد فلا تحدث فيقول لصلاح ..
كأنها تعرف يوم أجازتي بدليل أنها لم تتكلم اليوم وقبل انصرافه
يرجو صلاح أن يحضر مبكراً ليكون حاضرا معه أثناء المكالمات
الصامتة .. ويستجيب صلاح فيحضر في اليوم التالي نزولا على رغبة
جلال وفي الميعاد المعتاد .. يرن الهاتف .. فيشير جلال إلى صلاح ليحجب
وتكلم الصوت وقال صلاح .. أنا جلال صدقيني .. وينفى الصوت
ذلك فيقول صلاح قد يكون البرد أثر على صوتي .. المهم من أنت
يسرني أن أعرفك فلا يحجب الصوت وتقطع المكالمات وبعد أن يضع
صلاح السماعة يقول جلال إذ كان واقفا بجانبه مذهولا وقد شد
السماعة منه ولكن غاب الصوت فلم يدركه .. لأنها تعرف صوتك ، لم
تصدق أبداً اننى جلال إذن هي تعرفك .

جلال — لا أظن لو أنها تعرفنى لما استرسلت في تنكرها ، أول
مرة فقط قالت ألو .. وهي المرة الوحيدة التي نطقت فيها .. أصارحك
أن نعمة ألو هذه ظل صداها في أذني حتى اليوم واسمها رغم صمتها في
أنفاسها كلما تكلمت .. لقد مست هذه الكلمة عواطفى مساً رقيقاً
الطيفاً ولا أكتمك أن هذا اللفظ — ألو — أصبح ك مفتاح لدراسة
العواطف المجهولة .. وكثيراً ما دفعنى هذا الصوت إلى رؤى شعرية
أرى من خلالها صاحبة الصوت عادة هيفاء جميلة فاتنة تنقلنى همساتها
من محبسى الضيق إلى دنيا صاحبة الصوت الحنون وقد يرفعنى في رفق

ولين على أجنحة الآمال المشرقة ويغمر وجداني بهمسات ينبعث منها
شذى وجدان حى فيه دفء الحب الأكيد .. وأنا رجل كما تعلم أعيش
على الآمال أقتات الأحلام وأتأثر من الفتنة إذا كانت كومض بريق
خاطف فيه أشعاع يجذب البصر والقلب معا ، وأحيانا أرانى
كالمسحور لا أعرف أين أنا من مكانى وزمانى أنا الذى تربطنى حياتى
بكل زمان ومكان أعيش كالساعة إذا اختلف ميزانها توقفت عن الحركة
لذلك صبح عزمى على أن آخذ أجازة لابتعد عن ذلك الصوت الذى بت
بتأثيره مسحوراً ونصحته صلاح بالألا يشغل باله فن استسلامه لآلى
مؤثر ما يحول بينه وبين نعرف الحقيقة .. وأيقن جلال أن الجدل فى
هذا الشأن لا يجدى فقطع الحديث وانصرف إلى عمله وبعد انتهائه من
العمل ، وفى طريقه إلى منزله راح يصغى بتمعن إلى كل صوت يترامى
إلى مسمعه من الفتيات والنساء الرانحات والغاديات الراكبات
والمرجلات عساه يسمع صوتا يعيد على مسمعه موسيقى — ألو —
البحرية متمنيا لو كان شاعراً لجعلها مطالع تصيدة او موسيقيا مقدمة
الحن موسيقى او رسام كخطوط اللوحة ترسم بأضواء تجذب النظر
والقلب معاً ولم يشأ أن يركب عربة الإذاعة لتوصله إلى بيته كالمتعاد
ليبحث فى الطريق عن مصدر — ألو — واثناء نزوله من الأتوبيس
— سمع صوتا يناديه جلال — إلى أين ؟ وتلفت ليرى من يناديه
فرأى صديقا له يسرع نحوه معانقا بشوق بالغ وتمسك به الصديق
ليتناول معه الغذاء لأنه قريب من بيته ، ولسكنه اعتذر بدعوى أنه
مرتبط بميعاد ، ولـ كيلا يسير فى الطريق الذى يسير فيه صديقه

اتجه نحو شارع آخر يوصل إلى بيته أيضا ولم يسكد يقبض فيه شوطا
حتى وجده مسدودا وشعر بالحساس غامض يرتاد جنبات صدره
فتحول إلى طريقه السابق موقنا أن صاحبه قطع طريقه أو كاد وفي
منتصف الشارع شعر بيد تمس كتفه فتوقف في دهشة فاذا بصديقه
يقول له ، ، تصور بعد أن تركتك وسرت بضع خطوات تذكرت
عمي المريض الذي لم أراه منذ أيام وخشيت أن يشغلني أعداد لوازم
السفر إلى الخارج فلا أتمكن من وداعه ، ، وحاول جلال أن يعتذر
ولكن صديقه تشبث به وجذبه قهرا قائلا ، مشيئة الله تجعلني
أراجع عن طريق بيتي لزيارة عمي ، ، وتجعل الطريق مسدودا
إمامي لكي نلتقي ونتناول سويا طعام الغذاء عند عمي ، ، وجذبه
قهرا ولم يجد جلال مناصا من قبول الدعوة فقد كان متعبا في حاجة إلى
إلى الترويح عن نفسه ولن يجد مثل صديقه من يشرح له صدره بمرحه
ودعابته التي عرف بها .

وكان في البيت بذات كثيرات يتقاربن في السن ويتشابهن في الجلال
واللطف فتسابقن إلى مصافحته عندما قدمه الصديق . . أنه المذيع
اللامع جلال وهمس الصديق لجلال وهما يتناولان شرابا مرطبا ريثما
تهب الأجرة الغذاء . . أو تذكر يا جلال يوم قلت لك في مستهل
حياتك الإذاعية سوف تكون نجما لامعا في الإذاعة . . لأنك
لا تؤمن بنجاح المذيع إلا عن طريق صوته أكثر من اعتماده على
وسامته لأن صوته النافذة التي يطل منها على مستمعيه وبقدر ما يحمله
الصوت من سلامة التعبير ورقة الأسلوب وحلاوة النغم يكون نجاحه

ولقد حبأك الله هذه الهبات وها قد صحت نبوءتى . . ويتنهد جلال
وهو يقول . وهل تعتقد يا صاحبي أن ذلك يسعد المذيع ؟ فيقاطعه . .
وأى سعادة أنها سعادة السعادة فى يقينى فيقول جلال . . أنت وأهم
يا صديقى أو على الأصح لا نعرف معنى السعادة إن صوت المذيع
الناجح الذى ينفذ إلى القلوب وقد يملكها هو نفسه مبعث تعب
وشقاه أنه يجد الطريق أمامه مترامى الأطراف كأنه لانهية له كلها
تلفت وجد سحراً وجمالاً فيحار أين يستقر . . أين ينتهى
به المطاف ؟ أى الافنان يتفياً ظلالها وأى الورد يشتتم أريجها . .
وأى جمال يتأثر به . . إنه تعس . . أنه كالنجم المتألئى وحيداً يضى
على الوجود فوراً ولكن لا يوجد من يعرف مبعث هذا الضوء .
وهل المذيع سعيد بهذا النور لا أحد يدري ؟ . . ولا هو يدري ؟ .
لأنه يعيش فى غمرة مسؤولياته الجسم إلى حد ينسى التزاماته نحو نفسه
فى كثير من الأحيان وهذا يصمت لأن الخادم تعلم انتهاء إعداد
الطعام ويجد نفسه يواجه البنات حول المائدة وهن متشابهات لونا
وطولا وشكلا إلا سمات خاصة تميز بها كل واحدة . . ويدور
الجدب أثناء الطعام حول الإذاعة كل واحدة تبدى رأيها فيما تسمع
مقرظة وناقدة وهو يصغى ليسمعهن جميعاً فى تأمل وعمق . . وقد
يتلشى أثر كل صوت عند انتهاء المتحدثة من كلامها . . عدا صوت
أحدهن . . لقد نفذ إلى أعماقه كأنه يعرف الطريق إلى قلبه . . وكان
باب القلب مفتوحاً ليستقبله . . وقضى الوقت بعد أن تناول الطعام
صامتاً كالسحور . . إذا تكلم خيل إليه أن يداً خفية تفتح صدره

ليفيض ويسترسل وكأن في هذه اليد آلة تعزف . . كلمة — ألو —
 أن تكون هي ؟ ما أقرب الشبه إلى الصوت . . كلاهما يعبر عن الحنان
 والرقّة والعدوبة . . وترك البيت وهو يشعر أنه ترك وراءه شيئاً
 لا يعرف على وجه التحقيق ما هو هذا الشيء . . ولكنه يشعر تماماً .
 بأن إحساسه ارتبط بهذه الفتاة . . وقال له صديقه بعد مغادرتهم
 البيت وهو يسير معه ريثما يركب الأتوبيس . . ما رأيك في بنات
 عمى . . فأجابه في إيجاز وورده أن يعفيه من إبداء رأيه . . ولكنه
 اضطر أن يقول أنهن جميلات لطيفات قال الصديق . . حتماً ولكن
 لكل منهن صفات خاصة وعمى في حيرة دائماً بسببهن فشلا يتقدم
 طبيب لخطبة إحداهن فرفض لأنها تفضل المهندس ويتقدم المهندس
 لمن ترغب في المذيع وهنا يتنبه جلال من سرورهم بتساؤل . . ومن
 منهن التي ترغب في المذيع فقد يعهد إلى أحد الزملاء باختيار عروس له
 فيقول لا أدري بالضبط لأن عمى حينما يشكو ساخطاً عليهن لا يذكر
 الأسماء . . ويقاطعه جلال . . ولماذا لا تخطب إحداهن فيجيبه
 بالهجة تنم عن الألم قائلاً . . لا أنكر أنني أحب إحداهن ولا أعرف
 حقيقة شعورها نحوى وكما رأيت كلهن يعاملننى كأخ عزيز عدا
 إحداهن تولينى اهتماماً خاصاً أثناء زيارتي لعمى وأرى في نظراتها
 ما يعبر عن تعلقها بي ولكننى مع الأسف أميل إلى غيرها ولا أدري
 إن كانت تلك تحببني أم لا . . ويصمت لحظة ثم يردد بصوت صادر
 من قلب حائر . . إن حقيقة الحب يا جلال من أدق أسرار الحياة ؟

وهنا يربت جلال على كنفه مداعباً قائلاً : أتمنى ألا ينطبق عليك
قول الشاعر :

أحبتها عرضاً وأحبت غيرى وأحب غيرها الرجل

وهنا ينزعج الصديق مردفاً تحب غيرى ؟ لو حدث لقتلتنى
ومى لا تدبى ويطرب أتوبيس طريق جلال فيودعه راجياً له
تحقيق أمنياته وشاكراً له دعوته وإن ينشئ هذه اللحظات السعيدة
ويتركه وهو مشهود إلى خواطره التى تتأرجح بين الواقع والخيال
ولا يدرى أيهما أقرب إلى الحقيقة .

وفى اليوم التالى . . . فى نفس الميعاد سبع رنين ألهاتف . .
وفى شغف على غير عادته رفع السماع وكرر ألو . . .
ألو . . . دون جدوى وبصوت ينم عن الرغبة والسكنه مغلف بلهجة
الغليظ . . . من أنت ؟ إن لم تتكلمى سأضع السماع . . . لا داعى لهذه
المداعبة السخيفة . . . ولم يسمع صوتاً غير أنفاس تعلو معبرة عن
خفقات قلب . . . فاغتاظ ورمى السماع وراح يفكر . . . لو كانت
ابنة عم صديقه لتكلمت . . . فقد كانت ضريحة فى احتشام محدثة لبقه
فى حذر . . . واضطجع على مقعده وألقى رأسه للوراء وأرخى جفونه
ليستدنى طيفها منه . . . كم هى جذابة ساحرة . . . خمرية اللون يشوب
بشرتها خراة تعبر عن قلب حى خفاق متوسط الطول مليئة الجسم
دون بدانة وتمنى لو تكون صاحبة الصوت . . . ولكنه طرد هذا
الخاطر وتمنى ألا تكون هى لأنها حبيبة صديقه وقطاع عليه سروره

دخول صلاح الذى أبدى دهشته لرؤيته بحالة أسـ...وأ من البارحة واضطر أن يصارحه قائلا.. يبدو أنك لم تنم ليلة أمس وبعد أن استقر فى مكانه أردف .. يبدو يا جلال .. الحب بدأ يتسلل إلى قلبك بحرارة لم تعرفها من قبل ولعله يؤس من سجانه .. دعه يتحرر من منطق عقلك يا أخى .. وكفأك سخرية من كل حب لكم كنت أشفق على كل فتاة تحبك ومن سوء حظ المعجبات أنك أوفرنا حظا عند الجنس اللطيف وسكت عند ما نظر إليه جلال .. نظرة طفل يواجه مشهدا لأول مرة يريد أن يلصقه ويمزقه ليبحث عن محتوياته ولكنه يخلف حيرته برزائمه المعروفه ويقول .. لم أفهم ما تعنى بالصبغ لأننى مشغول ببحث جديد على .. أريد أن أدرس — علم الروح — إن جاز تسمية كل ما يتعلق بالروح علما .. ولم لا ؟ أليس للقلب وللنفس أيضا ولكل عضو من أعضاء الإنسان علما لقد خص الله الروح بميزات تسمو على ميزات كل ما يتكون منه الإنسان وذكر الرسول ﷺ أنها سر التألف فقال الأرواح جنود مجنده ما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف . إذن هى مصدر الحب لا القلب كما يقولون فقاطعه صلاح .. وهل ذلك يحتاج لبحث شاق .. صحيح .. ما ذكرت ولماذا تهق نفسك فى البحث أنك هنا فى العمل تستريح لكل من يستريح إليك .

جلال — صحيح .. لكن هناك أسرار لم تكتشف بعد أريد أن أبحث عنها .. لقد قضيت ليلة أمس أبحث عن سر الجاذبية الروحية . الأرض جاذبية تربطنا بها وللسماء جاذبية تربط الأفلاك وتشهد المخلوقات الطائفة إليها ..بقى أن أعرف القوة الخفية التى تشد الإنسان

إلى إنسان قبل أن يره فيعيش معه بمشاعره وتفكيره كأنه عاشره
طوال ما مضى من عمره ، أعتقد هذه القوة .. هي الجاذبية الروحية
تلك الجاذبية هي التي يستغلها علماء الفلك والمغناطيس في معرفة
ما يصعب على العامة معرفته من أسرار الحياة والسكون وبوسيلة هذه
الجاذبية نحلق في السماء ونغوص في أعماق البحار ونسيطر على إرادة
أى إنسان .. وسكت ليتنفس ويدخن فقال صلاح أعتقد أنك بدأت
تحب وهذا الحب نافذة أطلت منها روحك على ما استجد في عالمك
المشحون بمشاعر انبثقت من قلبك على ضوء روحك الذى كان غافيا
وتنبه ليحولك من مضيع مرموق محبوب إلى باحث فيلسوف وقد
تصبح أعلم العلماء ورائد الفلاسفة الفقهاء .. وأخرف ما أخافه أن
نفقك وقد تفقد بدورك صاحبة الجاذبية التي تبحث عنها .. صدقتى
ستتلاشى هذه الجاذبية في خضم الجاذبية الا محدودة وضاق جلال به
فأسكته بإشارة يده قائلا : أوه متى اتفقنا على أمر حتى نتفق اليوم ،
انت تنظر إلى الحياة ساخرآ وأنا أنظر إليها جادا فيضحك صلاح
مرقها عنه قائلا .. يا فيلسوفى الباحث .. أنا أعيش كما عاش برناردشو
وانت تعيش في دنيا أنشتين ، أنا أرى فى كل مشهد لونا يشدنى إليه
فإذا تلاشى تحولات عنه إلى مشهد آخر وانت تبحث وسوف تظل
تبحث وقد توفى إلى اكتشاف جديد كما وفق رائدك أنشتين ولكن
سوف ينتهى عمرك المديد بإذن الله دون أن تبلغ نهاية الشوط لأن كل
حقيقة وراءها حقيقة مجهولة تشدك للبحث عنها فلا تكلف نفسك عناء
البحث الطويل .. فعش يا صديقى مع اليوم ، إن الزهرة الناضرة

التي تجذبك ستذبل ويتلاشى عطرها غدا في الوقت الذي تنفتح فيه
زهرة أخرى تجذب نظرك وحسك رغم أنفك . . إذا عرفت ذلك
تمتعت بيومك وتركت الغد لله .

جلال — لا أنكر ان اليوم وغدا لله . . ولكن هذا اليوم مليء
بالأسرار إذ أحس بقوة خفية تفتح عيني على نور باهر
وتوقظ في أشواق الحنين لمجهول غامض وتدفعني إلى التفكير
الجدى في طيف لم أتدبئه بعد !! يتراعى لي من وراء مشاعري
ساحراً أخاذاً

صلاح — ما زلت أؤكد لك . . انك أحببت

جلال — مقاطعاً . . وانا أؤكد لك . . أبدا وأقسم لك قد يكون
نسيم الربيع المعطر بشذى الورود هو الذي بعث في نفسي
هذا الانتعاش اللطيف . الذي نبه روعي إلى ما لم يمر
بخاطري من قبل

صلاح — ولم لا يكون الربيع فتح قلبك على رنين الهاتف .

وسمكت عند ما رن الهاتف ، ، فانتفض جلال وتردد ملياً
قبل أن يمسك السماعة ولما هم صلاح برفعها أخذها منه ثم هداً عند ما
سمع المدير يطلب صلاح لمقابلته ، ، وتمر بعض ساعات يغالب خوارطه
لينجز أعماله ثم يفاجأ بمكالمة تليفونية من صديقه يطلب منه الانتظار
بمكتبه ريثما يمر عليه ، ، ويدهش جلال إذ لم يسبق لصديقه هذا أن
يمر عليه أثناء عمله وطاف بخياله معه في مراحل صداقتهما حتى استقر
به المطاف عند آخر زيارة عند عمه ولم يزل حديثه عن ابنة عمه عالقا

بلذهنه وظل مشدوداً إلى تفسير هذه الزيارة حتى انتهى وقت عمله
 وحضر صديقه — عاصم — راجياً منه أن يرافقه لزيارة عمه لكي
 يساعد على اقناع زوجة عمه لقبوله زوجها لابنتها (هبة) مؤكداً له
 قائلاً : لقد أعجبت بك وأسلوبك الشيق قادر على التأثير عليها ، وقد
 سبق أن تقدم لخطبتها مهندس ولكن عمى رفض ريثما تتزوج أختيها
 الكبيرتين . . وقد رحل المهندس مضطراً إلى الخارج وأنا على استعداد
 للانتظار . . ويعود جلال إلى نفس السؤال الذى سبق أن سأله . .
 وهل هى تحبك . . فأجابته . . إن زوجة عمى لم تترك لنا فرصة
 للتفاهم واعتقد أنها عـلى استعداد لحبى ولكن حياءها يمنعها من
 مصارحتى وبهاجة العطف عليه يقول جلال : ولكنك تتردد على
 البيت كثيراً ولا شك أنه مر بك كثيراً من الفرص لمصارحتها فمر
 عاصم رأسه متمتما . . صحيح كانت هناك فرصاً كثيرة ولكنى فى
 كل مرة كنت أرجئها لفرصة أخرى عند ما ألمح زوجة عمى تقترب
 منا . . إذ لو علمت لمنعتنى من دخول البيت بتلفيق أى سبب يقتنع به
 عمى لأنها تكره أمى أو على الأصح لأن أمى جميلة وصالحة ودائماً عمى
 يمتدحها ويحسد والذى على الزواج منها مع أن أمى لا تكرهها وتفسر
 تصرفاتها التى تضايقها وتضايقنا لأنها تنفيس لحقدتها على كل من يمتاز
 عليها بصفة ما ، ، ولا أخفى عليك ، ، لولا تعلقى بابنة عمى لما تغاضيت
 عن تصرفاتها البغيضة ، ، فقاطعه جلال ، ، ولكن زوجة عمك كما يبدو
 لا تختلط بمن هم أقل منها مستوى حتى يحقدون عليها وبالتالي تحقدونهم . .
 فقال صلاح . . اعتقد أن هذه المشكلة هى الجديرة ببحثك لعلاجها . .

بدل أن تجرى وراء متاهات لا نهاية لها . . . إذ سبب التنافر الذي نشأ
بين زوجة عمى وأمى . . . أن والدى تزوج بوالدتي قبل زواج عمى
بعامين وكان لا بد أن يكثر مع والديه لتقوم أمى على خدمة أمه
الريضة أى لزمت البيت لسببين أولهما ضرورة خدمة والديه وثانيهما
أنها لم تنل شهادة تفرجها على العمل وقامت بخدمة الزوج ووالديه
وأخوته على الوجه الأكمل حتى تعلق الجميع بها ثم تزوج عمى بهـ
الزوجة التي رأيتها وهي مثقفة ثقافة عالية .. واضطرت أن تمكث
عاماً ريثما يتم عمى بناء مسكن خاص لهما . . . ولم تحاول أن تعاون أمى
في خدمة أسرة زوجها أو في شئون البيت ووزعت وقتها بين قراءة
الروايات وزيارة أهلها وصديقاتها ولم تولي زوجها الاهتمام الواجب
معتمدة على أمى في القيام بخدمة الجميع في إخلاص دون ملل أو تأفف ..
وكان من الطبيعي أن يعلق أهل البيت كلهم بأمى وخصوصاً جدى
وجدى فقد كانا يظهران حبهما أمام زوجة عمى مما دعاها إلى ضرورة
استئجار مسكن ريثما يتم بناء المسكن . . . لكي تتخلص من أمى التي
تعلق بها عمى تعلقاً بريئاً ممتدحاً إياها أمام زوجته مقارناً بينهما دون
تحفظ أو رعاية لمشاعر زوجته متحسراً على سوء حظه لاختيار زوجة
لا تقدس الواجبات الزوجية مقدراً استعداد أمى الطبيعي لقيامها
بواجب الزوجة والأمومة خير قيام غير آبه بالفارق الهائل بين زوجته
التي تباهى بثقافتها ولا تعمل بتعاليم دينها على الأقل . . . وزوجة عمى
تحاول دائماً أن تفهمنى أنها لا تميل إلى زواج الأقارب ولن تزوج
بباتها بأى قريب مهما كان شأنه .. لذلك أتهيب محادثتها وأريد أن
توافق هي أولاً لأن موافقة عمى مرتبطة بموافقتها لأنه خاضع لها.

وقال جلال بلهجة الحائر . . . حقاً . . . إنها مشكلة .. كيف
تحول السكرامية إلى حب والرفض إلى قبول . . . والغرور إلى تواضع .
ولكن ماذا أفعل أنا ؟ وهى لا تعرفنى ؟ وهل مجرد إعجابها بى من
أول زيارة كما تقول يكفى لتغيير ما طبعت عليه . . . لا أظن يا صديقى ؟
فقال عاصم مهمتك - خدمة لى - أن تتقدم لخطبة ابنتها الكبرى
وسوف يتقدم للوسطى صديق لى اتفقت معه . . .

جلال مقاطعاً بلهجة الاصرار . . . ولكننى لا أريد أن أتزوج
مطلقاً الآن ؟ وهبنى على استعداد فليست هذه فتاة أحلامى .

عاصم . . المسألة أبسط مما تظن . . لأنها لا تكلفك أكثر من دبله
تقدمها إليها وقتاً وسأشتري أنا لك الدبله . . لأنك مستتر كها وتذهب
لغير رجعه بعد أن أتزوج أنا وأظن صداقتنا تحتم عليك ذلك .

جلال . . يضحك ساخراً . . أمن أجل غايتك تبرر الكذب
والخيانة ؟ فهل نسيت رسالتى فى الحياة علاج كل ما ينتمى إليهما ؟
لا . . لا يا صديقى . . إذا سمحت لنفسك بأن تضحى بمثل فى سبيل
غايتك فانى لا أسمح لنفسى بتضحية مثلى العليا فى سبيل غايتك . . انك
بذلك تحطم بناء صداقتنا .

فقاطعه عاصم . . المسألة بسيطة جداً جداً أبسط مما تتصور . .
لو خرجت من منطقة عمالك التى تحجبك بعيداً عما يدور فى المجتمع . .
لسمعت عن مئات الشبان يخطبون الفتيات ثم يتركونهن وقد أصبح
من المسأوف ترك الخطيبة أو ترك الخطيب . . ولا علاقة بموقفك

بالقدر أو الخديعة كما تظن انها وسيلة لتجمع بين زوجين ولن أنسى
لك هذا الجليل مدى الحياة وسوف أكون مدينا لك بسعادتي .

وبلهجة جادة قال جلال أنا مستعد أن أحاول اقناع زوجة عمك
دون أن أقف هذا الموقف المشين فإذا وافقت كان بها وإن لم توافق
تريث أنت ريثا تزوج أختها وقد ينفعك هذا التريث لتوطد علاقتك
بفتاتك وتؤكد من حبها وإلا فلا جدوى إذا كانت لا تحبك ؟ .

عاصم . . يفكر مليا ثم يقول . . مادمت ممر على ذلك . .
إذن تعال معي لتستميل قلب زوجة عمي إليك لكي تنتفع بميلها للتأثير
عليها وفي طريقهما عرجا على صديق آخر لعاصم ليرافقهما وبعد أن
استقر بهم المقام ورحبت بهم الأم وقد خصت المذيع بحديثها تاركة
البنات يتحدثن حسب ما يقتضيه الموقف ولاحظ جلال أن فتاة
صديقه تنظر إليه خلسة وتقطع حديث أمها من آن لآن كلما بدالها رأى
غير وجيه ويحتاج للتصحيح . . إذ كانت الأم تتحدث عن ضرورة
اهتمام الإذاعة بالأبراج التي تهتم المرأة المثقفة في حين تدعو ابنتها إلى
ضرورة اهتمام الإذاعة بتوعية وتوجيه المرأة الجاهلة التي لا يتسنى لها
مطالعة الصحف والمجلات والمؤلفات التي ترتفع بمستواها بأسلوب
مبسط يمكنها من تفهم ما يقال لتتأثر به مع الافتناع ولا تلبث حتى تعمل
بمقتضاه ثم انتقلت إلى نقد ندوة إذاعية بعنوان آخر المطاف وقالت . .
وهل تظن أن آخر المطاف لكل من قدمته في ندوتك انتهى به عند هذا
الحد ؟ إن آخر المطاف لا ينتهي ياسيدي إلا عندما يبدأ في رحلته
الثانية وتهدت ثم أردفت . . إن الإنسان ينتهي من طواف دنياه

ليبدأ في طواف أخراه إذن يستحسن تعديل اسم البرنامج - إلى حلقة -
رحلة في دنياي - وكم رحلة فيها العجب العجائب بالفكر أو الحس
أو العمل أو دم جميعا .

وهنا صفق الجميع عدا جلال الذي ظل مأخوذا بسحر صوتها
وعذوبة لهجتها ولم يتكلم ولكنه أوما برأسه معبرا عن إعجابه
واقترانه برأيها أو لعله ظن أن الكلام غير كاف للتعبير عن إعجابه
فأثر الصمت . . وبعد تناول الشاي والحلوى وقف ابن عمها وقال
مخاطبا زوجة عمه . . اليوم بمناسبة عيد ميلادك السعيد الذي فوجئت
به الآن فيني أقدم لك هدية ميلادك مشيرا إلى صديقه . . محمد خطيبا
لساوى (الكبرى) وهو محام بارع وأشار إليه ليتكلم ولكن محمدا
ظل مرتبكا حتى جذبه الصديق من يده مردفا . . هيا لا تنجل قبل
يبد (حاتك) لتبارك خطبتك وهنا قاطعة الوالد محاولا أن يخفف من
حدة غضبه . . إن صاحبك أوفر حكمة منك يا ابن أخى . . كان
المفروض أن ترجى ذلك لوقت آخر ريثما نتعرف عليه ويتعرف علينا
ويرى عروسه . . أنا واثق الآن أنه لا يدرى أى التفتيات سيخطبها ؟
وعلمت الأم ساخرة دائما يتصرف دون تعقل . . أنسيت أننا في
عصر . . يتحتم تفاهم الشباب مع من يميل إليها أولا فإذا تم التفاهم
واقترعت به يتقدم لأهلها وفرح جلال لهذا التعليق فقال . . فعلا
معك حق . . يجب للتفاهم بين الطرفين للتأكد من اقتران أحدهما
بالآخر . . وعاد عصام يقول بلمجة المخذول . . لقد شئت أن أقدم
العريس تاركا لزوجتي عمى الحرية في القبول أو الرفض بعد أن تتأكد

من كفاهته العلمية والمالية . . فلم تلتفت إليه وكأها لم تسمعه وقالت
خطابة محمد اترك كارت لعمك وسوف نتصل بك في فرصة أخرى
إن شاء الله . . وحمد جلال الله على أن الجلسة انتهت عند هذا الحد
دون أن يمسسه صاحبه . . وعندما استأذن للانصراف لأنه مرتبط
بميعاد يخص عمله . . استوقفه عاصم قائلاً . . لست في حاجة لكي
أقدمك إلى زوجة عمى وبقي أن أخبرها بأنك راغب فى الزواج من
منى . . مشيراً إلى الابنة الوسطى . . ولم تكذب الأم تسمع ذلك حتى
تبدي ارتياحاً وفرحتها قائلة . . وهل الاستاذ فى حاجة إلى وسيط ..
يشرفنا ذلك ومن الآن اعتبر منى خطيبتك وتلفت إليها ما رأيك
يا منى . . فتطرق الفتاة وقد تورد وجهها وشاع السرور على محياها ..
فتردف الأم طبعاً موافقه . . السكوت علامة الرضا . . ثم توجه
الكلام إلى جلال . . ومتى تقدم الشبيكة . . فيطرق مرتبكاً فى حين
يخرج عصام الدبلة من جيب جلال قائلاً . . لقد اشترى الدبلة
وها هى . . وبعد موافقتك وموافقة عمى حددا موعد الخطبة الرسمية
وهو يأمل أن تكون قريبة فقالت الأم فى ابتهاج الوقت الذى يناسبك
تحت أمرك . . وإزداد جلال ارتباكاً وقال بصوت خفيض . .
إن شاء الله اتصل بكم تليفونيا عن إذنكم . . وخرج يحرى كأن
عقرباً لدغته وصاحبا يتبعاه كلاهما يشترش بكلام ينهم عما بنفسه بينما
عصام خرج من الجلسة دون أن يحقق أمله وصديقه يحمد الله لأن موقفه
يمكن تلافي نتيجه بالهرب وجلال ساخط على الصداقة التى جمعت
بينه وبين عاصم ودفعته إلى هذا الموقف السيئ الذى يتنافى مع

شرفه وكرامته ومثله العليا وصمم أن يقطع صلته به وأن يوافق على
السفر في بعثة رسمية لتغطيتها إذاعيا بعد أن اعتذر ويحمد الله على أن
اعتذاره لم يقبل بعد وفي هذا الوقت اجتمعت أسرة عم عاصم وأبدت
الأم ارتياحها لخطبة المذيع كما امتدحه الوالد واعتزم أن يتحرى عن
الحامى الذى تقدم لابنته الكبرى - هناء - التى لزمت الصمت مع
وضوح الفرح والاعتباط على وجهها فى حين تساللت - هبة - فى
هدوء الى غرفتها واضطجعت فى مضجعها تفكر فى مصيرها التى
لا تشهده ولا تبتغيه ومع أن أمها تقف بجانبها وترفض يد عصام
لكيلا تزداد رابطة أسرة زوجها بأسرتها ولكنها تخشى موافقة
والدها وإرغامها على الزواج منه لأنه يميل إليه ويقتنع به .. وطاف
بخيالها المذيع وتصورته زوج أختها وانهمرت دموعها وهى تتصور
أختها بين ذراعيه .. وأنها فقدته الأبد وترامى إلى مسامعها قول أمها
لأبيها .. أعمل حسابك يكون حفل خطبة - هناء - على أحسن
ما يكون لأن الإذاعة كلها ستحضر طبعاً فقاطعها الوالد ساخراً ناقص
تقولى لازم يذاع الحفل .. ولم يسكد جلال يعود إلى مكتبه حق
يتصل به عصام ليسأله متى يذهب لكي تلبس العروس الدبلة فيصرخ
جلال فى وجهه .. أنت مجنون يا عصام .. لقد أفهمتك من قبل
استحالة زواجى الآن ولا يمكننى تمثيل دور الكذاب والمنافق ..
وها أنت خرجت من المولد بلا حص ويبدو أن البنات متعلقة بغيرك
فطوال الجلاسة لم يتجه نظرها إليك وأظنك لاحظت ذلك .. والآن
حاول أن تتصرف وحدك واعفينى من مشاركتك وهنا رن الهاتف
واستمع إليكم .. فلم يسمع غير الأنفاس فوضع السماعة ..

ولما عاد إلى منزله على أمل أن يستريح صعب عليه الاستجمام
واستلم لخواطره وأطل طيف — هبه — من وراء أفق ما مر به
وراح يستعيد كلامها ويستوعب صدى صوتها فإذا له في أعماقه أثر
تسرب كما تسرب الأنسام الرقيقة إلى الروح النائم فيصحو وظل كمن
انتايته نوبة أرق يتنقل بخياله بين هبه التي جذبت حسه بمغناطيسية
لم يستشعر بها من قبل فيما عاشر من الفتيات وبين خيال الفتاة التي اتصل
به تليفونيا كأنها تعمد أن تجرب تأثير الروح على الروح دون لقاء
الاجسام أو اللقاء بالكلام ويشده الخيال إلى عالم مجهول يستحوذ على
مشاعره حتى يضيّب في متاهاته ولا يفيق منه إلا على صوت الخادم وهو
يوقظه قائلاً . . الإذاعة على التليفون ياسيدى ؟

ويقوم مذعورا ويشتد فزعه عندما يرى الساعة وقد مضى عـلى
ميعاد ذهابه إلى عمله أكثر من ساعة . . ويرتدى ملامحه في سرعة
وهو يلعن صاحبه الذي أوقعه في هذا المأزق .

ولم يكد يواجه الزملاء حتى تساءلوا عن سر تأخره وفي مقدمتهم
صلاح الذي خلا به ليمزج معه كمادته معللا سبب تأخره . البحث
حول جاذبية الروح ؟

ولما حان ميعاد المسكلمة التليفونية . انتظر في لهفة صوت التليفون
يجيبه دون كلام وطال انتظاره ولم يردق الهاتف . . ووجد — هبه —
تطل عليه من ورائه والصوت المجهول — ألو — يرن في أذنيه كأنه
صادر منها فمخف يتلصص عذوبته كأنه حلاوة مشتهاة على ضوء خياله
الذي ارتبط بها دون عمد . . ولما حان موعد إذاعة برنامجه تذكر

تعليق — هبة — عليه وبدافع خفي غير العنوان دون أن يخشى مغبة
تصرفه من غير موافقة رئيسه . . وأدار الندوة وكأن هبة هي التي
تتسكلم وتعلق كما حدث أثناء حديثها معه في منزلها وبعد انتهاء عمله
ينسى كل ما اتصل بعمل اليوم عدا أنه لم يسمع رنين الهاتف الصوت
المجهول ويعود إلى منزله ليخلو إلى نفسه كي يكتب الحلقة القادمة
ويشجعه الغروب على أن يمشي في طريقه إلى منزله مترجلا . . فقد بدت
الشمس وهي تودع الأرض في هدوء عائدة إلى حيث أراد الله بعيدة
عن آثام البشرية التي كست الأرض بدماء الشهداء وارتفع فوقها
صراخ الأبرياء وعويل جرحى الشيوخ والأطفال والنساء . . ومن
يدري عليها تستغفر الله للطغاة والآثمين ومعتنقى الفسق والدهاء . .
راجية الله وهي على مقربة من عرشه أن يمنح الأرض التي سار على
دربها الأنبياء والخلفاء . . الرحمة بالمظلومين وينصرهم على المعتدين .

ونجأة لفت نظره فتاة تسير على استحياء أنيقة في احتشام يتبعها
شاب متسكع يضايقها في وقاحة ونذالة والفتاة ترده في خنفر وكبرياء
فلا يرتدع ويزداد تطفلا ورعونة كأن خنفرها يحفره على المزيد . .
ولما ضاقت به عندما التصق كتفه بكتفها رفعت يدها وصفعته على
وجهه صارخة بصوت خفيت — وقح — وترامى صوتها إلى مسمع
المذيع فدفعته شهامة الرجولة إلى انقاذها من الشاب الوضع . .
ولم يكذب يتبينها حتى عرفها — إنها هبة — حبيبة صاحبه . . ونظرت
إليه الفتاة شاكرة بصوت خافت رقيق وسار بجانبها لكيلا يعود
الشاب إلى مضايقتها . . وتبادر إلى ذهنه أن الفرصة سانحة ليحدثها

عن صاحبه ويزكيه لتقبله زوجا مادام يحبها . . وقال . . آنسة .
هيه . . هل يتسع وقتك بمض دقائق لتجلس في أى مكان يروق لك
حيث عندى ما أقوله . . فابتسمت ابتسامة الرضا وقالت : لا مانع
قال : أى مكان تفضلين . . فنظرت إليه وكأنها تحاول أن تقرأ
ما يريد أن يقوله قبل أن يبيوح به ثم قالت : ولماذا لا نذهب إلى
منزلنا المشترك معنا خطيبتك . قال إنى اتوسم فيك ذكاء خارقا وحكمة
ناضجة . . قالت أختى أنضج منى واستوقف ناكسى فلما ركبا قالت
إلى منزلنا . . فقال للسائق إلى حديقة الأندلس . . والتفت إليها
مستطردا . . لسبب ما قد تعرفين فيما بعد لا أريد أن أواجه أختك
وبعد أن اتخذنا مكانا هادئا فى الحديقة قالت : وما الذى يمنعك من
مواجهة أختى وهى تحبك وتنتظر مقدمك بفروغ صبر . . وكان سارحا
يفكر فيما يجب أن يقوله . . فرد صوتها ما غاب من حسه وقال . .
آه لقد وعدت وسوف أفى بوعدى فقالت : أريد أن أخبر أختى
بأنك ستحضر بعد أسبوع لإعلان الخطبة ؟ فنظر إليها نظرة تنم عن
عواطفه المكبوتة وقل . . لا يا آنسة لن أخطب حتى تقبلى أنت .

فقالت : لست أنهم ماذا تعنى ؟ فقال بلهجة جادة . . أن ابن
عمك رجل ممتاز . . يحبك الحب كله لن تجدى أفضل منه . . أنه
زوج ممتاز . . وأنا أعرفه جيدا صدقيني . . فانتفضت غاضبة قائلة . .
أمن أجل ذلك جئت بي إلى هنا ؟ . . ليس هو فى أحلامى . . إن
أتزوج مطلقاً . . سأزوج الفن . . بغه ذلك وانتصبت تاركة إياه دون
أن تلتفت إليه وتركته يتبعها وهو يقول . . لم أكمل حديثى يا آنسة .

فلم تأبه وأسرعت في طريقها . وعندما دخلت بيتها وجدت أختها
خطيبته جالسة بجانب المذراع تصفح التسجيل له . . فتحوّلت عنها
متجاملة ولكن أختها نبهتها قائلة . . لقد عمل جلال بتوجيهك —
يا هبة — تعالى اسمعي . . ووجدت نفسها مدفوعة للاصغاء وأختها
تقول . . لقد حول البرنامج كما أشرت . . ورغم أن هبة شعرت
بارتياح وسرور لتحقيق رغبتها شاعرة بأن صوت المذيع مس
نبضات قلبها في رقة وحنان ولكنها غالطت شعورها وقالت تداعب
أختها — من أجل العين يكرم الحاجب كما يقولون . . ودخلت غرفتها
لتخلو بنفسها وبعد لحظات تسالت إلى غرفة أختها عندما تأكدت من
نومها وأخذت جهاز التسجيل لكي تستعيد حيشته الذي سجلته
خطيبته وهي تصفح إليه . .

وبعد مرور الأسبوع اتصل جلال بعصام فلما سمع عصام صوته
في التليفون ناول السماعه إلى زميله قائلا : قل له إنه في أجازة مرضية
فلما ذهب اعيادته في منزله دهش عندما أخبره الخادم أنه في المصاحبة
ولما عاود السؤال عنه في المصاحبة تليفونيا ناول عصام السماعه
لزميله بعد أن يشير إليه بأنه مازال مريضا ويرتبك الزميل عندما يخبره
جلال بأنه سأل عنه في المنزل فقليل أنه في المصاحبة ومعنى ذلك أنه غير
مريض ويهمس الزميل لعصام بما سمع فيشير إليه بمعنى أنه جاء لتجديد
الاجازة وقد سافر إلى الإسكندرية للاستشفاء ولم يشأ أن يخبر أى
أحد خشية سطر الاصوص على منزله أثناء تغيبه . . ويصدق جلال
وينتظر أسبوعاً آخر وفجأه تتصل به أم العروس لتدعوه إلى تناول

الغذاء أو العشاء فيمتدز بدعوى ازدحام العمل بمناسبة الطوارئ
وأخيراً تتصل به العروس لتدعوه بناء على رغبة والدتها في تكرار
الاعتذار لكثرة العمل حتى أنه ينام في الإذاعة أحياناً وأثناء ذلك
اعتزم مصارحة أهل العروس مدعياً بأنها أكذوبة أبريل . إذ يحتمل أن
يتقدم إليها خطيب آخر وخشية أن ترتبط به دون جدوى .

وتمر الأيام بعضها آخذ برقاب بعض وعصام لا يظهر في الطريق
أو البيت أو المصلحة أو التليفون في المواعيد التي يمكن الاتصال به .
حتى ضاق به جلال ذرعاً واضطر أن يتفق مع محمد وكان أنس إليه
وراحا يتبادلان الحديث التليفوني للتشاور فيما يجب عمله للخروج
من هذا المأزق ويفاجأ عصام بهما وقبل أن يتكلم . . يقول له
جلال لقد أعطيتك فرصة أكثر من اللازم وعليك أن تتحمل
مسئولية تصرفك الجنوني . . بلهجة فائرة دون إحساس وتقدير
لخطورة الموقف يقول . . كلما ذهبت إلى عمى لا أجده ولا أجد
زوجته فما حيلاتي . . دع الأمور تجري في مجاريها ويفقد جلال
أعصابه فيقول بلهجة جافة صارمة . . إذن سأذهب أنا بمرافقة محمد
ونوضح للوالدين حقيقة تصرفك ويتركانه على أمل أن يلتقيا في المساء
ويذهبا سوياً . . ومع كثير من الألم وبعد التردد والتفكير والحيرة بين
الإقدام والاحجام يذهبا إلى الأسرة بدافع الرغبة الملحة في التخلص
النهائي من هذه الخطبة . . وتقابلهما الأم في اغتباط وتهليل عاتبه على جلال
طول غيابه مصارحة محمد بأن زوجها كان على وشك الاتصال به
تليفونيا مبشراً إياه بالموافقة على قبوله . . ثم تنادى على العروستين

لمقابلة الخطيبين وتلقف الأسرة حولهما عدا هبة التي اختفت في غرقتها
متلهية بقراءة قصة . . ولزم الجميع الصمت في انتظار كلام الخطيبين .
ومحمد ينظر إلى جلال بمعنى . . تكلم ويبادل جلال النظرة
بمعنى — تكلم أنت وتبالغ الأم في حفاوتها فتسارع بأعداد عشاء
فاخر لهما وينضم إليها العروستين وعندما يخلو المكان إلا منهما يقول
جلال لمحمد ما العمل . . أن الأمر يزداد تعقيدا . . فيجيبه فعلا
كيف نتخلص دون أن نمس شعور أي فرد ويقاطعه جلال يجب أن
ننتظر ريثما يحضر الوالد من الخارج نصارحه بمفرده لكي يتصرف
فهو رجل عاقل حكيم يمكنه إعفاءنا دون أن يشعر زوجته وبناته بأي
حرج . . في هذا الوقت يتصل عصام تليفونيا ليحرف بدهائه أن كان جلال
صارحهم بالأمر أم لا وقبل أن يسأل تقول له الخادم التي ردت على
التليفون . . لماذا لم تحضر لتتناول العشاء مع العريس . . منهم
في انتظار سيدي الكبير وطبعاً تشريفك أيضاً . . وهنا تسمعها هبة
فتسرع وتغلق السمكة آمرة إياها ألا تتكلم ويحار عصام لأنه لم يستطع
استدراج الخادم وما دام هناك عشاء فلا بد أنهما تراجعا وينذهبا
مسرعا فتستقبله زوجة عمه في برود وفتور دون ترحيب ويرى أن
كل عروس تجلس بجانب خطيبها فيعتقد أنهما عدلا عن إيضاح
ما جرى وقد خضعا للأمر الواقع وينتهز فرصة انصراف الأم
والعروستين لأعداد المائدة ويقرب من جلال ليتحدث إليه والكنة
يفاجئه بأنه منتظر مجيء الوالد ليكشف له خطته الدنيئة ويمط عصام
شفقيه ساخرا قائلاً . . أحم ربنا يا صديقي فهي عروس لا مثل إلها

وأحسن بكثير من زميلاتك . . وهنا تدخل الأم وتقول . . أنا
أفضل لا ضرورة للخطوبة . . لأن غلاء المعيشة لا تسمح للعريس في
هذه الأيام بأن يحتفل مرتين . . الخطبة ثم عقد القران يكفي حفل
القران ليكون ممتازا جديرا بالعروسين . . عقد قران ابنة أخى
تكلف الحفل ألف جنيه . . وطبعاً ابنتى ليست أقل منها . . سيكون
الحفل عرس الموسم أليس كذلك يا أستاذ جلال . . فيتبادل جلال
مع محمد نظرات السخرية والاستياء ثم ينظر إليها قائلاً : يظهر عريس
ابنة شقيقك من أغنياء الحرب أو من أثرياء العرب . . ويعلق محمد
وطبعاً دفع لها فتقاطعه ألفى جنيهه مع شبكة بألف جنيهه ويعلق عصام .
العريس غنى جداً مليونير من الكويت . . لا عيب فيه غير أنه بلغ
الثمانين من عمره والعروس لم تتجاوز العشرين فيقاطعه جلال يبعث
بشمن زهيد مع الأسف فلا تفهم الأم مرماه وتعلق . . أمداها عربية
آخر موديل وكتب باسمها عمارة اشتراها خصيصاً لها . . ويعلق محمد
صفقة رابحة على أية حال . . ويقاطعهم عصام . . زوجة عمى تقدر
قيمة شباب الرجل . . فجلال مثلاً فى نظرها أغلى قيمة من ثمن عذبة
ولن ترهقه لأنه موظف لا يملك غير مرتبه .

فتبتسم الأم قائلة . . الأستاذ جلال غالى . . غالى جداً ولا فرق
بيننا . . أنا مستعدة أعد جهاز ابنتى دون مقابل منه وأقدمها وجهازها
هدية منى إليه . . ريلتزم جلال الصمت لسروحه فى مخرج بيننا يقول
عصام . . أرأيت مثل هذا الحب من حماة يا صديقتى وينظر جلال
فى ساعته قائلاً لقد تأخر عمى فيجيبه عصام لقد نسيت أن أخبرك بأنه

سافر لكي يحضر أربعين ابنة خالته . . على كل حال يمكن ارجاء
 الحقد ريثما يحضر وهنا تنظر إليه الام شذرا ويبدو على محياها الغيظ
 وتقول : وهل عمك يعمل أى شئ دون استشارة الامر امرى وأنت
 تعلم ذلك يا عصام ويدرك عصام أن كلامه أغضبها فيحاول أن يغالط
 نفسه ليخفف من حدتها ويقول . . أنت الكل فى الكل طبعاً
 وخصوصاً أن عمى على سفر دائم وانت تقومين بكل المهام . . ومن
 تفضلك تشعر به بأنه رب الأسرة ولازم يتم الاتفاق أثناء وجوده
 لكيلا يرتبط بمواعيد وهو حريص دائماً على احترام مواعيده
 وبصوت هامس يقول لها لكي يعمل حسابيه . . ويزداد جلال
 ضيقاً به فيقول : المهم متى يحضر عمى . . فتقول ربما غداً أو بعد غد
 على الأكثر فيعلق محمد ليس من المعقول أن يسافر اليوم ويعود غداً
 فينتصب جلال واقفاً قائلاً إذن ننتظر ريثما يحضر وأرجو الاتصال بى
 تليفونيا عندما يحضر بسلامة الله وقبل أن ينصرف يقول عصام وليت
 عمى يقتصر على القيام بواجبه نحو أسرته بل سوف يقضى مدة أخرى
 ليحل مشاكل الأهل والمعارف وكل من يعرفه وهى مشاكل لا تنتهى
 يزاول مهنة القضاة رغم إحالته على المعاش وتقاطعه عروس جلال
 صحيح بابا لا ينسى أنه كان قاضياً ولا بد أن يحكم بين الناس بالعدل
 وتعلق عروس محمد على رأى - هبه - الحياة عنده بممارسة الإصلاح كأنه
 هوايته المفضلة ولعل ذلك سبب احتفاظه بحيويته وشبابه ويهتف
 جلال - معاه حق إذا حسن لذة يستشعر بها الإنسان تخفيف آلام
 الغير . . ويتنبه عصام إلى عدم وجود هبه فيسأل عنها فتجيب الام فى

نفار مشغولة في عمل تمثال المذيع وبلمحة الاستنكار يسأل عصام . .
ومن هذا المذيع التي تتفرغ لعمل تمثال له . . كأنه بطل فيقاطعه
محمد كل إنسان إذا أجاد عمله يعتبر بطالا يا صديقي فقد يكون هذا
المذيع أدى دوراً إذاعياً خلص الشعب من عدوان يقضى عليه إن لم
ينقذه . . فيعلق عصام . . هنيئاً لهذا المذيع الذي استحوذ على
تفكيرها وتفرغت له . . فليتني هذا المذيع فيقاطعه محمد يمكنك
أداء دور بطولي في عمالك ولا أحسبها إلا مخلدة لك بتمثال قد يحظى
بجائزة عالمية . فتشهد عصام ويقول بصوت هامس . . ليتني الخامة التي
تشكلها في صنع التمثال لتظل في يدها الرخصة وتلتفت إليه الأم قائلة
في اشمزاز . . ليست كل الخامات صالحة للفن . لأن الفن ينبع من
الحياة التي ينبثق منها العلم والحكمة والفلسفة والجمال وكل ما يتصل
بالحقيقة . . أما أنت فأنسان تشبه كأسا ليس فيها ما يغري على الرغبة
لارتشاف ما فيها . . ويغالب عصام غيظه قائلاً : وكيف تحكى
على شراب لم تتذوقيه .

الأم — مظهره يدل عليه فيقول :

عصام بصوت ينم عن الاستخفاف بها اعتقد أكثر المظاهر
خداعة . . ويصوب على جلال أن يراه موضع سخرية الأم فيقاطعهما . .
هذه ندوة ممتعة تستحق التسجيل ليت معي مسجلا الآن . . فتعلق الأم
أنا مستعدة لأعمل لك ندوات كما تريد في العلم والأدب والفلسفة والفن
وكل ما يروق لك وفي سخرية يقول عصام حضرتها بجمع لكل شيء
ويقاطعه العلم واحد فتقول الأم في كبرياء . . كل العلوم والآداب

والفنون عندي فكرة عنها فيقاطعها محمد . . إلا علم الغيب وفي اعتداد
تقول . . أعرف في الكف والفنجان والكتشينة قرأت الكثير
ويعترف كل من تنبأت له بصحة تنبؤاتي . . وبلاهة الساهر يقول
عصام . . أحيانا الصدف تكون كالخط تخدم محترفي قراء الطالع
وقد تكونين منهم . . وتنظر إليه الام شذرا ثم تقول . . عندما
تعرف ما يعرفه علماء الفلك تحدث عن قراءة الطالع ويلحظ جلال
أن الجفوة بين الزوجة وعصام تزداد فيقول وهو يبتسم . . إلى هنا
تنتهي الندوة فشكرا . . وتضحك الام قائلة . . يبدو أنك تخيلات أنك
في الإذاعة . . فلا مانع على شريطة أن تكمل الندوة غدا وفي اتران
يقول جلال لقد توقف الحوار عند علم الغيب . . ولكي نتحدث عنه
يجب أن نقرأ كثيرا ونبحث طويلا فليعش كل منا معه حتى نلتقي
بعد أن نحصل على أكبر قسط من المعرفة فيه على شريطة أن يضع
الباحث نصب عينيه ان الغيب لا يعرفه غير الله ولعل الغيب هو
الفاصل الوحيد بين العبد وربّه ولا يمكن لأى إنسان أن يرتفع إلى
العرش ليطلع صنيعة حياته التي كتب قبل أن يولده . . وبلاهة اليقين
تقول الام ولكن الله يضطفي أحيانا من عباده من يلهمه كشف الغيب
إلى حد . . وبصوت ينم عن التحدى يقول جلال إذن أنظري كفى .
أو افتحي الكتشينة وخبريني عن حقيقة أمر . . لا أقول لك ما زال
علمه عند ربّي . . ولكنه حدث . . حدث فعلا ويدرك عصام ما يعنيه
فيقول . . أنسيت ميعاد عمالك يا صديقي . . الحديث في هذا الشأن
يطول . . فتجذب الام يد جلال وتنظر فيها ثم تقول . . أنت

محظوظ . . محظوظ جداً ستمتزوج بفتاة تجلب لك السعد وستنجب
ثلاث بنين وبناتاً واحدة . . فيقاطعها جلال بلاهجة ساخرة مهذبة . .
هذا معروف . . أريد جديداً فتردف الأم . . كنت على وشك لإنهاء
أمر يهملك ثم تأخر رغم أراءك فيقاطعها عصام . . مضبوط كان
يريد قراءة فاتحة الخطبة وتأخر لتغيب عني . . وبلاهة المخيط يقول
جلال اسكت يا شيطان احضر للهانم زباين مثلنا . . ويمد عصام
يده إليها قائلاً . . نظره من فضلك ؟ فلا تنظر إليه وتقمى يده
قائلة . أنت تعرف رأيي وهو يماثل بختك وفي توسل يقول حرام
عليكي فتقول الأم دون أن تنظر إليه . . زواج الأقارب يضعف
النسل فيعاقب عصام في حماس . . وهذا هو المطلوب للعمل بقانون
تحديد النسل الجديد من غير تعب ويعقب جلال وهو يصاحفها سوف
أكلف الإذاعة بدعوة الدكتور مصطفى محمود يكشف خبايا المنجمين
وإثبات حقائق علم الغيب وسوف نستمع إليه سوياً حضرتك من هنا
وأنا من هناك ويخرج مسرعاً دون أن يحيي بيده غير الأم وتنظر الأم
لابنتها (خطيبته) قائلة : لنهون عليها . . يبدو أن ميعاد عمله فاتته .
أما محمد فيجلس معهم بعض الوقت يستمع إلى عروسه وهي تقول .
هل رأيت مسرحية فانت حمامه مع أحمد مظهر البارحة ما رأيك ؟ . .
فيجيبها عمداً أنها تحاول تحرير المرأة من كل القيود وضرورة اختيار
الزوج بالمواجهة الصريحة . . قد تكون فانت مثلت دور الفتاة
الناضجة المشقة الحرة وقد يكون ذلك من حقها . . لكن هل يجوز
لكل بنت أن تختار الزوج الذي يروقها ؟ ألا يحتمل أن يفرها المظهر

فتختار على هذا الأساس . . . والزواج يجب أن يكون نتيجة تفاهم
فكري وتبادل عاطفي دون الاعتماد على المظهر . . . أنا شخصياً إذا
تقدمت إلى فتاة تطلب خطبتي . . . لا يمكن أن أقبلها لأنها تفقد في
نظري أجمل حلية تتحلى بها الفتاة وهي الحياء . . . يمكنها أن تطرق
باب قلبي دون أن تشعرنني بأنها تماثلني في الجرأة إذ ليس أحب إلى
الرجل من شعوره بأن المرأة التي يختارها زوجة له تمتاز بالأنوثة
والرقة والحياء — هي أنثى بمعنى الكلمة حتى ولو عملت في الميدان
الخارجي عمل الرجال . . . فقد تكون رقة وعذوبة صوتها
واحترامها لنفسها أكبر باعث على تحريك طاقة الرجل الخاضع
لرئاستها . . . وقد لاحظت أن المرأة التي تسوس العاهلين تحت
رئاستها بأسلوب الرجل الحشن وقسوته تفقد احترامهم وتشل من
حركة انتاجهم .

وهذا تشعرك الأم بملل لطول الحوار دون نتيجة كانت تتمنى أن
تحققها فتقاطعه قائلة . . . لماذا لم تحضر والدتك معك أو تراها تريد
ألا تحضر إلا يوم الخطبة ؟ لقد نسيت أسأل جلال هل سيحضر
الشبكة من تلقاء نفسه أم يرافق عروسه لانتقامها ؟ ومق يعزم
تقديمها لكي أحبك الثوب المناسب لعروسه وعروستك . . . وهذا
ينظر محمد إلى ساعته ثم ينتصب واقفاً مع اخفاء الارتباك قائلاً . . .
أوه لا شك أن صديقي مل الانتظار أخشى أن يكون انصرف وأنا
مضطر إلى لقائه . . . ثم يصفح الأم وعروسه وعند خروجه تقول
الأم . . . أنت واضح يا محمد أما جلال فلم أستطع أن أفهمه حتى الآن

وابنتي طيبة وساذجة وليست كالبنات تجيد مسامرة الرجال وهو كما
يبدو عليه مكار بتعمد التقلع عليها لكي يشعل حبها .. لكن بناتي
كالرجال .. ويقاطعها .. لاضرورة لهذا الكلام خشية أن يسمعه
جلال .. وهو يميل إلى الانثى لا التي تلبس مسوح الرجل ..
وخصوصا أنه لم يرفع الكلفة .. بينكم بعد ويحييهم قائلا وهو
يخطو نحو الباب .. والله الواحد حائر ؟ فتوقفه الأم قائلة .. ولم
الحيرة ؟ يا حبيبي .. أبوها راضى وانت راضى وهى راضيه .. لم
يبق غير التنفيذ .. وأنا وانقة من حسن ذوقك في اختيار الشبكة
فيحييها .. ليس المهم الشبكة المهم مشيئة الله .. وهنا يرفع عصام
وجهه من الجريدة التي كان يتلها بقراءتها لكيلا يشترك في الحديث
ويقول .. فعلا المهم مشيئة الله .. وعلى أثر انصراف محمد يقول لها
عصام .. يبدو أن محمدا بدأ يتخوف منك .. فتقاطعه في حدة .. ليه
عفريت .. فيقول بلهجة الأسف لا أعنى .. ولكنك لا تتحدثي إلا
عن الشبكة وهذا يعطيه فكرة على أنائه مادية ولا يهتمك إلا المادة
وهذا ما يكرهه الزوج في حماته وأخشى أن ينقل الحديث إلى جلال
فيذهبا بلا رجعة فتقول الأم في كبرياء وماذا يهم .. غيرها أحسن
منهما .. فيقف عصام لينصرف قائلا : المهم أنا عملت الواجب وأنت
حره .. وعلى أثر خروجه تكلف الأم عروس جلال مخاطبته في
النايفون لتسأل عن صحته ومزاجه ولعله لم يجد متاعب بسبب تأخير
محاولة أن تشعره بحبها لأنه في وسط لا شك أن المذيعات الآليات
يتهاقن عليه فهو شاب لا مثيل له وتؤكد لها قائلة وإن شاء الله بعد

زواجكما سأعرف كيف أجعله يكون كالحاتم في أصبعك فتقاطعها
 ابنتها .. إنه جامد جداً لا يكلمنى مطلقاً حتى أثناء وجودنا وحدنا
 أخشى أن يكون تعلق بمذبة معه وقد تزوجت غيره عن حب ويدهوان
 يتزوجنى ليغيظها .. كما قرأت في إحدى الأقاصيص فتصدها الأم في
 عنف .. وهل من المعقول أن يحب فتاة لا تحبه .. كل شيء فيه يجب
 شكله .. كلامه .. صوته رجولية .. ثقافته .. مركزه .. لقد كنت
 أتمنى أن أتزوج بمذيع قبل زواجى من أليك وقد تقدم لى مهندس .
 دكتور . أستاذ جامعى فرفضت ولما تقدم والدك على أثر إعلان
 نجاحى وافق والدى لأنه ابن صديقه فتزوجته .. النهاية الزواج قسمه
 ونصيب وهنا تدخل — هبة — وكانت سمعت كلامها الأخير فتقول :
 والدى رجل ممتاز ان أتزوج إلا برجل مثله .. من عمله إلى بيته
 لا يرتاد المقهى ولا يدخن ولا يحمسى الخمر هو ابته الوحيدة القراءة ..
 حتى بعد إحالته على المعاش يوزع وقته بين حل مشاكل الناس وبين
 القراءة .. فتتظر إليها الأم وهى تقول .. إنك تحبين والدك حباً
 يفوق حبنى .. وقد نسيت لولاي لما ارتقى من وكيل نيابة عندما
 تزوجنى إلى قاضى فتقول هبة بلهجة الاعتزاز بوالدها والذى رجل
 عظيم بواهبه وأخلاقه ولا فضل لك فى تكوينه فلو كان كالأخرين
 الذين يعملون دون ضمير ودون مراعاة مصالح الآخرين لما وقع عليه
 الاختيار فى إسناد وظيفة قاضى إليه أت تخالفينه فى كثير من الطباع ..
 صحيح أنت مثقفة ثقافة عالية ولكنك لم تستفيدي أو تفيدى أولادك
 من هذه الثقافة .. ورغم نظرة أمها الغاضبة تسترسل .. أو تذكرى

يوم كنا تلاميذ ونريد أن نستعين بك أثناء مذاكرتنا .. كنت تعترضين
بتوقعك مزاجك أحياناً وتؤثرين زيارة صديقه أو الذهاب إلى السينما
أو المسرح وتكلفين والدي بمساعدتنا أو تكليف مدرس خاص
بالتدريس لنا .. حتى طعامنا لا نذكر أنك أعددت له يوماً لنا .. إذا
خرجت الخادم تستدعي خادمة عمى .. لخدمتنا ريثما تحضر الخادم ..
كنت دائماً تفضلين نفسك على والدي وعليها .. وهنا يشتد غضب
الأم فتصرخ في وجهها .. انت إبنة عاقلة ججودة وتعلق أختها ما هذا
الهراء يا هبه .. كيف تجرأين على إمانة والدتك اتسيت قول الله تعالى
ورسوله فيما يخص الام فتتظر إليها — هبه — نظرة استخفاف
قائلة .. ماقلت أنا أنت تؤمنين به أو تنكري أنك بحت بذلك لعمتك
عندما رفضت والدتك عصام لأنها تكره أمه . وكان في مقدورها أن
توجهه بدل رفضه نهائياً .. وبلمحة جادة تردف لو كنت أحبه
لتزوجته بموافقة أبي وحسي .. وتشور الام .. إلى هذا الحد بلغ
عقوقك لأنني بريئة منك عليك لعنة الله .. فتخفف ابنتها الأخرى
حدة غضبها قائلة .. ساجيها ولا تنسى أن النوبة التي تعاودها أحياناً
تخرج بها عن الصواب ولا تدري ماذا تقول صدقيني أنها تحبك ..
وكثيراً ما سمعتها تتمدحك وتهون غضب والدي إذا حدث بينكما أي
نزاع .. إنها تقف بجانبك وتدافع عنك وتبرراتهم والدي لتبرئتك
ولا تتركه حتى تصفو نفسه ويبدأ ويسترضيك .. وتتركها هبه بعد
أن تقول .. الاعتراف بالحق فضيلة وقد عودني ذلك والدي .. فتعلق
الام .. لقد أفسد الفن أخلاقك أنظنين أنني راضية عن هذه التماثيل

التي تقضى الوقت كله في عملها بجانب الإسراف المالى لشراء خاماتها..
فتدرب هبة فائلة في حدة .. أنا لا أكلف والدى أكثر مما يمنحه لإحدى
شقيقتى بل لعلى أقل منهما في طلباتى لأننى لا أرتاد السينا أو أذهب
إلى الكواغير كل أسبوع أو أتابع الموضة في تغيير الملابس وأدوات
الزينة بإسراف دون مراعاة الاعتدال الذى يتحتم فى هذه الظروف
العصيبة .. انهما يفضلان الملابس المستوردة وكل ما هو مستورد ..
وأنا أفضل الملابس المصرية لكيلا أخجل عندما تسألنى سائحة فى إحدى
المعارض عن جمال ثوبى فأباهى بأنه من خامات بلدى من صنع أيدي
أبناء وطنى .. وكثيراً ما طلبت منى السائحة أن أرشدها إلى المتجر
الذى اشتريت منه الثوب أو القماش الذى أعجبها .. لقد ورثا عنك
حب كل ما هو صادر من الخارج وورثت أنا عن أبى كل ما هو
نتاج من بلدى .. بجانب تفهمى وتقديرى لإنتاج بلدى على ضوء الفن
الذى استعين به على تجسيد كل ما يشير إلى روائع وطنى .. وتذلل
وهى تردف .. غداً ترين نتيجة فى .. بينما تقول الام .. سيضيع
عمرى فى هذا السخف الذى لا طائل تحته .

وفى هذا الوقت بعد أن يخلو جلال بنفسه يلوح طيف - هبة -
واضحاً أمام ناظره كأنها ماثلة بين يديه حاضرة لديه .. ويسأل
نفسه مادام خيالها يطارده هكذا فلماذا لم تحضر اجتماعهم ولا يجد
ما يبرر عزوفها أو انطوائها ويحاول أن ينهمك فى عمله ليتناساها
ولكنه يشمر أنه مشدود إليها بخيط نورانى فيه مغطسة تجذبه إليها
أو تجذبها إليه وقد ينس نفسه ولا ينساها ويظل عالقا بخيالها سارحاً

في دنياها حتى يذهب صلاح ليسأله .. أما زلت تجهل صاحبة الصوت؟
فيجيب في مرارة .. لقد انقطع الصوت كأنه عليهم بما جرى؟
فيدهش صلاح ويسأل .. وما علاقة صاحبة الصوت بما جرى ..
فيقول جلال .. يبدو إن لها صلة وثيقة بالأسرة التي اشيع أنني
خطبت ابنتها إذ لاشك أن أم الخطيبة المزعومة .. راحت تروج
هذه الإشاعة لتوقف تيار المعجبات بي .. وهذا ما يشغل ذهني ويعكر
صفو حياتي فيهمون عليه صلاح قائلاً لا تشغل بالك إن الأيام كفيلة
برفع الستار عما تجهل ..

ولم يدر جلال كيف مرت عليه الأيام بطيئة ثقيله تثير الهواجس
آنا والأحلام الجميلة الوردية أحياناً .. حتى اتصلت به أم العروس
لتخبره بمقدم الوالد واستعداده لاستقباله في التو إذا شاء .. وكان
جلال مرتبطاً طول الأسبوع بمواعيد متتالية لمناسبة عيد النصر وامتد
الأسبوع إلى أسبوعين وهو يعتذر كلما اتصلت به أم العروس آنا
والعروس أحياناً حتى حان وقت فراغه فاتفق مع محمد ليرافقه في اليوم
الذي اعتزم فيه متابلة الوالد لمصارحته .. وأفضى محمد إليه بسريرة
نفسه معترفاً بأنه تعلق بالفتاة ولا مانع عنده من الزواج منها وبلهجة
الأسف يردف لكن أمي رفضت هذا الزواج بسبب غرور أم العروس
وعدم معاملتها من هم دوتها مالياً أو اجتماعياً باللطف والرحمة
الإنسانية .. كأنها خلقت من الملبين وهم من الطين وقانا الله شر
الغرور ولا يستطيع مطلقاً أن أغضب أمي بعد أن تسكبت في سبيل
تقريبتي كل مشقة وعناء بعد وفاة أبي رحمه الله .. ولكن الآن

ما عسانا نفعل لننتخلص من هذا الموقف الحرج .. تصور العكس
هذا الموقف على العروستين .. فى الواقع أنهما جديرتان بنا .. ولكن
ما حيلتى أنا وليس فى مقدورى أن أرفق بين أى وأم العروس
المتغطرة التى تشم الناس بأنفاسها لا بمشاعرها مع الأسف .. وكذلك
أنت يبدو أنك مرتبطة بزميلة يعز عليك التخلي عنها .

ويتنبه جلال من تفكيره قائلاً .. أبداً لم ارتبط بأى زميلة أنهن
جميعاً كالأخوات يجمع بيننا الحب الأخوى والسكى لم استعد بعد
للزواج وقد يكون ذلك سبب إعراضى عن أى زميلة تحاول أن تفهم
معى فكراً وعاطفياً لخلق علاقة تدفعنى إلى رغبتي فيها شريكة لحياتى
المقبلة .. ولا أخفى عليك أننى جد متألم لمن قدموها إلى كخطيبة
فتصور أملها النابض المشرق فى قلبها يلتقى بضباب خيبة الأمل ..
رغم أننى .. أى قدر يلعب بها وبى .. أنه يشعرها بعدوبه أمل
يمانها عناق الحب العاطف الجنون ثم يطمسها بيد القدر القاسى
الضنين .. كم أشفق عليها .. ولكن ما عسائى أن أفعل .. لابد من
وضع حد ليعيش كل منا فى عالمه بعيداً عن أوهام لا تجرح القلب وأى
جرح هذا الذى أصابه القدر فى غفلة الروح المحلق فى فضاء الحب
المجهول .

وفى الميعاد المحدد .. ذهبنا إلى بيت العروسين بعد أن تشاورا فى
طريقهما واستقر رأى كل منهما على الطريقة التى يتخلص بها دون أن
يجرح كرامة الوالدين والعروستين ولقيهما الوالد لقاء الحب والتكريم

وقبل أن يتكلما قال . . عرفت أنكما في انتظار رأيي لتحديد يوم
الخطبة رسميا أو القران إن شئتما العجيل ولقد كان يستعذني أن يتم هذا
اليوم أو غداً أو بعد غد على الأكثر كما كانت تريد زوجتي إلا أنها
أصيبت اليوم بنوبة عصبية على أثر خلاف قام بينهما وبين ابنتي —
هبة — ويتنهد في مرارة مردفا . . مسكينة — هبة — مواهبها أكبر
من عمرها . فنانة فيلسوفة . . أمها تنظر إلى الحياة من نافذة وهي تنظر
من نافذة أخرى ولا يمكن أن تلتقي نظراتهما لبعده المسافة مع استحالة
الرؤيا لكل منهما ببصيرة الأخرى ويتأوه في تحسر . . أني أشفق على
ابنتي . . وهنا تدخل الأم تستند على ذراع ابنتها والإبنة تقول . .
الطبيب أمرها بعدم مغادرة الفراش وها هي تغادره مقاومة ألمها
الشديد ويبدى الوالد عظمه عليها قائلا . . يا حبيبتي ارحمي نفسك
وارحمينا معك . . لقد نهني الطبيب إلى خطورة المرض إذا لم تنفذ
أوامره تماما . . حاولي أن تطيعي الطبيب . . إن ذلك من أجل صحتك
وحياتك لا من أجلنا . . اتركي العناد حتى يتم شفاؤك فنقول بلمحة
ضعيفة . . سمعتك نقول إنك تشفق فعلى من تشفق ؟ . فبلع لهاثه وقال
أشفق عليك طبعاً . . فنظرت إليه نظرة غضب وتأنيب قائلة . . إني
أكره الشفقة . . الشفقة لون من الإحسان يستدرها الضعيف من القوى
والفقير من الغنى فيترفق بها للزوج وهو يعينها على الجلوس قائلا
ولكنها عندي منبع الحنان والعطف والحب وكم أكون سعيداً لو
أشفقت على وهنا تلتفت إلى الخطيبين قائلة . . اللهم . . كان يجب أن
أغادر الفراش من أجلكما وتسترد هدوءها بعض الشيء مردفة . .

أهلاً وسهلاً . . أظن نستطيع الآن تحديد يوم القران لأننى لا أميل
إلى الخطبة المألوفة فى هذه الأيام فهى تنتهى بالفشل فى أغلب الأحيان
وينظر محمد إلى جلال ليبيب به إلى الكلام ويضطر جلال أن يستجيب
لرغبته فيقول . . أعتقد من الواجب تأجيل ذلك ريثما تهاثلين للشفاء
ويتشجع محمد فيحقب وخصوصاً إن الحفل سيطلب منك مجهوداً كبيراً
ويتابع الوالد والطبيب أمرها بعدم مغادرة الفراش إلا بعد شهر على
الأقل وتتم الابنة كلامه بقولها كما منعها بعدم الكلام والحركة خشية
انفجار فتقاطعها الأم ساخطة . . إنه تهويل طبيب لا أكثر من نزلة
برد وقد استهننت بها فضاعفت أبى وبلمحة حانية يقول الزوج لابنته
خذيها إلى فراشها لتستريح ومنعاً من مضاعفة المرض وهى لها جو
الراحة والهدوء حسب أوامر الطبيب . . وتظل فى مكانها لا تتحرك
رغم محاولة ابنتها أن تأخذ بيدها وتقول فى إصرار إن اذهب لفراش
إلا بعد تحديد يوم الحفل . . ويقول الوالد . . بعد شفائك إن شاء
الله نحدد الميعاد بالضبط وهنا ينتصب جلال واقفاً . . فرجو لك
الصحة والشفاء العاجل إن شاء الله نحضر ونراك على أحسن حال
ويرتبك محمد ويبدو على وجهه سمات الحيرة ثم يقف مصافحاً
الوالد ثم الوالدة وقبل أن يغادرا المنزل يقول جلال مخاطباً الوالد
جئنا اليوم لنتحدث إليك بصراحة فالى فرصة أخرى ريثما تتعافى
السيدة حرمكم . . وينصرفان . . وتشور الأم على الوالد لقبول التأجيل
قائلة ، ، إنك لا تهتم بمستقبل بناتك ، ، تاركا الأمور كعادتك لله ، ،
هذا التوكل الذى أضاع عليك كثيراً من الفرص الذهبية وبصوت

هادى لسكيلا يزيد من حنقها يقول إذا كان الله سبحانه وتعالى يقول
 (إن الله يحب المتوكلين ، ، وقيل ما خاب من توكل فالتوكل ليس
 صفة مردولة بل محبوبة عند الله ورسوله ، ، ولست أعنى التوكل
 الركود والخمول إنما قال الرسول ﷺ أعقلها وتوكل أى تعمل ونجاهد
 معتمدين على الله لينير لنا طريق الصواب .. وأنا من هذا الطراز فلو
 شاء الله أن نحتفل اليوم بزواج البنيتين لنفذت مشيئته ولكنه أراد
 الحكمة لندريها أن يؤجل إلى حين .. وتبدى الزوجة عدم ارتياحها
 لهذا المنطق فتقول مقاومة جهد الإعياء ، ، هذه فلسفتك التى أورثتها
 لابنتك فأسأت إليها من حيث لا تدري ، ، أصبحت هى الأخرى لا
 تعمل بما أمليه عليها ، ، بل تعمل بتعاليمك ، ، تعاليم التوكل والتأجيل
 للغد ، ، لشد ما أكره هذا يجب أن تعمل ما تريد فى اللحظة التى تعيشها
 اليوم إذ اليوم لنا وغدا لا ندري لمن يكون ، ، ويتنهد الزوج فى مرارة
 معقبة هذا هو الخلاف القائم بيننا دائماً والذى شره حياتنا الزوجية
 كل منا يمشى فى وادى ، ، رغم أن التجارب أثبتت لك سوء تصرفاتك
 لبعذك عن الاعتماد على الله وهذا ما كنت أخشاه على أولادى إذ كنت
 أخشى أن تلتحقى ثقافتهم بتمردك وغرورك ورواسب التعليم الأجنبى
 فى نفسك الذى لا ينتمى إلى الله على اننى استطعت أن أفهم والحمد لله
 بين تفكيرك وتفكيرهن وقلبك وقلوبهن حاجزاً من الإيمان بما كنت
 أقرأه عليهن يومياً من آيات الله وآراء الفقهاء والعلماء والأدباء
 والشعراء ليفهمن الحياة على ضوء الإيمان الصرف ورغم تأثر البنيتين

الكبيرتين لاحتضانك إياهما فإن تعاليمك لم تتغلغل إلى قلوبهما ولم
تكتسح إيمانها لتأثر روحيهما بالإيمان الذي أورثتهما إياه وحمد الله
على ذلك .

وتحاول الزوجة أن تتسكلم ،، ولكنها تشعر باضطراب أنفاسها
واختلاج عضلاتها فتقول بصوت متقطع الأنفاس ،، انت واهم أن
ابنتي الحبيبتين وفق هواي وهذا حسبي وكأنتي لم أنجب سواهما ، أما
ابنتك الصغرى فهي بذت تفكيرك فلم تكن لك وحدك فيحنو عليها مقبلا
جبينها متلطفًا قائلاً ،، الم لم لا تفكري إلا في صحتك كما كنت دائما ،،
وثق بأن هبه تحبك حب البنت البارة لأمها وخلاف تفكيركما لم يؤثر
على هذا الحب ونحن جميعاً في خدمتك فاطمئني ثم يوقفهما برفق مردفاً
تعالى إلى فراشك لتستريحى والله يتولاك ويتولانا جميعاً برعايته

وعند ما يخلو جلال بـحمد في الطريق يقول له ،، ما عسانا نفعل
كلما ذهبنا لإيضاح الموقف نجد عقبة تحول دون ذلك ويبتسم محمد قائلاً
ألا يحتمل أن يكون لنا نصيب وعلى كل حال لا تشغل بالك ومشيتة
الله نافذه ،، ويودعه تاركاً إياه في حيرة وقلق ،، ورغم تأخر صحة
الأم فقد كانت تدفع ابنتيهما إلى مخاطبة الخطيبين من آن لأن ودعوتيهما
لتناول الغذاء أو العشاء فكان محمد يستجيب أحياناً وجلال يستأذن
دائماً لكثرة شواغله ورغم تفكيره الحائر بين حاضره والصوت المجهول
الذى يترقبه كل يوم في الميعاد المألوف فانه يحاول أن يتغلب على حيرته
بالبحث والقراءة فيما يتعلق بالارواح وعلاقتها بتصرفات الإنسان وقد
دفعه ذلك إلى توزيع تفكيره واضطراب مشاعره فلا هو مستقر على

الخطيبة المزعومة ولا قادر على معرفة مصدر الصوت المجهول وكلماتها
تغرى على التعلق بها فالخطيبة على شيء من الجمال والركة راضية عن
حياتها لا ترقى من دنياها أكثر من زوج يحبها كما نوهت بذلك في
حديث لها أثناء الحديث الذى جرى بين أفراد الأسرة وهو لا ينكر
أنه يميل إلى هذا النوع من النساء ولكنها حتى الآن لم تنفذ بعواطفها
إلى أعماقه وتستولى على مشاعره وتفكيره فى حين أن الصوت المجهول
مع أنه لم ير صاحبه قد سرت حرارته إلى الهاتف عندما رن فى مسامعه
وقد سرى بالتالى إلى أعماقه وكأن طيفا من النور العلوى استقر أمامه
وجذب وجدانه وهو حائر لا يدري أيهما يختار ، ، أ يختار الحقيقة
المجسمة فى العروس أم الطيف الذى رسمه نبرات ، ، ألو ، ، ، والذى يبدو
جسما فى — هبه — وظلت هذه الحيرة تلازمه وكلما حاول أن يقابل
عصام ليساعده على التخلص من موقفه يتهرب منه بمعاذير مختلفة ،

ولاحظت خطيبته المزعومة أن اختها — هبه — لا تفتح
المذياع إلا على صوت جلال فاذا انتهى من برنامجها أغلقته وشغلت
وقتها بنفسها وإذا لفتت نظرها خطيبته أو خطيبة محمد إلى أغنية جميلة
أو تمثيلية أعرضت فى الوقت الذى تترك فيه أحب عمل إليها لتصغى
إلى جلال والمعروف عنها أنها لا تترك النحت إذا بدأت فيه مهما كان
الداعى قويا وتؤثره على الطعام والنوم أحيانا .. ولما تكرر ذلك
دبت الغيرة فى نفس خطيبة جلال وصارحت اختها بما دار فى خلدها
واتفقا على أن يراقبان — هبه — وبعد مراقبتها ايقنا أنها تحب
جلال ومن أجل ذلك نحت تمثالا يشبهه تماما وإن كانت لم تذكر

اسمه ولذلك رفضت عصام . . وبدأ يتغامزان عليها كأنها ليست
أختها وراحا يهتمان بصحة والنتهما كي تتماثل للشفاء عاجلا وصعب
على صلاح أن يرى جلال يعيش كالسحور بعد أن كان مصدر الدعاية
والفكاهة لزملائه فأشفق عليه ونصحه بالإقلال من التدخين بعد أن
لاحظ أنه يشعل السيجار من السيجار وقد كان من قبل مقلا ولا يشربه
إلا بجاملا زائر أو صديق . . وراح يفكر في وسيلة لينخلصه من
تفكيره المظني وأخيراً اهتدى إلى طريقة فقال له . . لو كنت مكانك
لعرفت مصدر الصوت حالا ويسخر جلال . . ما عصاي أن أفعل ؟
هل أسجل أصوات المعجبات . . وقد أصبحت لا أريد على هاتف إلا
في ميعاد الصوت المجهول وقد انقطع مع الأسف فقال صلاح قلت لي
إن صوت البنات التي يحبها عصام فيه نبرة الصوت المجهول وشكلها هو
الطيف الذي يمر بخيالك كلما خلوت بنفسك ألم تفهم من سياق حديثها
ما يؤكد لك صحة تشابه الصوتين . . فيطرق جلال مفكراً لحظه
ثم يقول . . وهل سمعت في الهاتف منها غير كلمة — ألو . . أول
مرة طلبتني ثم بعد ذلك كانت ترفع السماعة . . دون كلام كأنها
تريد أن تسمعني أنا وهذا مبعث حيرتي . . وقد ازدادت حيرتي وأنا
أصغى إليها عندما تكلمت على مسمع مني عند زيارتي لهم إذ كانت
تكلم بصوت خفيض كأنها تخشى أن ترفع صوتها فتفضح سريرتها . .
فيقاطعه صلاح أو لم تطلب منزلها يوماً في التليفون ؟ قال أبدأ ودائماً
أنكر نفسي إذ أغير صوتي وأحياناً أنس تغييره وأضطر إلى الاعتذار
إذا دعيتي الخطيبة لتناول الطعام فيقول صلاح إذن أطلب النمرة لتسأل

عن صحة الوالدة فيرفض جلال بدعوى أنه لا يريد أن يوطد العلاقة بينه وبينهم .. فيؤكد له صلاح إذا كان يريد أن يعرف مصدر الصوت فليجرب وبعد أن يقنعه يطلب النمرة .. ثم يضع السماعة قائلا .. ليس هو الصوت الذي سمعته .. ويطلب منه صلاح أن يطلب النمرة في أوقات مختلفة وينفذ جلال : ذلك فلا يهتدى ويصارع صلاح بأنه لا فائدة فكل أصوات ألو التي سمعها تخالف الصوت المنشود ويأخذ صلاح على عاتقه اكتشاف الصوت بعد أن يعرف منه أسماء البنات الثلاث ويقول له .. قف بجانبى وعندما أناولك السماعة استمع .. ثم أعدها إلى إذا بدا لك أن الصوت غير ما تريد وطلب صلاح النمرة .. ألو .. مين حضرتك أنا منى .. وناول جلال السماعة فيعيد لها رأسه علامة النفي .. وفي يوم آخر يطلب النمرة ويعمال عن سفير وعندما تحضر يناول جلال السماعة وبعد أن يسمع الصوت يعيدها إليه ماطا شفثيه بمعنى ليس هو الصوت .. ويضطر صلاح أن يخاطبها ملقبا فيه باسم يخالف اسم والدها .. فتقول له إنها ليست هي فيعتذر .. وفي ميعاد آخر يطلب صلاح النمرة فيرد والدها فيضطر صلاح أن يخلق سببا معقولا للكلمة مع هبه إذ لم يبق من الأخوات سواها فيقول له .. أنا كارم محمد مثال أحد أعضاء جماعة الفنون الخريجي كلية الفنون الجميلة نحن نتأهب الآن لإقامة معرض لإنتاج الجماعة وقد علينا من زميلة لكريمة كم الأنسة — هبه — أن لديها أعمال رائعة فهل يمكن أن تشترك في المعرض معنا لعرض أعمالها ويرحب الوالد مشجعا الفكرة قائلا .. وفقكم الله يا ولدى .. هكذا يجب أن يكون العمل أثناء عطلة الصيف

بدل اللهو والتسكع . . وسوف تتفاهم معك — هبه — دقيقة من
 فضلك — ثم يناديها فتحضر وتخطب المتكلم بعد أن يعطيها والدها
 فكرة موجزة ويناول صلاح جلال السبابة ويكرر الكلام الذي
 ذكره صلاح لو والدها وبعد أن ينتهي من كلامه تقول . . كان يسرني
 جدا يا أستاذ أن اشترك ولكن مع الأسف إنني هاوية أكثر مني
 محترفة وحتى الآن لم أصنع غير تمثال واحد كمحاولة لتدركي على النحت
 وقد يصح عرضه ولكنني قمت بعمله لنفسى لا للعرض . . وأثناء
 مكالمتها يبدو على وجهه أثر البهجة والغبطة ويتعمد أن يطيل الحديث
 فيقول . . حاولي يا آنسة أن تشتركي على الأقل ليسكون موضع النقد
 والتفريط وذلك يدفعك إلى تزويد قدرتك الفنية وتقديرك دون مجاملة
 إذ يحتمل أن يجاملك من له صلة وثيقة بك بتأثير العاطفة . . أما النقد
 العام فلا مجاملة فيه . . وطبعاً هناك إلهام خاص لهذا التمثال الذي
 دفعك إلى عمله . . إذ كل تمثال يتحتم أن يصدر عن تأثير يستولى على
 مشاعر وتفكير الفنان . . فما مصدر هذا التمثال لكي أقول لك
 بصراحة . . يمكنك عرضه أم لا . . إذ من الجائز أن يكون أحد
 الزملاء بحكم توارده الخواطر عمل تمثالا وخلع عليه اسماً . . يماثل
 اسم تمثالك . . فقالت بلهجة التأكيد . . لا يمكن . . إذ لا يخطر على
 بال أى فنان أن يعمل تمثالا لمذيع . . فقاطعها أفهم من ذلك أنك
 أسميته — مذيع — فقالت بصوت منغم رقيق كأنها تستعذب نطق
 الاسم . . مذيع . . ربما . . وهنا ترمى إليها صوت أبيها يناديها
 فقالت . . عن أذنك . . اننى لم انتبه منه بعد إذ كل يوم أحاول

التجديد فيما لا يروقنى . . . وحيته ووضع السعاة فى هدوء وظل
ممسكا بالسعاة كأنها شدته أو كأن مغطسة المتكلمة جذبتة ولم يستطع
التخلص منها ولاحظ صلاح أن المسكاملة انتهت فأخذ منه السعاة
ووضعها وهو ينظر إليه منتظرا تقرير نتيجة المسكاملة وبعد أن يرتقى
جلال على مقعده كأنه جاء من رحلة شاقة قال . لقد وجدت . . .
فانتبه صلاح قائلا . . . مبروك يا أرشيدس . . . أيقنت ذلك من
ساعاتك التى غمرت ملاحك وأنت تتكلم . . . والآن انتهت مهمتى
وعليك البقية . . . ويتركه ليشغل نفسه بعمله . . . وينسى جلال نفسه
بعض الوقت سارحا فى دنيا — هبه — ويخاطب نفسه بغير صوت
. . . لقد صدق قلبى حينما أيقنت من نبرات صوتها وهى تتحدث فى
بيتها أنها صاحبة الصوت المجهول . . . وأطرق مفكرا وقد ازدادت
مشكلاته تعقيدا . . . أنها حبيبة عصام ومنتهى أمله . . . وأخت العروس
الذى فرضت عليه فياها من مشكلة . . . الأم تحب العروس أكثر من
حبيبها — طبه — وتريد أن تزوجها إليه ولا يهمها أن تزوجت هبه
أو لم تزوج . . . وعصام الذى صارحه أنه سيعمل المستحيل لى
يتزوجها وأختها التى تعلق به . . . ولاحظ صلاح أنه بات بعد هذه
المسكاملة رغم سروره الأكيد بالعرف عليها دائم التفكير يلوح عليه
أثر ما يعانى من ألم مكبوت لا يعرف مبعثه . . . وسأله عما جده له
حتى غير مجرى حياته فترك البحث فى عالم الروح إلى السروح المطلق
أو التفكير المضى .

واضطر أن يصارحه بالواقع وما جده عليه من هموم لا حصر لها

ولا علاج لاكتساحها . . ويستنجد به عساه يجد له حلا لهذه المشكلة
ويسأله صلاح وهل خطيبتك المزعومة قبيحة أو أقل مستوى مما
تريد ؟ فقال له . . لو لم يشدني الصورت المجهول من قبل ويستحذ
على مشاعري إلى حد كان يحول بيني وبين الاستمتاع برؤية أى فتاة
جميلة مستنيرة جذابة . . أنها فتاة ممتازة أيضاً شكلاً وثقافة . .
فيطلب منه صلاح أن يراها ليأخذ فكرة عنها فعساها توافق مزاج
قريب له كلفه بالبحث عن عروس . . وفي هذه الحالة يتقدم إليها
ويبدى استعدادة للزواج فوراً في الوقت الذى تنقيب فيه بدعوى أنك
منتدب في بلد بالخارج بعض سنين وما دامت أمها تريد أن تزوجها
حالا ولن تجد في العريس الجديد أى عيب بل لعله أوفر منك مالا
لأنه ورث عن أبيه ثروة طائلة غير عمله الحكومى . . قال جلال
ومشكلة عصام . . فقال صلاح . . بعد نجاح الخطة الأولى تفكر
في المشكلة الثانية . . فارتاح جلال لهذا الرأى واتفق معه على زيارة
الأسرة في هذا اليوم . . واستقبلتهما الأم بسرور بالغ وقد كادت
تتماثل للشفاء وخيل للأم أنه اصطحب زميله صلاح لخطبة هبة —
فأبدت ترحيباً وفيرا لصلاح كأنه نجم جديد طلع في أفق بيتها . .
وحاولت عروس جلال أن تجلس بجانبه مرحبه به حريصة ألا تدع
فرصة لهبة لكي تدنو منه أو تخاطبه . . ولكن الأم نحتها محاولة
أن تقرب بينه وبين هبة فعندما قدموا الشاى والحلوى أمرت هبة أن
تقدم لصلاح محاولة أن تثير عواطفه بقولها . . كثيراً ما لفتت نظرى
— هبة — إلى إذاعاتك لأنها مولعة بها إلى أقصى حد . .

ويجاملها صلاح بالشكر والتقدير لمشاعرها الطيبة وتشجيعها له دون
أن ينظر إلى جلال الذي بدا على وجهه أثر الارتباب في صحة إعجاب
الأم والانصاح عن تعلق هبه به رغم أنها لم تنظر إليه نظرة واحدة
منذ استقر بهما المقام . . . وتشير الأم سبب تأجيل خطبة منى إلى
جلال لمرضها وتحمد الله الذي من عليها بالشفاء فإذا شاء تحديد اليوم
من الآن يمكنها الاتصال بوالدها في العزبة لكي يستعد ويحضر لعمل
اللازم وينظر جلال إلى صلاح مستنجداً به . . . فيقول صلاح وكأنهما
جاءا من أجل ذلك . . . لقد كان في نية صديق عقد القران في هذا
الاسبوع لولا أن والده توفي وهو مضطر إلى مراعاة تقاليد الأسرة
ريثما ينتهى عام الحداد أو بعض شهور على الأقل إذا وافقت العروس
على أن يكون الزواج دون حفل الأفراح المعتاد فانزعجت الأم
وقالت . . . ولماذا لم تخبرنا يا جلال بوفاة والدك . . . لكي نقوم بواجب
العزاء على الأقل . . . وسوف اتصل تليفونيا اليوم بزوجي لكي
يحضر الأربعين فما ميعاده ؟ . . . فقال جلال شكراً . . . لا داعي كانكم
قتم بالعزاء . . . ولقد صمم أخى الكبير على عدم إقامة سرادقا
للأربعين مكتفياً بتوزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين كما فعل يوم
وفاته . . . كما أنه لم يعلن في الصحف خبر الوفاة لكيلا نكلف الناس
مشقة الحضور أو تكاليف البرق والبأس الآن في حاجة ماسة إلى مراعاة
الحالة الاقتصادية والمعنوية وتخفيف الآلام النفسية . . . وأظهرت الأم
عدم ارتياحها لذلك قائلة . . . ولكن تقاليد الأسرة والمجتمع يا جلال
تجتم علينا مراعاتها فقال . . . ان الله ورسوله لم يكلفنا بذلك ولو نص

الدين على ذلك لا قنأه . . . ولكن الصدقة والرحمة هما ذخيرة
 للمتوفى بعد الرحيل فليأخذ حظه منهما بقدر المستطاع . . . ونظرت
 الأم إلى صلاح لثرى وقع هذا الكلام على نفسه فتكف صلاح عدم
 الموافقة وقال . . . على كل حال لكل أسرة تقاليدها التي توافق
 وظروفها الخاصة فقد تكون حالة الأسرة المالية لا تسمح بإقامة
 سراق مع ما يتطلبه من مظاهر الالتزامات وقد تقتضى الأسرة
 ما يصعب عليها تسديده فيما بعد وقد تضطر إلى بيع ما هي في حاجة
 إليه لتربية الأولاد إن كان للمتوفى أولاد أو لتوفير أسباب المعيشة
 إن لم يكن له ذرية لكيلا تمتد أيديهم للاستجداء والمعونة . . . فقالت
 الأم بصوت حزين . . . وقانا الله شر العوز وأطال الله في عمركم . . .
 ثم غيرت مجرى الحديث قائلة . . . على كل حال يمكن تقديم الشبكه
 دون حفل أو دعوة أحد من الغرباء . . . فقال صلاح . . . إن شاء الله
 بعد أن يزول عنه أثر هذه الفجعة التي لم تزل تسيطر عليه ولولا
 رغبته في الاطمئنان على صحتك لما حضر اليوم . . . فقالت . . . شكراً
 وعلى كل حال نحن على استعداد لتنفيذ رغبته في أى وقت وهنا
 انتصب جلال مستأزناً لقرب ميعاد عمله وإن كان في الواقع لم يشأ
 أن يطيل المكوث ما دام لم يحظ بمحادثة — بهبه — وقد حالت
 أختها وأمها دون ذلك . . . بما دعاها إلى ترك المجلس والفرار إلى غرفتها
 لتخطو بنفسها . . . وفي طريق عودتهما إلى عملهما صارحه صلاح بأنه
 على استعداد لخطبة منى فهي الفتاة التي كان يتمناها منذ راح يفكر في
 الزواج ويقارن بين كل فتاة تمر به أو يمر بها وبين النموذج المائل في

ذهذه لعروس أحلامه . . . ولكن ما الوسيلة لتحقيق ذلك ؟ وراح
يستعرض مع جلال جميع الأفكار ليحل محل جلال دون إثارة
غضب الوالدين على جلال وأخيرا رأى جلال تنفيذ ترشيح المدير له
للسفر إلى الخارج للاشتراك في احتفال السودان بمناسبة إعادة ولاية
الرئيس نيمرى للمرة الثانية وعليه يعتذر إلى أم العروس بعدم الارتباط
رسميا بمنى بمناسبة سفره إلى السودان . . . وينتظر صلاح هذه الفرصة
وبعد سفره يتقدم لخطبتها .

وبعد مضي مدة على سفر جلال إلى السودان اتصل صلاح
بالأم لمقابلتها فرحبت به راجيا لقاء البك زوجها معها وفي الميعاد
المحدد ذهب فاستقبلته الأم مرحبة وانتهزت فرصة محادثته لزوجها
وكلفت هبه بتقديم الشراب له فأبت متكلفة التوكل . . . كما
رفضت منى بدعوى أنه لا يصح أن تقابل زميل خطيبها أثناء
غيابه خشية أن يعلم خطيبها فيسئ الظن بها . . . وتضطر أن تكلف
حنان فترفض خشية أن يحضر خطيبها محمد ويراها في هذا الموقف
وهو غيور كما وضع لها يوما في سياق حديث له . . . وعندما تعود
الأم إلى مجلسهما بعد أن تقدم الخادم الشراب . . . يفاجئها
الوالد بقوله . . . سوف يسافر جلال إلى أمريكا وقد تمتد مدة
إقامته هناك أكثر من أربع سنوات لدراسة الإذاعة على أعلى مستوى
.. وليس من المعقول أن نربط ابنتنا به دون رباط مؤكد ..
ولقد تقدم اليوم لخطبتها زميله صلاح وهو شاب ممتاز ومن أسرة
غنية وقد ورث عن والده ميراثا ذا دخل كبير وهو على استعداد

لعمد القران فوراً فـأرأيتك .. فانبطت أساريرها بعد تجهـم
وانقباض وقالت .. والله أنا من قبل لم أطمئن إلى جلال ..
إذ يبدو أنه شاب ماكر لعوب .

وقد كان يظن أن ابنتي يمكن أن تبادله هواه دون قيد .. لا ..
فيدافع صلاح عن جلال مؤكداً أنه شاب ممتاز على خلق مثالي وتربية
عالية وكفاءة لا نظير لها .. ولكي أبرئ نفسي من وصمة الخيانة وهو
زميلي وصديقي العزيز فقد كتبت إليه ورجوته أن يصرحني رأيه فيما
إذا تقدم خطيب صديق إلى خطيبته فهل يمانع في تزويجها مادامت
مدة إقامته ستطول وليس من المعقول أن يربط فتاة به دون رباط
رسمي يطمئنها على مستقبلها فكذب يقول أنه لا يمانع قط مع امتداح
العروس وأمها ووالدها وبارك هذا الزواج لو تم وقال إن الزواج
قسمه ونصيب ومن المؤكد أنها ليست من نصيبه ثم كتبت إليه
وصارحته بأنه مادام قد وافق على زواجها من دونه فأنا أفضل أن
أتزوجها فأبرق منيها ومباركاً .. وعليه أتقدم إليكما مطمئناً إلى أنني
لن أخسر صديقي لأنه أحب صديق لي .. كتب الله له السلامة في
مقره وأن يعود إلينا بسلامة الله ظافراً بتحقيق أمانيه وهذا قاطعه
والله .. فعلاً يا ولدي .. الزواج قسمه ونصيب .. وأنا لا أكذب
عليك إن قلبي لم يطمئن مطلقاً إلى زواج جلال من ابنتي .. لا لأنه
غير جدير بها .. بالعكس فهو شاب ممتاز كما قلت ولكن لاحظت
أثناء لقائي به أكثر من مرة عدم ميله لابنتي إلى حد يدفعه إلى الزواج
فوراً وقاطعته الائم .. أنا كنت واثقه من عدم رغبته في الزواج

بدليل أنه لم يطلبها في التليفون — مرة واحدة — وإذا طلبته هي
لكي يتناول معنا الطعام . . اعتذر ولـسـكنـي كنت أحاول أن أفسر
تصرفه بكثرة شواغله وتعوده على معاشرة الجنس اللطيف في الإذاعة
فأصبحت الآن في نظره مجرد شيء يمكن الاستغناء عنه فقطاعها
صلاح . . لا . . لا . . جلال يقدس المرأة ويعتبرها أقدس ما في
الحياة لكن القدر لا ينصف الموهوبين غالباً إلا إذا فرضوا أنفسهم
عليه . . وهو لا يحاول أن يفرض نفسه على القدر بل يؤمن بأن
القدر سيسعى إليه محققاً آماله بعد أمد قصير أو طويل ما دام يؤدي
واجبه على الوجه الأكمل لله ولأمته ولأسرته . . أما نحو نفسه فلا
مكان لنفسه في تفكيره ولو أنه عاش مع نفسه بعض لحظات
كل يوم . . لحقق كل ما يرجوه ولاحظ صلاح أن الأم رغم تصوير
جلال على حقيقته ناقمة عليه لاعتقادها أنه شاب لعوب مغرم بشد
العذاري إليه ثم يتركهن بعد أن يتعلقوا به ولم تكتم ذلك بل صارحت
به صلاح أثناء حديثها الذي جمع بين الإعجاب به والسخط عليه .

ودق الهاتف وأسرعت الخادم تجيب ثم قالت بأعلى صوت . .
الاستاذ جلال يتكلم من أمريكا وكانت — هبه — تقوم برسم
لوحة لبعض مشاهد أمريكا كما ظهرت على شاشة التليفزيون . . فلما
سمعت صوت الخادم هرعت إلى السهاعة وشدها منها قبل مجيء أبيها
أو أمها وقالت . . الحمد لله صحتها بخير . . زميلك صلاح هنا . .
سوف أبلغه .

أقوم برسم المشهد الذي ظهر مع إذاعتك البارحة . . شكرا . .

شكرا . . . وهرعت الأم غاضبة . . . ماذا يقول هذا الملعب . . .
 فقالت — هبه — هل هذا جزاء من يسأل عنك من أميركا ويهرول
 الوالد قائلا . . . دعيني أخاطبه لأخبره بأن مني خطبها صلاح وسوف
 يتزوجها حالا . . . ليدرك الخصارة الفادحة التي لحقت به . . . وعندما
 يصرع إليهم صلاح تختفي — هبه — فيقول صلاح خير إن شاء الله
 هل يمكن مخاطبته . . . فيقول الوالد . . . لم أسمع صوته يبدو أن
 المكالمة انتهت . . . وتعلق الأم في غيظ . . . عله يريد أن يعرف
 أخبار مني . . . وباهجة مائدة مطهنة يقول صلاح سأكتب له وأبلغه
 ميعاد عقد القران إن شاء الله . . . وأنا واثق أنه سيكون أسعد
 خلق الله لسعادتنا . . . وعندما عادوا إلى مجلسهم لاحظ صلاح أن
 الأم لم تنزل حاقة عليه وأن الأب رغم اتزانة وتظاهره بعدم المبالاة
 . . . فقد تشوه جلال في نظره ورأى من واجبه نحو صديقه أن
 يكتسح غمامة هذا الحقد وضباب التشويه ليظل جلال في نظرهما
 الشاب المثالي . . . فقال . . . أعتقد أننا يجب أن نحافظ عليه ولا تفقده
 وأنا واثق أنه بعد عودته إن شاء الله سيحضر لزيارتكم ولا تنسوا
 أن الآيسة هبه لم تنزل صغيرة ويمكنها الانتظار هذه السنين وأنا واثق
 أنه لن يتدخل عن مصاهرتم فيطلب يدها منكم واستراح الوالد لهذا
 الاقتراح واطمأنت الأم إلى حد . . .

وبذلك استطاع أن يمسح من ذهنهما خواطر السوء التي لا زمت
 جلال كلما مر اسمه أمامها وعلم جلال من صلاح بمقد قرانه فاتصل
 به وبأسرة العروس مهنئا راجيا للعروسين السعادة والهناء وحضر بعد

أن قضى في أمريكا شهرا واحدا بدعوى أن الإذاعة ألغت منحه
وعلى أثر عودته اصطحب صلاح لزيارة أسرة عروسه وتقديم هدايا
العرس لها وهدايا أخرى لجميع أفراد أسرتها ورحبت الأسرة به
ترحيبا كأول عهدها به . . وخص كل فرد بهدية تلائمه ولما جاء دور
هبه لم يرها بين أفراد الأسرة فسأل عنها . . أين الأنسة هبه . .
فقالت الأم . . أنها متوعدة في فراشها فقال صلاح . . قدم لها
الهدية بنفسك وكلف عروسه بأن تخبرها بأن جلال سيذهب إليها في
غرفتها . . وكانت هبه شعرت بمقدمه والضيعة التي استقبلته وتعمدت
أن تخلو بنفسها حتى دخل عليها بمرافقة والدها . . وقدم لها آلة تسجيل
وأدوات النحت والرسم والتصوير . . ونظرت إليه نظرات تفيض
بالحب وبلمحة معبرة عن صدق شكرها قالت . . هذا كثير . . كثير
جدا لقد دفعت ثمننا باهظاً لذلك كله . . فقال . . أنك تستحقين أكثر
من ذلك . . وعلق والدها . . لم يتناول جلال الشراب بمناسبة
عودته بالسلامة . . فقالت سأقدمه أنا وعادوا إلى مجلسهم ولم يكذ
جلال يسترد أنفاسه حتى قدم التهنئة قائلا . . بنفسى الآن أقدم
صادق تهنئتي وتمنياتي بالسعادة والتوفيق والذرية الصالحة للعروسين .

وقبله صلاح قائلا . . لن تتم سعادتي يا صديقي إلا بسعادتك فما
رأيتك في — هبه — فقال جلال وهو ينظر إليها . . المهم أن تقبل
هى . . وهنا تقدمت — هبه — بالشراب ففطر إليها الوالد نظرة
حب وقال . . ما رأيك يا هبه . . جلال يريد أن يتزوجك ؟ .
فأطرقت خجلا واخفت وجهها وراء كتف والدها لتخفى دموع

الفرح .. فقالت أمها .. المهم أننى لم أخسره فهو زوج ايتنى على كل حال .. فقام وقبل يدها قائلاً .. يمكننى الآن تحديد ميعاد عقد القران بعد أسبوع واحد .. وقال صلاح لقد اكتمل اعداد جهازنا فليكن زفافنا إذن فى هذا اليوم ..

وعقدا قران جلال فى يوم زفاف صلاح وانتهر محمد الفرصة وأعان خطبته إلى حنان عندما علم زواج جلال من هبه ولم يبق غير تأكيد خطبته بعد أن بين رغبته ورغبة أمه ووجد نفسه مشدودا إليها مؤثرا البقاء بجوارها فى مصر وألقى هجرته وعندما اختلى جلال بهبه لأول مرة .. قالت له .. أريد أن أفتح التسجيل بكلمة منك فقال لا مانع افتتاحيه .. فلما فتحتة .. سمعت صوتها وهو يقول .. ألوه فدهشت وقالت هذا صوتى .. فابتسم وقال .. كنت أعددت هذا التسجيل لإثبات حديث من وراء الهاتف وكان أول كلمة التقطها — ألو .. فاحتفظت بها ولم أشأ أن أضيف إليها شيئاً .

فقالت .. إذن تقبل هديتى لك ، . وقدمت له التمثال الذى صنعه وقد خلعت عليه اسم - مذيع - ثم جسده بعد رؤياه وقالت .. لقد صورته قبل أن أراك متخيلة لمحالك من نبراتك وتعبيراتك .

فقبل يدها وهو يقول .. هذه مرحلة من دراستى لعالم الأرواح .. كيف تتعارف دون تلاقى الأجسام وأرجو الله أن يوفقتنى لإتمام هذه الدراسة لاثبت للعالم قدرة الأرواح على تأدية رسالة تفوق قدرة العقل البشرى .



في الشتاء يسافر لفيف من طلبة
وطالبات الجامعة في رحلة لمعاينة
آثار العرابة المدفونة في البليينا بالصعيد
ويرى بين المودعين - خطيب -
إحدى الطالبات (رضوى) يودعها
وداعا حاراً وعلى أثر قيام القطار
يغازل شقيقة إحدى المسافرين ثم
يصحبها في سيارته بدعوى أن يوصلها
إلى منزلها متظاهراً بأنه افتن بها وأنه
خطب (رضوى) نزولاً على رغبة

والديه . . بينما تسكون رضوى جالسة في القطار بمعزل عن رفيقاتها
اللاتى يفسرن سروحها بالتفكير في خطيبها فيداعبنها رغم تأففها من
معاكستهن . . ولم يلبثن حتى يغلبن النوم فيستسلمن له عدا (رضوى)
التي تغالبه بالمطامعة في قصة عكفت على قراءتها ولما تذهبت إلى قرب
محطة البليينا نهبت صديقتها (نشري) كي تساعدوا لا يقاظ رفيقاتها .

وعندما يقف القطار على محطة البليينا يستقبلهم مرشدى الآثار
(التراجمة) لمرافقتهم وفق المنهج المرسوم وتختلف آراء الجماعة في
اختيار المواصلات التي تحملهم إلى الآثار بعضهم يفضل ركوب
السيارات اسرعتها وبعضهم يفضل الجمال للاستمتاع بجو الرحلة
وحياة الصحراء وكانت (رضوى) ممن فضلوا الجمال . . وحاول كل

جمال أن يسرع ليحظى بالراكبة . . عدا أحدهم لم يحاول المزاحمة وظل واقفا يتفرس وجوه الطالبات كأنه يبحث عن فتاة يعرفها وعندما همت (رضوى) بركوب جمل مع صديقتها (نهمى) أسرع طالبا فركبه وهنا تقدم هذا الجمال بجمله إذ لم يبق سواه ولكن نهمى تسر إلى رضوى بأنها غير مطمئنة إلى هذا الجمال لأنه تعتمد أن يتأخر ليكون في المؤخرة وطول الوقت لم يحول وجهه عن (رضوى) لذا تسرع وتطلب من الطالب الذى ركب الجمل أن يتخلى عنه لهما فيستجيب لوغبتها وقبل أن يركب الجمل البديل كان صاحبه أسرع به دون أن يترك له فرصة لركوبه كأن الجمل جمع عن عمد واضطر الطالب أن يسرع ليأخذ مكانا فى إحدى السيارات ولم يكدر ركب الجمال يسير حتى ظهر الجمال بجمله يسير بجانب الركب محاولا أن يتابع (رضوى) دون أن تهجر وبينما كانوا يشاهدون الآثار يترامى إليهم صوتا شجيا جذب مشاعر الجماعة وأثار انتباههم فراحوا يبحثون عن المطرب الذى اختفى خلف الآثار ليفنى :

أشرقى يا شمس فى العهد الجديد	فى سما الفن وفى الوادى السعيد
وابعثى الفرحة فى أرض الجودود	من قلب العرابة حتى بورسعيد
نحن بالنصر فى أعظم عيد	فابعثى يا شمس اشعاع الخلود
أشرقى	واملاى الدنيا ضياء
حلقى	بسرور وصفاء

ياشعاع المجد يا حادى الأمانى	نحن شعب المجد فى كل زمان
وحدة الأعراب فى كل مكان	ولها فى العيد هاتيك الأغانى
وحدة العرب إلى الدنيا تعود	مثلها كانت لدى عصر الجودود
أشرقى	باتحاد فى العرب
حلقى	يوم تحقيق الأرب

وعلى أثر انتهاء الأغنية يحاول أحد الطلبة أن يتقرب إلى «رضوى»
وعندما يلحظ ذلك الجمال (باسم) يحاول أن يبعد الطالب عنها بلفت
نظرها إلى روعة الآثار التي لم يستطع أى فنان معاصر مهما بلغ
نبوغه أن يبلغ مرتبة القدامى الفنية وتخلج (رضوى) من هذا
الموقف الحرج فتسحب في هدوء بعد أن تعلق في إيجاز بموافقتها
على رأى الجمال وتمشى وحدها في الصحراء حتى تبلغ أكواخ الأعراب
ولم تسكد تراها إحدى الأعرابيات حتى تنبه جارتها ويحلو لرضوى أن
تحدث إليهن وتلي دعوة إحداهن للشرب الشاى معهن وسرعان
ما نأفس إليهن ويأمنن إليها وبعد أن تبحث (نشوى) عنها وتهتدى
إليها تبدى رضوى رغبتها في أخذ بعض الصور بالزى العربى فتقدم
إحداهن إليها ملابس كاملة وسرعان ما تتجول بمرافقة (نشوى) في
الصحراء لتأخذ بعض الصور وتلاحظ (نشوى أن الجمال باسم) يتبعهما
ويراقبهما فتلفت نظر (رضوى) إلى ذلك مبديّة إعجابها باتزانها
ورصانته وأنه يخالف الآخرين من الجمالين كأنه اتخذ حرفة جمال

هراية ليحظى بمتعة مشاهدة جمال الساعات ولكن رضوى تسخن هذا
الزعم ولا تبدى أى اهتمام به مبدية ضرورة الاستمتاع بسحر الطبيعة
والفن مع أسفها الشديد لسوء حال الأعراب في هذه المنطقة ناقمة على
العهود الماضية التي سبقت الثورة دون أن تهتم بضرورة رعاية أبناء
الأقاليم المصرية النائية الذين اتخذوا الصحراء مقاما وارتضوا بالحرمان
بدل التذلل والخضوع لمشيشة الطخاة .. وتشاركها نشوى الأسف
معقبة بأن تأثير المادة على ساسة الماضى أعمى بصيرتهم عن روعة
وسحر الروحانية التي تتجسم في هذه البقاع وتردف (رضوى) كيف
مرت هذه الحقب على هذه البقعة الأثرية الجميلة وهي لم تزل بمعزل عن
الحضارة المعاصرة الجذيرة بها كمنطقة سياحية ممتازة جديدة باجتهاد
السائحين واستغلالها ماديا لتدر ربحا هائلا على الدولة .. وكانت تتكلم
بحماسة لفتت نظر المسارين بالقرب منها فالتفوا حولها ولم يلبثوا
حتى تحولوا عن غير عمد إلى ندوة كل يفضى بما في نفسه وما يشغل باله
وما يتمناه من خير وإصلاح لهذه المنطقة وبعد أن استمغت إليهم
(رضوى) طمأنتهم وأفهمتهم أن سياسة الثورة الرشيدة كفلت لكل
مواطن حقه في الحياة وإدارة الحكم المحلى ستقضى حتما على إبادة
أمراضهم الاجتماعية وإصلاح شئونهم العمرانية وهنا يتكلم (باسم) الذى
ظل واقفا صامتا وقال .. إن العدالة الاجتماعية التي يهتم بها الرئيس بقدر
المستطاع بدأت تزحف نحو الريف والصحراء ومهمة الشباب المتحفز
للطفرة أن يستغل وقت فراغه لمعاونة الإدارة المحلية لرفع مستوى أهل
هذه المناطق في كل النواحي التي تتعلق بالحياة العسكرية الحرة وعلى الدولة

أن تشجع الشباب بتقديم الجوائز المالية لمن يقوم بأكبر عمل يعود
 على الوطن بالمنفعة والربح ، وعجبت (رضوى) كيف يتحدث هذا
 الجمال بهذا الأسلوب الواعى كأنه بلغ من الثقافة والمعرفة والخبرة
 الاجتماعية قسما وفيرا وعندما توقف عن الحديث قالت .. مادت
 تؤمن برسالة الشباب فكن عوناً لهم بتخطيط منهج الإصلاح والتقدم
 والتعمير في هذه المنطقة ولم تنتظر رده وتحوات عن الجماعة بعد أن
 حيتهم جميعا لتتابع مسيرهما لالتقاط بقية الصور وكان لابد أن تتصور
 مع نشوى وقبل أن تفصح عن مرماها أدرك الجمال (باسم) الذى
 تابعهما رغبتهما من نظراتها الحائرة للبحث عما يلتقط لهما الصورة فتقدم
 إليهما ليعرض استعداداً لتصويرهما معا وفى طريقهم لاختيار المكان
 المناسب لالتقاط الصور مرت بكثير من الأعرايبات يقمن بأعمال
 يدويه أمام أكوأخهن فى وقت فراغن .. كصناعة الحلوى من الخرز
 والسلاسل والأطباق من سعف النخيل على اختلاف أنواعها وألوانها
 وتبدى (رضوى) إعجابها بمقدرتهن ونشاطهن وتمنى لو أن نساء
 المدينة الجماهلات اللاتي حال التعليم بينهن وبين العمل فى المصالح لإتمام
 منقوص مطالب الأسرة القيام بأعمال تناسب البيئة وهنا قاطعتها (نشوى)
 قائلة .. إن المرأة فى دمياط تستغل وقت فراغها فى الأشغال التى
 يصعب على العاملة فى المصالح القيام بها كأشغال الابر بمهارة فائقة وعن
 طريق وسيطات من النساء أيضا تباع فى المتاجر والراغبات والسبب
 أن نساء دمياط مازالن يحتفظن بطابع العروبة الأصيلة يؤثرن العمل
 والإنتاج داخل بيوتهن دون التخلي عن مسؤوليتهن ويعلق الجمال (باسم)

وإذا وجدت المرأة من يروج أعمالها فإنها تستشعر بلذة الربح المادى
الذى يكفل لها ولا سرتها حياة طيبة بجانب تفوقها فى هذا المضمار كما يحدث
هنا فان قادة الحكم المحلى يعملوا على تشجيع التعاملات فى هذه الصناعات
لبيعها فى الخارج عن طريق مكاتب التصدير والاستيراد .. ولهذا
السوق مجال واسع وقاطعته (نشوى) بأسلوب ينم عن إعجابها به ..
لأنك لم تنظم الانفتاح فقاطعتها .. يا آنسه .. إن الحاجة وليدة
الاختراع .. ولولا حاجة الشعب إلى الحرية والعدالة لما قامت الثورة ..
فقاطعته : من يسمعك يخيل إليه أنك من رجال الثورة متخفيا ..
وضحكك مردفه .. يجب أن نحذر خشية أن تكون من رجال فضحك
بدوره مقاطعا .. من رجال المخبرات .. أليس كذلك .. اعتقد أن
كل مواطن يجب أن ينتمى إلى المخبرات المتصلة بالسماء .. ليصون
الدين من شوائب الباطل والضلال .

وهنا تمر بهم جماعة من زملاء الرحلة فتلفت رضوى نظرها
إلى ضرورة مشاهدة إنتاج الصناعات الصحراوية فيهرع الجميع لانتقاء
ما يروق لهم شرائه وأثناء ذلك يختلج الجمال باسم رجل من الأعراب
كان يقف على مقربة منه ويسر إليه كلاما وقبل أن يقدم الجماعة ثمن
ما اشتروه يقدم الأعرابي الثمن معلنا أنه سعيد بتقديم هذه الهدايا المناسبة
تشریفهم هذه المنطقة وبعد معارضة الجماعة وفى مقدمتهم رضوى وإزاء
أصرار الأعرابي تعلن رضوى أنهم تبرعوا بثمر الهدايا إلى فقراء هذه
المنطقة وبعد أن تجمع المبلغ من الرفاق تقدمه للأعرابي الذى رفض
ولكن بإشارة خفية من الجمال (باسم) يقبله فى حين يقول (باسم)

سيكون هذا المبلغ نواة عمل مصنع لاستغلال سعف النخيل والتمر
في الصناعة والتجارة .. ويشكر الجماعة له أريجته كل بأسلوبه ويتابعون
المسير وأثناء مسير (رضوى ورفيقتها نشوى) يعترضهما طفل صغير
مهلل الثياب يطلب إحساناً ويراه الطالب الذي كان يقترب إلى (رضوى)
فيحاول أن يقصيه عنها في غير شفقة ولكن رضوى تجذبه في حنان
وتأوله قطعة فضية .. ويهم الطفل بتقبيل يدها ولكنها تسبقه بتقبيل
وجنتيه ويعود الطفل مسرعاً فيتبعه باسم ليحرف أين هقره .. وهناك
يعانق الطفل عجوز ضريرة جالسة على باب كوخ ويتأولها النقود
وهو يقول في فرح .. لقد استجاب الله دعائك يا جدتي وفي غير رفق
تسأله العجوز من أين أتى بالنقود محذرة إياه أن يكون اغتصبها أو
سرقها فيؤكد لها الصغير بأن سيدة مصرية أعطته إياها فتعلق العجوز
لولا على بأنك أمين من أبوين أمينين لما صدقتك فالجرع يا ولدي
أفضل من لقمة مسروقة ثم تطلب منه أن يشتري طعاماً لأخته الصغرى
وقبل أن يغادر الصغير جدته يشير إليه الجمال ليقرب منه بعد أن بلغ
مكانهما وفي عطف يقول له احتفظ بالنقود لتشتري بها ما تريد
وسأحضر لكم الطعام حالا ثم يقترب من الجدة وبعد أن يحيطها يقدم
إليها نفسه بأنه من أبناء الحى ويؤسفه أنه لم يعلم بحالهما غير الآن من
الصغير ولما كان الله تفضل عليه بسعة الرزق فهو ملزم بدفع ضريبة
هذا الرزق إلى المحتاجين ولا يحسب هناك من هو أحوج منهم ثم يستأذنها
ليغيب بعض لحظات وقبل أن تتكلم العجوز وهى مشدودة إذ لأول
مرة تسمع هذا الكلام من أحد أبناء الحى وهى تعلم أنهم جميعاً فى

ضيق ومسغبة . . . وسرعان ما يركب جملة ثم يعود في الوقت التي
تسأل العجوز الصغير بلمحة الدهشة . . . هل رأيت هذا الرجل يا ولدي؟
فيقول الصغير أظنه زوج السيدة الكريمة ويدعى أنه من أبناء الحي
ليشعرنا بالطمأنينة . . . ولقد رأيتُه واقفاً مع الجماعة المحتشدة هناك
حول النسوة اللاتي يشتغلن وهنا يعود الجمال ويقدم إليهما دقيقاً
وفاكهة ولحماً ويقولان ويسأل الصغير أليس لك أم لتطبخي لكما الطعام
فيجيب الصغير بأنها خرجت لتجمع الوقود للحماجين لقاء أجر زهيد
فيقول الجمال عندما تعود قل لها لا تحمل نفسها أي مشقة وسيأتي
إليكم كل يوم مطالب المعيشة وسوف أحقق بعمل يناسب سنك في
المصنع الذي اعتزم أهل الحي أن ينشئوه وعندما هم الانصراف
يقول له الصغير . . . أظن السيدة التي ناولتني النقود زوجتك لأنها
كريمة مثلك راجياً منه أن يصحبه إليها لأنه أحبها ويريد أن يراها قبل
أن تغادر الحي . . . ثم ينادي أخته ليلى من الداخل ليناولها ما أحضره
الجمال ويهمس الجمال لنفسه . . . هنا أيضاً فتيات مراعات جاهلات
لا عمل لهن . . . إذن يتحتم افتتاح مشغل لهن لاستغلال إنتاج
هذه المنطقة .

ويحمل الجمال الصغير معه على الجمل تلبية لرعبته متجهاً حيث ترك
الجماعة . . . ولكنه يلاحظ أنه لا أثر لهن وبعد أن يسأل أحد
المرشدين يعلم أنه أن السكك لا تستنفذ السفر لمشاهدة آثار الأنصر
ويسرع نحو محطة السكة الحديد فيراهم في انتظار القطار . . . وهنا
يلفت نظر الصغير إلى (رضوى) لكي يذهب إليها ويودعها وعندما

يواجه الصغير (رضوى) تظن أنه عاد يطلب إحسانا وعندما تمد
 يدها ببعض القروش يرفض أن يتناول مشيراً إلى الجمال قائلاً . .
 أنه أعطانا الكثير من الطعام والنقود إن زوجك رجل كريم لم نر
 مثله ولا أظن له مثيلاً في هذا الحي ويدعو لها ولزوجها وهو يعنى
 الجمال (باسم) ثم يهرع إلى الجمال ليسأله هل سيسافر مع زوجته . .
 فيقبله الجمال قائلاً . . لقد أوصى شقيقته أن يرسل إليهم قوت كل
 يوم ويقدم إليهم الملابس اللازمة والنقود وسوف يلاحقه بالمصنع كما
 يلاحق أخته بالمشغل ويتعهد بإدخالهما المدرسة التي سوف تفتح عما
 قريب ثم يطوقه حانياً ويأمره أن يعود إلى جدته بصحبة رجل كان
 يحرس الجبل خارج المحطة وقد أمره بأن يحمله الصغير إلى أهله ويعود
 ليلاحق بالجماعة أثناء ركوب القطار ولا يدرى أن رضوى أخذت
 مما سمعت من الصغير وتلاعبت بها الحيرة والدهشة وتلاحظ (نشوى)
 أن الجمال ركب القطار فتلفت نظر (رضوى) مبهدة دهشتها من
 تصرفاته وكانت سمعت حديث الصبي فتقول كيف يكون جمالاً
 فقيراً . . وكرماً إلى هذا الحد فتعلق (رضوى) قد يكون من سلالة
 الطائي . . يؤثر غيره على نفسه وبعد أن يستقر بالجماعة المقام في القطار
 يعلن عامل مكبر الصوت بأن القطار سوف يتأخر أربع ساعات لإصلاح
 الطريق على أثر حادث وقع وهنا تبدى (رضوى) رغبتهما للرفاق لتضحية
 هذا الوقت لرؤية مالم تره فيوافقها البعض ويؤثر البعض الاستجمام في
 القطار وتسير رضوى بمرافقة نشوى في طريق لم تسر فيه من قبل بينما
 يأخذ الجمال طريقه محاذياً لهم مستترا في النخيل المتناثر على طول الطريق

وبجانبه رفيقه الاعرابي الذي يلازمه دائما وبينما الجماعة سائرة يستوقفها
 امرأة مرتمة على الارض كأنها جثة هامدة وحولها صورة يحاولون
 تنبيهها ويبدو من مظهرهن انهن كن يملأن جرارهن من بر قريية
 منهن ولم يكـ (باسم) يرى المرأة حتى يهمس في أذن الاعرابي الذي
 يلازمه وبينما يقمن جميعا بمحاولات عدة لتنبيهها يعود الاعرابي
 ليسلم (باسم) شحنة صغيرة يفتحها ويحقن المرأة بحقنة تنبيهها في التو
 وعقد ما تستفيق المرأة يتخلى (باسم) عن مهمته ويخفي تاركا الجميع
 في دهشة من أمره والذماء الاعرابيات يتبادلن النظرات والهمسات
 مصغيات لإحداهن وهي تقول أظن هذا الرجل الذي نزل الصحراء
 منذ أسبوع وقد قيل أنه موفد من الحكومة لاستقبال السياح وقيل
 أيضا أنه ساحر وله صديق من الجان يتبعه كالظل وينفـذ أوامره
 ويقولون إنه يمدد بالمال أيضا وتبدى (نشـوـوى) دهشتها وتنبه
 (رضوى) لما يقال إذ كانت مشغولة بالمرأة التي أغشى عليها لتسأل عن
 سبب الإغماء بينما كان الجمال يصغى إلى استغاثة مقبلة من بعيد فيهرع
 نحو الصوت فاذا بجماعة من الاعراب يصرخ أحدهم قائلا . . من
 يدلني على كوخ الجمال (باسم) فيقترب منه ويسأله أنا أدلك ولماذا
 تريده ؟ فيقول له أن جملة سرق في الليل وأهل الحى يؤكدون أن
 الجمال باسم الذي نزل الحى قريبا له صلة بالجان وفي مقدوره أن يدلنا
 على السارق ومكان مأوى الجمل ويبتسم (باسم) ثم يقول أنه يعرف
 مكان الجمال ومن مصاحبتهم ألا يذهبوا معه لأن ذلك يثنيه عن القيام
 بخدمتهم لأن الجان لا تساعد إلا في الخفـاء وعليهم أن ينتظروا

وسوف يذهب إليه ويأتيهم بالخبر اليقين وهو يؤدي هذا العمل
 لوجه الله ويتأثر الأعراب به وينتظرونه ريثما يعود كما وعد . . ويختفي
 بعيداً عن أنظارهم في الوقت الذي تبلغ فيه جماعة الرحلة بمرافقة
 رضوى مكان هؤلان ويبلغ مسامعهم الحوار الذي دار بينهم بشأن
 الجمال فيتباطأ في المسير ليعرفوا نتيجة هذا الحدث العجيب . .
 وسرعان ما يعود الجمال باسم ليقدّم إلى الأعرابي صاحب الجمل
 المسروق كيساً مملوءاً بالنقود قائلاً له . . لقد عاقب الله السارق فمات
 والجمل في معركة قامت بينه وبين شركائه وهم من قطاع الطريق وفدوا
 من أطراف الصحراء الجذباء وقد عثر رجل شريف على محفظة في
 مكان الحادث حيث اختفى القملة خشية القبض عليهم وقد احتفظ
 الرجل بالمحفظة ريثما يظهر صاحبها وقد اتصل به الجمال باسم وأفهمه
 أن النقود الموجودة في المحفظة من حق صاحب الجمل المسروق . .
 ولم ينتظر ريثما يسمع دعاء المتكرب وتساؤلات الجماعة وضرورة
 معرفة الجمال باسم له شكره وأسرع مقتنيا أثر رضوى ورفاقها حيث
 ساروا في عجلة وذهول وقد بدأ الخوف يسيطر على بعضهم بمجرد
 رؤية الجمال وخصوصاً لشوى التي همست لرضوى قائلة . . أو لم أقل
 لك أن وراء هذا الجمال سرّاً . . لقد بدأت أخافه . . وابتسمت
 رضوى في استخفاف قائلة . . الله أعلم بالحقيقة كل شيء جائز في هذا
 العصر الذي يتكشف كل يوم عن غرائب أشبه بالمعجزات وهذا يذهبها
 أحد الرفاق إلى أن الوقت مضى ولم يبق غير نصف ساعة على قيام القطار
 فتعظّر أن تسرع خشية التأخير ويلاحظ الجمال تعب الجماعة من السرعة

ووعورة السير في رمال الصحراء فيهمس في أذن رفيقه الذي يضيف
لحظات ثم يحضر في سيارة يقدمها إلى الجماعة بدعوى إنه لم يبق على
قيام القطار غير دقائق فيضطروا لركوبها ويركب الجمال دون أن
يشعرهم خلاف السيارة وبعد أن يصلوا إلى المحطة ويترجلون . .
يختفي الرجل بالسيارة قبل أن يترك فرصة لهم لدفع الاجر .

تصل الجماعة إلى الافصر ويطوفون بالآثار ويتقدمهم مرشد في
زى التراجمة يشرح لهم تاريخ كل أثر أو هيكل أو معبد يشاهدونه
كأنه مدرس تاريخ عليهم بتاريخ الآثار . . ويلاحظ المرشد أن الطالب
الجرى يحاول أن يتقرب إلى (رضوى) فيخافله ويذكره بقدمه
من الخلف ويرميه بعيداً عنها ولا يسمع الجميع إلا أن يضحكوا ويمزأون
منه وعند ما يرفع الطالب رأسه ليقبيل من لذكزه فلا يجد أحداً لأن
المرشد فعل ذلك دون أن يشعر به أحد وهو مستمر في الشرح . .
وخيل لبعضهم أن ذلك من فعل سحر أحد القدماء وقال رفيقه وكان
على صلة وثيقة به وعليهم بنواياه قائلاً . . هذا مكان مقدس يبرأ من
المستهمرين ويظل نظر رضوى عالقاً بوجه المرشد كأنها تحاول أن
تفرسه ثم تهمس في أذن رضوى قائلة إن صوت هذا المرشد يشبه تماماً
صوت الجمال . . حتى قسمات وجهه رغم أن لهذا المرشد لحيية وشذبا
فتتمز رضوى رأسها قائلة . . ربنا يخلق من الشبيه أربعين وهل تظني أنه
في ساعات معدودات تنمو لحييته ويظهر شذبه كأنه لم تمتد يد الخلاق
إليهما منذ شهور ولكن (لرضوى) تعود إلى التفرس في وجه المرشد
دون أن تتأثر بنفي رضوى أو تنتظر موافقتها

وعند ما تتأهب الجماعة للعداء - وودة إلى الفندق للاستراحة يقترح
المرشد عليهم مشاهدة صيد الغزلان في الصحراء الجبلية فيقبل البعض
وفي مقدمتهم لشري التي تلح على رضوى حتى تؤثر عليها فتوافق
ترضية لها مشرطة أن تنتحى إذا رافقهم الطالب الجرى وقبل أن
يسير ركبهم وفي مقدمتهم المرشد الذي كلف زميلا له أن يسبقهم
لاختيار المسكن المناسب للصيد في هذا اليوم رافعا علما إشارة إلى
الموقع ليتمكنهم الاتجاه إليه مباشرة دون التجول في الصحراء .

في هذه اللحظة كان الطالب الجرى مشغول بذلك قدمه وربطها
برباط بعد أن دهن الكدمة كما نصحه بذلك المرشد الذي قدم إليه الرباط
والدهان . . وراح رفيقه يتعجله لكي يلحقا بركب الجماعة ونقل
إليه اشتراط (رضوى) بعدم مرافقته وهنا اغتاض واعتزم أن
يتحداها وقام ليلحق بالركب وهو يكابر ويحاول التغلب على الألم .
وبعد أن قطع مسافة في الصحراء وجد نفسه ورفيقه يسيران على غير
هدى . . وشعرا برهبة وفزع خشيته أن يضلا في ذلك التيه المجهول
ونصحه رفيقه أن يعودا من حيث أتيا ورغم معارضته خضع لمشيئة
رفيقه خشيته أن يختالهما حيوان من وحوش الصحراء . . وعندما هما
بالرجوع . . سمعا صدى أصوات عن بعد فوقفا لحظة ليتبين ما مصدر
الصوت وهنا مر أمامهما أحد الأعراب فسأله الطالب ألم ير جماعة من
الصياع جاءوا إلى الصحراء لمشاهدة صيد الغزلان . . فأدرك الأعرابي ما
نوه عنه فقال . . أنا في الطريق إليهم إذ أحمل رسالة إلى المرشد الذي
يرافقهم فيها معنى . . وكان الأعرابي يعرف الطريق فاجتازه بسهولة

وسرعة حتى وصلوا الجماعة فقدم للمرشد الرسالة وشعرت (رضوى) بانقباض وغيظ عند ما رأت الطالب وأدرك ذلك المرشد فتجاهل الأمر واستجاب لرغبة (رضوى) عند ما قالت . . يسكني ما رأيناه لقد أخذنا فكره هيا نعود لنستريح كي نتمكن من مواصلة الرحلة دون إعياء . . ولم يتنبه إلى فك لجام الكلب الذي كان يلزم المرشد والإشارة التي صدرت إليه . . وعلى أثرها انقض الكلب على الطالب الذي صرخ مستغيثاً ولم يجد من يغيثه لفرار الجماعة بهيда عنه خوفاً من الكلب . . غير المرشد الذي ضحك وصفر للكلب بنغمة التحذير من إيذائه فهرع الكلب إليه صاغراً دون إيذاء الطالب .

وعادت الجماعة إلى الفندق لكي تستعد لاستئناف السفر إلى أسوان لمشاهدة آثارها بجانب مشاهدة السد العالي بعد تحويل مياه النيل ومر الوقت أثناء السفر في القطار بين مزاح ودعابة وتعليق عن الروح الخفية التي تحاول إيذاء الطالب كلما اقترب من رضوى ويعلق بعضهم قد تكون روح رمسيس أو خوفو أو تحتمس أحببت (رضوى) وتغار عليها . . وخلت نشوى برضوى يتحدثان عن الجبال آنا والمرشد أحياناً . . وكلاهما تتخيله على صورة تخالف مظهره نشوى تعتقد أنه صديق للجن حقاً ، ورضوى تؤكد أنه من الجواة الماهرة . .

وبعد أن استقر بهم المقام في أسوان تفرقوا كل حسب رغبته لتضية الوقت كما يريد على أن يجتمعوا بعد ساعة لمشاهدة طاحونة

الهواء عن طريق زوارق النيل وأثناء عودتهم بعد مشاهدة الطاحونة
يحلو لرضوى أن تجلس فوق الصخور الجاثمة في النيل لتتأمل عظمة
الخالق التي تتجلى في هذه الطبيعة السافرة الساحرة وبعد أن تجلس
بمرافقة (نشوى) التي تلازمها تذهبها إلى وجود ملاح يشبه الجمال
والمرشد وإن كان يخالفهما في الزى والمظهر . . وتنفي رضوى ذلك
مؤكد لها أن الجمال سيطر على خيالها وفكرها فراحت تصوره كلما
لاح لها من يشبهه مؤكدا لها أن قسيمات وجوه أبناء الصعيد كلها
متشابهة لأنهم من سلالة العرب أو قدماء المصريين . .

ولكن (نشوى) تتحداها ويتراهنان ولكي تثبت صحة رأيها
تشير إلى الملاح الذي كان يقف بزورقه على مقربة منهما فيلبي دعوتهما
وتضطر (رضوى) أن تطالب منه أن يحملهما بزورقه إلى الصخور
المرتفعة في وسط النيل ولم يكده الزورق يقطع مسافة حق يدور مع
دوامة مائية مخيفة فيصرخان ولكن الملاح يطمئنهما بأنهما في حماية
رجل وقد تعود على مقاومتها مهما اشتدت واستطاع أن يسيطر على
الزورق ومقاومة الدوامة حق وصلا إلى الصخور وهنا استشعرا
بالطمأنينة ودلفت رضوى بسرعة إلى الصخور مبدية رغبتها في الجلوس
عليها لتتأمل روعة الأفق الذي يحتضن بأضوائه صفحة المياه وأبدت
(نشوى) رغبتها في تعلم التجديف دون أن تبرح الزورق وحيال
تصميمهما استجاب الملاح لرغبتها واتجه بها بحيث يرى (رضوى)
وهي جالسة كما أرادت متشاغلا عن نشوى يتأمله رضوى من بعيد
وهو يغنى .

ولما انتهى من غنائه سأله نضوى . . هل له أشقاء يشبهونه أحدهم
يعمل في العراة جمالا وآخر في الأقصر مرشدا فيؤكد ذلك إلا أنه
اختار أن يكون ملاحاً وقد ورث هذه الحرفة عن أبيه الذي ورثها
عن جده وهنا لمح الطالب الجريء متجولا بزورقه في النهر ولم يلبث
حق رأى نضوى فأسرع إليها مبدياً اغتباطه بوجودها وحدها
وثبت الزورق بالصخور مقرباً منها وعندما أخذ يجلسه بجوارها
مستجمعا جرأته ليحدثها محاولاً أن يجذب يدها . . كان الملاح وصل
إليهما . . ونضوى تقول . . ليتها لم تنفرد بنفسها هاهو يطارد هاهو يشوه
عليها جمال الرحلة . . ودون أن يعلق الملاح جذب الطالب من ظهره
وطرحه في زورقه وترك نضوى في الزورق بعد أن ثبته ومن هول
المفاجأة لم يتمكن الطالب من المقاومة في التزحزح في حين أبعد الملاح
بزورقه بعيداً عن نضوى وعاد وهو يسبح كأنه في حالة سبق
للسباحة وعندما وصل إلى زورقه حل رباطه كأنه يدعوها للعودة إلى
الشاطئ إذ بدأت الشمس ترتدى ثوب المغيب النضوى . . المحلى
بجواهر من الزمرد والياقوت والماس الملون ورفضت نضوى بدعوى
أنها مشرقة لرؤية مغيب الشمس في هذا المكان الرائع كما أبدت نضوى
رغبتها في إتمام جولة تدريبها واضطر أن ينفذ رغبتها . . وبعد
لحظات شعرت نضوى ببرودة في الجو تنسرب إلى بدنهما كما تسلسل
الخوف إلى أعماقها لمشاهدة طلائع الليل تزحف في بظلمة لتزيح عن
النهار اشراقه وكان لا بد أن يهجرها الملاح بضرورة العودة خوفاً على
صديقتها من عودة الملاحين في هذا الوقت وهي في طريقهم وحيدة

وليس معها من يحميها . . ولم تنتظر رضوى عودتهما بعد أن لمحت
آخر شعاع للشمس يختفي وكان الملاحون بدأوا فعلا في العودة وكلما
مر ملاح ورآها . . ابتعد عنها واضطرت أن تشير إلى كل من يمر بها
ولكن أحدهم نبه زملاءه قائلا . . حذار من الدنو منها لأنها جنية
البحر التي تريد أن تجذب أحدا لتزوجه . . كما حدث مع ملاح
تزوجته جنية إذ فيهم من يميلون إلى البشر . . وصدق البعض ونفى
بعضهم مؤكدا استحالة تحقيق ذلك لأن الجن خلقوا من نار والإنسان
من طين وثجائمهما الجسماني مستحيلا وعلق بعضهم . . ولكن الآلاف
الروحي معقول لأن أرواح الجن والبشر من نور . . وهم أحدهم
بالقرب منها وهو يقول . . أنا كنفيل بهذه التجربة وقبل أن يملأوا . .
تكون نشري والملاح اقتربا منها وساعدها الملاح على الهبوط وهي
في حالة ذهول مشوب بالخوف رغم محاولتها التغلب على الوسوس
الذي يبعثها هذا الموقف الرهيب .

في اليوم التالي تذهب الجماعة لزيارة المسلة الراقدة في أسوان وهناك
يعرض عليهم بائعي التحف بعض التماثيل الاثرية المقلدة وتنتقى
رضوى بعض التماثيل وكذلك بعض الرفاق وعندما يقدمون الثمن يرفض
الباعة تناول الثمن لأن سائحا ثريا اشترى كل ما معهم بأضعاف الثمن على
أن تقدم هدايا لهذه الجماعة تشجيعا للطلبة والطالبات على زيارة الآثار
عل فيهم فنانا يستطيع أن يسلك طريق القدامى الثقي ويخرج للوجود
ما يتيه به أبناء الغد كما نتيه اليوم بآثار الأمس البعيد وعلق كبير
البائعين بأن السائح اشترط إذا أخذ البائع الثمن فسوف يسترد ثمنه

عن طريق الشرطة ويستولى على الجماعة دهشة وحيرة من هذا التصرف
الذى لم يسبق مثيلاً له . . ويفسره بعضهم لا بد أن السائح من كبار
المحسنين المسلمين الأثرياء جداً وأراد أن يدفع بعض الزكاة للبيعة
والصغار السائحين الذين لا يملكون ثمن ما يريدون . . وفى هذه
اللحظة يمر بهم سائح أجنبي يتكلم الانجليزية بطلاقة إلى رفيق له وهنا
يشير أحد البيعة هذا هو المحسن الذى أراد ألا نعلن عنه . . ويذكره
زميله قائلاً . . لقد عاهدناه . . ألا نشير إليه إذا مر أمامنا . . فكيف
تخون العهد ويصفعه فى عنف . . وتحدث بينهما مشادة لا تنتهى
إلا بتدخل بعض الطلبة . .

وتدهش نشوى عندما يقع نظرها على السائح الأجنبي وتصارع
عضوى بأنها فى حيرة بالغة للسر الغامض الذى تحار فى حله كلما رأت
شيئاً للجمال . . ثم تنتقل الجماعة لمشاهدة السد المالى وهناك عند السد
يتراعى اليهم صوتاً جميلاً يتمشى مع خرير المياه . . كأن المياه آلات
عازفة معه . . فتملأهم الرهبة والطرب حتى ينتهى الغناء وأثناء
جولتهم يعترض طريقهم فتاة يصور وجه فتاة وعندما يلتف الجماعة
حواله ليتبينوا هذه الصورة وكانت نشوى أقربهم إلى التأمل منها . .
وعدون وعى صرخت فى وجه (رضوى) أنها تشبهك تماماً كأنه رآك
وصورك . . ويعلق البعض . . فعلا أنها تشبهه (رضوى) ويعلق
آخر . . عله يصور فتاة أحلامه . . ويسأله الطالب الجرى . . بكم
تبيع هذه اللوحة . . فينظر إليه شذراً ولا يجيب كأنه لا يفهم العربية
فيعود الطالب ليسأله بالإنجليزية . . فيجيب الرسام بالإنجليزية وهو

يعرض عليه بعض لوحات صورها لثفرتيتي وايزيس . . انتقى ما شئت
من هذه الصور دون مقابل . . أما هذه وأشار إلى لوحة الفتاة فقد دفع
ثمناها سائح مليونير . . بما يكفي لبناء مدينة كاملة بمؤسساتها ومشروعاتها
تحت التنفيذ .

وهنا يلتفت نظر الجماعة رائدهم . . لقد حان وقت عودتنا . .
أسرعوا . . وهمست لشعري لرضوى . . نحن نشاهد مسرحية بطلها
نراه ونسمعه وكأننا لا نراه ولا نسمعه . .

وتستأنف الرحلة مسارعاً إلى قصر أنس الوجود في لاش في
الليل وفي إحدى غرف القصر الذي تبدو رسومه كأن الرسام انتهى
منها في التو مع أنه مر عليها أربعة آلاف سنة . . وكل عام تغمره مياه
ال النيل وتغطيه فلا يبدو غير سطحه وفي وقت الجناف يظهر القصر
ويمكن النزول والطواف فيه كأن الماء لم يمسه . . ويحاول الطالب
الجرى، تصوير رضوى بآلة تصوير استعارها من أحد زملائه وهي
تأمل الصور المرسومة على جدار القصر وهي تقول . . انظروا هذا
الزى الذى تعرضه بيوت آخر موضة في هذه الأيام . . ثم تشير إلى
السّمك المقدم في أطباق وكذلك النماكة قائلة حتى السمك والنواكه
كانها رسمت في التو . . وقبل أن يحرك يده ليصورها يصطدم بالحائط
فتقع الآلة على الأرض وتصطدم رأسه بالحائط حتى يوشك أن يقع
لولا مساندة زميل له . . ويققه الرفاق ويقول أحدهم بينك وبين
أرواح التدامى عداوة تطاردك في كل مكان . . ويعلق أحدهم أو لم
أقل لكم أن روح أحد التدامى معجب برضوى . . وعمو حاميتها

من كل شيطان وبعد مغادرة القصر يلح أحدهم صيادا يرمى شبكته
في النيل وعلى مقربة منه رجل يشعل النار ليشوى السمك الذي يقدمه
إليه بعد أن يصطاده فيلفت طالب نظر الجماعة وهو يقول . . أنها
وجبة شهية لو استطعنا أن نحصل عليها ويهرعون إلى الصيد وقد
أنا بوا رائد لهم لشراء وجبة تكفيهم . . فرحب الصياد بهم وقدم لهم
ما يشتهون وأعلن قبطان اللش موعد قيامه وإلا اضطروا للبقاء حتى
اليوم التالي . . فاسرعوا إليه وعندما تحرك اللش تبعته رضوى إلى
فقد حتميتها وتذكرت أنها نسيتهما في قعر أنس الوجرد عندما علقتهما
بجوار أحد الأعمدة ورفض القبطان أن يتوقف بعد أن تحرك اللش
لعدم الإخلال بمواعيد اللش وهنا انبرى الصياد وقال . . في مقدوري
أن أحضرها وسوف ألحق بكم بعد أن آتي بها فاتي أجيد الصباحة
ورمى بنفسه في الماء . . وشملتهم الدعشة وهم يتبادلون نظرات
العجب وقد أخرجتهم المفاجأة .

وقال الطالب الجري . . إنها فرصة لكي يحصل على مبلغ يعتقده
أنه ثروة بالنسبة لصياد فقير مثله . . وقاطعه أحدهم ولم لا يكون
منفذا شريفا . . أنك تنظر للناس بمنظار نفسك فلا تسبق الحوادث
بسوء ظنك . . ولزمت رضوى الصمت وقالت نشوى عندما نصل
إلى أسوان نتصل بالشرطة . . وعلقت رضوى بصوت خفيض لتسكن
مشيئة الله . . وعندما وصل اللش إلى شاطئ أسوان استقبله الصياد ليقدم
الشنطة إلى رضوى . . تاركاً إياها في سرعة دون أن ينتظر منها كلمة
شكر . . وحدث هرج بين الجماعة . . وتبادلوا أحاديث الإعجاب

بالصيد . . وكيف اجتاز هذه المسافة سابحا أسرع من اللنش ولم
يتنبهوا إلى العطل الذي حدث للنش أثناء مسيره أكثر من ساعتين ريثما
أصلح المهندس موتور الذي تعطل دون أن يدري السبب وقد حدث
ذلك لأول مرة منذ اشتغل هذا اللنش وكان باللنش رفيق الصيد
الذي كان يشعل له النار فلما وقع نظرا القبطان عليه أثناء نزولهم من
الlnش . . قال . . أترك منجما يا صاحي . . لقد قلت لي عندما
جئتني تطلب مني أن اسمح لك بإشعال سيجار أنك تريد معرفة نوع
موتور اللنش لتعرف قدر سرعته بالنسبة لنوعه لأن سائحا مليونيرا
سوف يصفى لمل اللنش للسائحين بالبحر وسوف يكلفك بتسييره لأنك
خبرت قيادة المنشآت في إيطاليا وقد سمحت لك برؤية الموتور . .
وعلى أثرها توقف . . فأجابه الرجل لقد قلت لك قبل رؤية
الموتور أنه سوف يتوقف إذ أدركت من تأثير تقلبات الجو على
الموتور . . فقال القبطان . . على كل حال لا أريد أن أدخل في نقاش
قد يضرني لأنني صرحت لك برؤية الموتور والحمد لله (جت سليمة) .

وفي اليوم التالي تأهبوا للعودة إلى القاهرة ولما علمت رضوى
بأنه لم يزل في الوقت بقيتة تكفي للجولة في الصحراء حيث تعتزم دراسة
مشروع تعمير الصحراء لتضع رسالة في هذا الشأن وكلفت (نشوى)
بإعداد الحقائق ريثما تعود على أن تخبر الرفاق بأنها ذهبت لشراء
بعض الهدايا لكيلا يتبعها الطالب الجري . . وأخذت سيارة إلى
صحراء أسوان . . ثم ترجمت لتجوبها وتدرس أحوال سكانها . .
وسارت مأخوذة بسحر الصحراء التي خصها الله به ولما وجدت أن

الطريق خلو من المارة وليس أمامها أبنية تشير الى وجود سكان بها
بدأ الخوف يراودها واعتزمت أن تعود وأثناء ذلك تقدم جرسون
الفندق الى (نشري) يسأل عن رضوى لأن مكالمة تليفونية في
انتظارها وأسرعت لتكلم بدلا منها قبل أن تنتهي مدة المكالمة وقال
مخاطبها أنه قادم من القاهرة في طائرة ومعه رسالة هامة اليها وسيعود
في طائرة بعد ساعات وعلم من استعلامات الفندق أنها خرجت وحدها
فأين ذهبت ليلاحق بها .. فقالت : لا يعلم أحد سواي منعاً من مضايقتها
لقد ذهبت الى الصحراء لعمل دراسة عنها ويمكنه أن يسلم الرسالة الى
فهي صديقتي الوحيدة ..

فيمتدح اذ من الضروري أن يتسلم الرد منها فوراً بعد قراءة
الرسالة وظن نشوى أنها من خطيبها فتقول .. اذن ابحث عنها في
الصحراء .. في هذا الوقت تمشي رضوى في الصحراء وبعد لحظات
يظهر رجلا يرتدي ملابس الاسوانيين .. وتلمحه رضوى قبل أن
يراها فتناديه .. يا عم .. يا عم .. فيسرع اليها مبدياً ارتياحه كأنه
عشر على ضالته فتصارحه بأنها ضلت الطريق وتستهلفه بالله أن يرشدّها
إلى الطريق المؤدى إلى أسوان خشية أن يفوتها القطار فيطمئنّها ويخبرها
أنه من رجال الأمن المنتسكين فطمئن إياه وفي طريقهما يمران بنخيل
البلح وقد بدا ناضجا مغريا فتبدى إعجابها متمنية لو كان بجانبه
من يبيع كمية منه ودون أن يتكلم تسلق النخل وجمع لها كمية راجيا
أن تذوقها فاذا أعجبها جمع لها كمية أخرى فاعتذرت لأن ذلك اعتداء
على حق الغير وهو حرام .. فقال اطمئني .. لن يخسر صاحبه

شيئا سياتخذ ثمنه حالا على مرأى منك . . وبعد أن تذوقته وامتدحته
تسلق النخلة بعد أن ربط منديل المملوء بدراهم كثيرة بالمكان الذي
أحضر منه البليح . . وقبل هبوطه مر بهما أحد البشارين فرماه بحجر
أصاب ساقه فصقط على الأرض ولم يكنف البشارى بذلك بل وخره
بسكين كان معه وهو يقول . . أنسرقنا علانية . . ويحاول الرجل
أن يدافع عن نفسه فيتشاجران في عنف وينتمى الشجار بوقوع البشارى
على الأرض مضى عليه وهما يمر بعض البشاريين فيظنوا أن الرجل
قتله فينهالوا عليه ضربا رغم محاولة (رضوى) شرح وسبب المشادة
مشيرة إلى النقود التي وضعها الرجل في النخلة بدل الثمر ولكنهم
لم يتأثروا بحديثها ويقتنعوا ببراءته فيقيده بالحبال ويجروه على
الأرض كما يقيدها أحدهم ويحملها على كتفه وقد أوشكت أن تفقد
الوعى من هول الموقف وخوفا من مصيرها المجهول وعندما تسترد
وعيا بعض الشيء تجد نفسها حبيسة داخل كهف مظلم تحت الأرض
ويترامى إلى مسامعها من وراء باب الكهف الأصنوع من سعف النخيل
في أحكام ودقه وتفهم من حديثهما عندما تهضى من وراء هذا الباب
في حذر أنهما وقفا لحراستها وراح أحدهما يفاوض رفيقه في اغتصابها
والاستيلاء على حليها فيوافق رفيقه على شريطة أن يقتصما الحلي
والنقود . . وعندما يهما بتنفيذ ذلك يلحبا أخوانهم في الطريق إليهما
فيقول أحدهما . . دع تنفيذ ذلك حتى الصباح ريثما يأوى الإخوان
جميعا إلى بيوتهم ولن يغادروا البيوت قبل العاشرة صباحا . .
وحاول أحدهم أن يطل عليها . . وكانت أسرع وتناومت ليطمئنا . .

وقال لرفيقه لقد نامت فلانسرح ما تبقى من الليل وعند الفجر ننفذ
خطتنا وغلبهما النوم فلما تأكدت من نومهما بشخيرهما راحت
تفكر في الهرب وبدأت تتحسس أرض الكهف وساعدها على الرؤيا
إلى حد تسلل ضوء القمر من فجوة فوق الباب وعثرت على قطعة من
الحديد وهداها فكرها إلى استغلالها في فتح فجوة أسفل الجدار بعيدا
عن الحارسين ف راحت تحفر بها حتى أصبحت الحفرة صالحة لخروجها..
واستعانت بتقطع القماش القديمة الملقاة على الأرض بتغطية ملابسها
حتى بدت كأنها ترتدى هذه الملابس القديمة وساعدها على إخفاء
شخصيتها وجود صنّاج خشب محروق صبغت به وجهها وشعرها حتى
بانت كأنها امرأة من فقراء أسوان وزحفت على بطنها في حذر
وخفة حتى خرجت ولم تكد تجد نفسها خارج المغارة حتى راحت
تجري في حذر وخفة وسرعة مع حفر علامة في الطريق تشير إلى طريق
المغارة وظلت كذلك وهي مشدودة الأعصاب تقاوم مخاوفها
واضطرابها . . مصطنعة مشية المرأة العجوز الذي لا حول لها ولا
و لا تغرى على التطاع إليها . . حتى لحمت أعرابيا يركب جملا فنادته
بصوت خشن صادر من امرأة فقدت أنوثتها وقوتها . . يا بني
وعاك الله ألا تسدى إلى معروفنا يحزبك الله عنه خيرا فأسرع الأعرابي
تحوها قائلا . . ما شأنك يا عجور فقالت بلمحة أسوانية عميقة . .
أن ابنتي مريضة في أسوان وأريد رؤياها إذ أخـبرني ولدي الذي
استدعته شرطة التجنيد ولم تمهله حتى ينقلني إليها وليس معي سواه
وتأثر الرجل وعطف عليها فحماها معه وبعد أن وصلت إلى محطة

السكة الحديد شكرته لماعاونتها حتى وصلت ثم تسلمت إلى استراحة
السكة الحديد وخلعت القطار المهملة وغسلت وجهها وأصلحت من
شأنها لتعود إلى حالتها بقدر المستطاع ثم ركبت سيارة لتحميلها إلى
الشرطة واستأذنت السائق بعض دقائق لأنها ستعود مرة أخرى ولما
قابلت الضابط وقدمت إليه نفسها أمر بالتحفظ عليها لترحيلها إلى
القاهرة حيث أن جماعة الرحلة بلغوا عن فقدانها وغادروا أسوان
مضطرين لانتهاء مدة الرحلة بتوقيات تاريخ العودة وضرورة الاتصال
بالجامعة للإفادة عن نتيجة البحث عنها خشية أن تكون ضلت الطريق
في الصحراء وداومتها وحوش الصحراء . . . ولكن رضوى أصرت
على ضرورة انقاذ مرشدتها كما أسمته الضابط قبل أن تفتك به جماعة
البشاريين راجية منه أن يتصل بالجامعة ليطمئننها على العثور عليها
وضرورة تضيئة بعض أيام في المستشفى المستترد صحتها لما عانته من
متاعب . . . وبعد أن استمع الضابط إلى تفاصيل ما حدث رأى من
مصلحة الأمن معرفة مكان المغارة بجانب ضرورة انقاذ المرشد إذ . .
المحتمل أن يكون هذا الخبأ المجهول لمهربى المخدرات وقطاع الطرق . .
وفي سرعة مذهلة قام الضابط مع كتيبة من الجنود تحت إمرته (ندى)
حسب العلامات التي رسمتها واما وصلوا إلى الخبأ الذى حبست فيه
رضوى وجدوا الحارسين فى حالة ذعر وارتباك خوفاً من رئيسهم
وأخذهما الضابط بالرفق أنا والشدة أحيانا وتهديدهما بالإعدام إن لم
يرشدا عن الرجل المخطوف وفى حالة الإرشاد عن مكانه سيفرج عنهما
ويكونا تحت حماية الشرطة وأخيرا خضعا وارشدا إلى مقره . .

وكان المرشد على وشك أن يفقد آخر أنفاسه عندما دامه الضابط
والجنود بعد أن اشتبكوا مع جماعة من البشاريين المسلحين وأخيرا
استطاعت الشرطة التغلب عليهم وحبسهم بالسلاسل . . وكان هذا
المشهد باعثا لطمأنينة المرشد واسترداد أنفاسه . . على أنه لم يستطع
أن يتكلم ناظرا لضابط وجنوده بعينين يعبران عن شكره وخص
رضوى بنظرات تنم عن عمق إحساسه وتقديره .

وفي المساء بعد أن خاطبت رضوى أسرتهما لتطمئنهم وتطالبهم
بإرسال مبلغ من المال إذ فقدت ما كان معها وتركت التفاصيل لحين
عودتها . . على أن الضابط أعتم بها وأمر بضرورة إقامتها في
المستشفى لعلاج ما تشكو من أثر ما أصابها خشية المضاعفة كما أمر
بتحويل المرشد إلى المستشفى لعلاج الجروح والكدمات التي أصابته
من ضربات البشاريين ولم يتمكن من معرفة حقيقة شخصيته مكفيا
بذكر الاسم الذي ذكره وعمله كمرشد ونزيل أسوان منذ شهر
للعمل بها بعد أن صعب عليه العمل في مرسى مطروح .

ورأت رضوى أن اللياقة تقتضي أن تمر يوميا على المرشد المريض
لأن ما أصابه حدث بسببها وشغف الضابط برضوى كما شغف الطبيب
بها دون أن يفصح أحدهما عن هواه إلا باهتمامه وعنايته بها على أن
الطبيب حاول أن يحول بين لقاء الضابط بها فأمر بخدم مقابلة لها لآي إنسان
وهي لاهية عن هذا وذاك لاهتمامها بالمرشد لكي يتعافى قبل أن تغادر
أسوان وانتهالت عليها الرسائل من أسرتهما ونشوى راحت تذكرها

بأيام الرحلة الممتعة لولا الخاتمة بسبب رحيلهم بدونها وخصت بالذكر
الجمال والصيد والمرشد والسائح مؤكدة لها أنها لم تأسف لشيء أسفها
على ترك لغز مريم دون أن تحله . . وأثناء زيارتها الأخيرة للمرشد
قبل مغادرتها أسوان تمت له الصحة وتمام المافية راجية أن يكتب
إليها عندما يتعافى ويغادر المستشفى لتطمئن عليه وأنها مدينه له بدين
تتمنى أن تتاح لها الفرصة لكي ترده إليه إذا جاء إلى القاهرة فقد أثبت
أنه رجل نبيل . . ثم علقت . . يبدو أن سكان هذا الوادي على خلق
كريم وليست وحدها التي تشهد بذلك أصديقة لها كانت ترافقها في
الرحلة تأثرت . . بجمال في العراة . . ومرشد في الأفصر . . وسائح
في أسوان وصيد عند قصر أنس الوجود . . وهي تؤمن أن رجلا
واحداً يلبس مسح هؤلاء جميعا . . بل تبدو من حديثها أنها
افتتنت به وتأمل أن تأتي في العام المقبل لتراهم لكي تحل اللغز كما
تسميه . . ولما سأها . . وانت مارأيك فيما زعمت قالت : لا أنكر أنني
أعجبت بكل منهم في موضعه ولكنني لم أحاول أن أتلس حقيقة كل
منهم من مظهره . . شيء واحد أدهشني . . ذلك السائح الذي بذل
ما بذل من المال في سبيل جماعة الرحلة مع أنه أجنبي كما يقولون . .
ولا عجب فكثيراً من الأجانب يحملون بين جوانحهم قلوباً كبيرة
تكفي عواطفها النبيلة لسد ثغرة الحقد والكراهية والفقر .

وكان لابد أن تعود (رضوى) إلى القاهرة لتستعد لتأدية
الامتحان فغادرت أسوان بعد أن ودعت المرشد الذي أظهر لها حزنه

بأنفعاله دون أن يصرح بذلك وودعت الطبيب لتوصيه خيراً بالمرشد
فوعدها بذلك ترضية لإنسانيتها منوها لها بأنه سيلقها قريباً لقاء
لا فراق بعده وبدل أن تبدى ارتياحها لمشاعره كما كان يتوقع تجاهلات
ما يعنيه وشكرته على اهتمامه بها وبالمرشد .

وعلى أثر رحيل رضوى شعر المرشد بفراغ هائل أسلمه إلى
تفكير ومشاعر لا قدرة له على صددها أما هي فقد عادت إلى بيتها
راضية النفس مطمئنة الضمير لأنها قامت بواجبها نحو المرشد .. على أن
طيفه لم يبرح خيالها بالرغم منها منفسرة ذلك لما مر بها دون أن
يتجه خاطرها إلى تفسيره بما ينتمى إلى الحب ..

وكان أول سؤال وجهته نشوى لآليها عندما التقت بها هل التقى بها
الرجل الذى جاءها من القاهرة برسالة وقد ذهب للبحث عنها فى
الصحراء .. فأخبرتها لاشك أنه لم يمتد لآليها ولولا الرجل الذى مر
بها وضحى من أجلها حتى كاد يفقد حياته لأصابها ما لم يكن فى
الحسبان .. وسألت نشوى .. وكيف يضحى رجل من أجلك دون
سابق معرفة .. فقالت — رضوى .. وأى عجب فى هذا .. وهو
عربى .. وهل الجمال والمرشد والصياد والسائح كانوا يعرفوننا فقالت
نشوى .. إن هؤلاء جميعاً يمثلون أسطورة تبدو سحرية ولا تحسبها
إلا أقصوصة واقعية ظهرت على مسرح حياتهم لتشعرهم بأن فى الحياة
أسراراً لا يعلمها إلا الله وإن كنت أكاد أوقن بأنهم جميعاً يرتبطون

بجان يلبس مسوح كل منهم في الوقت المناسب وهذا تضحك رضوى
ساخرة قائلة .. حتى أنت يا ابنة الثقافة تصدقين هذا الهراء .. قد
يكون لا بناء النظرة والسذاجة والجهالة العذر في تصديق ذلك .. أما
أنت فكيف تصل بك تفاهة النفس-كبير إلى هذا الحد ؟ ١٩ .

وتنظر إليها نشرى ساخرة من هذا الزعم ثم تقول .. ظني في
ما شئت من ظنون المهم ما زلت أو من إيماننا مطلقا بأن هؤلاء الرجال
جميعا .. رجل واحد .. أنعرفين لماذا أؤكد ذلك وانت تفننيه ..
لأنني عشت مع الجمال بعواطفى وتفكيرى منذ رأيت قد يكون لخلو
قلبي من فتى أحلامى .. أما أنت فلأنك مرتبطة بخطيبك فليس ثمة
ما يدعو لاستكشاف عواطف الآخرين .. أنت قد انتهيت من البحث
ووفقت إلى شريك المستقبل .. أما أنا فما زلت أبحث وهذا البحث
هو الذى يدعونى إلى البحث عن المجهول .. وكل واحد من هؤلاء
كنت أنوسم فيه فتى أحلامى كان يواجهنى كلما التقيت بواحد منهم ..
صورة واحدة .. اختلفت في المظهر ولكنها لم تختلف في الجوهر كما
يتبينها حتى وأقسم لك لو تقدم أحدهم إلى خطبتي لما رفضت ..
لأنه رجل يمثل العروبة الأصيلة تمثيلا لا شائبة فيه .. وتقاطعها
رضوى .. لتكن أسطورة على حد تعبيرك ولكنها في الواقع تمثيلية
أبطالها أجادوا التمثيل ..

وانقطع حديثهما على أثر مقدم خطيب رضوى .. فاستأذنت
نشرى على موعد استئناف المذاكرة استعدادا للامتحان وأبدى الخطيب

شوقه وحنينه أكثر مما كانت تتوقع رضوى راجياً أن نقف بجانبه
 ليحدد موعد عقد القران إذ لم يعد لديه طاقة من الصبر والاحتمال فلم
 تتردد في الموافقة وقابل والدها في التوافق وافق معه على تحديد عقد القران
 قبل تأدية الامتحان ولكن رضوى أصرت على تأدية الامتحان وتأجيل
 عقد القران حتى تظهر النتيجة وفي خلال هذه الفترة يتقدم الطبيب
 لخطبتها فيعتذر والدها في لطف وأدب لارتباطها بخطيب سيتم عقد
 قرانهما بعد أيام ويأسف الطبيب لأنه جاء متأخراً راجياً لها السعادة
 والتوفيق ولما علمت الام حاولت أن تقنع الوالد بالتخلي عن الخطيب
 الذي لا يملك غير ثروته التي ورثها عن أبيه ولا يحسن التصرف كما
 يبدو مفضلة الطبيب عليه . . لما يمتاز به من عمل شريف يدر عليه
 الرزق ومستقبل مضمون ولكن الوالد يأبى أن يخدر به . . أما
 رضوى فلم يكن لها حق الرفض بعد أن وافق والدها ظناً منه أن ثراء
 الخطيب كفيل بأن يحقق لابنته حياة الترف والرفاهية ويرتفع بها عن
 مستوى العامة وبدأت رضوى تستعد لعقد القران تاركة لانشغول
 الاطلاع على النتيجة بعد تأدية الامتحان . . رغم عدم اهتمام خطيبها
 الذي صارحها بأنه يتمنى أن ترسب في الامتحان ولعلمها أنه يتمنى
 ذلك لكيلا تكون أعلى شأنًا منه لأنه لم ينل من التعليم حظاً يرتفع
 به إلى مصاف الممتازين الحائزين على أعلى الدرجات وحرصاً على شعوره
 كانت تشمره دائماً بأن الشهادة ليست عنوان مجد الإنسان وعظمته
 مادام قادر على أن يؤدي عملاً نافعا للوطن عن طريق ماله أو كفاحه
 وكانت في قرارة نفسها تريد أن نقف بجانبه غير منكسة الرأس أمام

أمله وذويه فإذا كان هو أكثر منها ثروته فهي أكثر منه علما وبذلك
يتساويان في نظر المجتمع على الأقل واستسلمت لمشيمة الله مستريحة
لهذه الخواطر ..

ولم تمض أيام وقبل عقد القران أسرعته نشوى إلى رضوى
لتهنئتها بالنجاح وبعد الانتهاء من حديث نجاحهما أخبرتها نشوى أنها
رأت أثناء خروجها من الجامعة رجلا يركب تاكسي كأنه ينتظر أحد
أخوته وهو يشبه أحد الرجال الذين تعاملوا معهم في الرحلة .. وعادت
رضوى إلى استخفافها قائلة .. إلى متى يملق ذهنك بهؤلاء الرجال ؟
يا صديقتي ركزي ذهنك على زميلك رفعت أنه يحبك ويتمناك وقد
طلب مني التوسط لديك لتقبله زوجا .. وبلهجة التأفف والتهرم
قالت نشوى .. أكرت لك مرارا إنى أكره الشاب الذى يعيش كالطائر
يتنقل من فنن إلى فنن يسهل كل فتاة فإذا تركته لتعلقه بالمادة وإدراكها
أنه يريد أن يتزوجها لتعمل إذ العمل من مستلزمات الزواج .. حام حول
غيرها .. وقد جاء الآن دورى وأنا أرفض أن يكون عملى إلزاماً بل
ليكن لي مطلق الحرية حسب ظروفى فإذا وجدت حياتنا الزوجية تتطلب
المشاركة بعملى عملت من تلقاء نفسى بعد أن يتم تفاهمنا الفكري
وتآلفنا العاطفى بعيداً عن المادة .. أنا شخصياً لا أطيب منه أكثر من
أن يكون رجلاً كاملاً الرجولة ناضج الفكر واسع الأفق حى الضمير
مؤمناً عفاً كبير القلب بعاطفته .. وحسبى هذا ثروة أعز بها وأفاخر
ولشد ما يؤلمنى أنتى عثرت على هذا الرجل فيما رأيت من رجال فى
حسابى أسطورة .. وتهمت عندما يدق (التليفون) وإذا بأحدى

زميلتها تهنيئها بالنجاح وتنقل إليها حديثا جرى في الجامعة أمامها وبعد
أن تلتقي المكالمة .. تنقل إلى نشوى ما جرى بينهما من حديث :
تقول يسريه أثناء وجودها عند المسجل دخل عليه رجلا يسأل عن
تليفوني لأن أبنته نعرفت على أثناء الرحلة في أسوان وتريد زيارتي
وهي ترغب في مخاطبتي تليفونيا لكي تتفق معي على موعد اللقاء وقد
اعتذر له المسجل وأعطاه عنوان والدي ليقابله ويتفاهم معه وتبدى
رضوى دهشتها بأنها لم تتعرف على أية فتاة في الرحلة وتقول نشوى
ربما تكون إحدى الأعرايات التي تناولت معهن الشاي وأرتديت
لباس إحداهن فتمز رضوى رأسها مغمفة . . ربما . . ثم تسرح
نشوى ثم تقول . . أو لم أقل لك أنني رأيت رجلا ينتظر في الناكس
أمام الجامعة يشبه أحد الرجال الذين تعاملوا معنا . . ألا يحتمل أن
يكون أحدهم ويريد أن يلقاك لقد كان نظر كل منهم لا يفارقك
طوال الرحلة . . وقد يكون ادعى ذلك ليصل إلى عنوانك فقطاطعها
رضوى وهل من المعقول أن يتجرأ أحدهم لزيارتي فتؤكد نشوى
احتمال ذلك ليستعين بوالدك على قضاء بعض حاجيات له إذ من
المحتمل أيضا أن يكون سأل عن والدك وعرف أنه تاجر معروف
وهكذا يتلاعب بهما التخمين وتشعب الظنون وتنصرف نشوى
وكلاهما ترى غير ما تراه الأخرى .

ولم تمض أيام حتى يتقدم الخطبة (رضوى) قبل عقد قرانها بأيام
قلائل تاجرا أعرايا ثريا ويقابله والدها بعد الإتصال به تليفونيا

لتحديد موعد للقائه بعد أن عرف الوالد منه أنه تاجر عربي فظن أنه
 يريد أن يتعامل معه وبعد لقائهما يطلب الزائر يد ابنته لتكون زوجة له
 وهو كفيل بتحقيق مطالبه ومطالب كريمته فيعتذر الوالد لارتباطها
 بخطيب سوف تزف إليه قريباً . . وتتدخل الوالدة مرحة بالزائر
 مصطنعة السؤال عن بلده علمه من البلد الذي تقيم فيه ابنة أختها الموظفة
 لتطمئن عليها فيقول أنه من السعودية ولكن قد استقر به المقام في
 القاهرة منذ أعوام ليكون حلقة صلة بينه وبين تاجر السعودية وتبدي
 الوالدة إعجابها به وقبل انصرافه تقول له . . أترك لزوجي عنوانك
 لتحضر حفل زفاف ابنتي وإن كنت أشعر بأن هذا الزفاف لن يتم
 لأن ابنتي غير مقبلة عليه بقلبه . . وقد يستجيب الله لها ولا نكون
 من نصيبه من يدري . . فينهرها الوالد . . ويودع الزائر لكيلا
 تسترسل الأم في حديثها . . وبعد انصرافه تشور على زوجها وتحاوله
 أن ترغمه على انتحال أي عذر للخطيب وتعتقد أن هذا التاجر كفيل
 بأن يرد له بديل ما قدمه من شبكة وهدايا وهو تاجر كبير لا شك أنه
 سوف يستفيد منه وحمدت الله لأن التاجر ترك له بطاقته تحمل
 اسمه وعنوان إقامته (الحاج محمد عبد الكريم المقيم في هيلتون . .
 ورغم معارضة الأم أقيمت معالم الفرح لعقد قران وزفاف رضوى في
 بيت والدها . . وفوجيء الوالد بهدايا فاخرة مع أجمل التهاني من
 الحاج محمد التاجر المذكور وبينما كانت الموسيقى تعزف ألحان الفرح
 وصات إلى الوالد برقية لم يكدها طالعها حق فقد الوعى وأصيب بالشلل
 وتجمع الأهل حوله وأسرع كل منهم لقراءة البرقية وفي مقدمتهم

الطبيب الذي بان عليه المانع بشكل واضح ونقل الوالد إلى الفراش
 تحت رعاية الطبيب الذي حضر في التو وأصر شقيق رضوى الكبير
 على إتمام الزواج بعد أن اختلى بالعريس وطالب منه أن يدفع تكاليف
 العرس ريثما يتعافى الوالد لأن البنك أعلن إفلاسَه واستولى على رصيده
 اليوم ولم يعلم الوالد غير الآن من صديق بعث إليه بهذه البرقية . .
 لأن السفينة القادمة بالتجارة من الشام ضربها الأعداء فغرقت وكان
 الوالد استدان مبالغ طائلة على أمل أن يسدها بعد استلام البضاعة
 وفي خبث اعتذر العريس بدعوى أنه - جز تذكرة في الطائرة لمغادرة
 القاهرة غدا إلى أمريكا لتسلم نصيب والده في أرباح شركة سبق أن
 تعاقد معها كما أن رصيده في البنك ليس به غير جنهيات قليلة لا تكفي
 لسداد تكاليف زينة العرس وقد أشرق صباح اليوم إلى وكيل دائرة
 المرحوم والده لبيع ما تبقى له من الفدادين التي ورثها مع أخوته ولا
 يستطيع أن يستدين من أخوته لأنهم أجدعوا على تزويجه من ابنة خاله
 الثرية . . ولكنه رفض وفضل رضوى . . وفي دهاء قال . . على كل حال . .
 سوف اتصل بابن عمي تليفونيا فهو ثري ويحبني لكي يرسل إلى في الحال
 المبلغ اللازم لأنه مريض ولذلك لم يستطع الحضور . . وأظن
 الاتصال تليفونيا لا يجدى ويجب أن أذهب إليه لأشرح له خطورة
 الموقف وعلق الشقيق وأنا واثق أن والدي بعد زوال هذه الصدمة
 سوف يعرف كيف يعوض خسارته لأنه مع الله ويعمل دائما في
 سبيل مرضاته ولم يخذله الله أبدا وقبل انصراف العريس توقف
 لحظة ثم سأل الشقيق . . لا بد أن تكاليف العرس في محفظة والدك

إذ المفروض أن يدفع تكاليف الفرح الليلة فقال الشقيق أنه لا يحمل
نقودا معه بل يتمامل بالشيكات بعد أن داهمنا الصرص منذ عام
واستولوا على نقوده التي كان يحتفظ بها في المنزل مع حلي والدتي . .
وهز العريس رأسه مخمخما إذن يجب أن أذهب . . وكان المفروض
أن يعود بعد ساعة على الأكثر وتوقف الحفل . . ولزم الجميع
الصمت وتبدلت البسمات إلى آهات لما حدث . . وتقدمت المطربة
إلى الوالدة معذرة عن اضطرابها الانسحاب متنازلة عن باقي الأجر
تكريما للوالد الذي عرف بالشهامة راجية له الشفاء العاجل وإتمام
الزواج وسوف تعتبر المبلغ الذي دفعه ديناً عليها وعربونا الحفل
القادم بإذن الله . . وتقدم صاحب السرايق واعتذر وأعلن عن
تنازله بما تبقى من مصاريف السرايق مع الدعاء لبريضى . . وكان
الحاج محمد التاجر العربي حضر الحفل بدعوة من الوالد . . فتقدم
إلى شقيق رضوى وأبدى استعداده لدفع مصاريف الحفل والسرايق
وكل ما كان يجب أن يدفع وأخرج من محفظته مبلغاً كبيراً . . قائلاً
هذا المبلغ تحت أمرك فاعتذر الشقيق . . لن يتم الزفاف لقد ذهب
العريس لغير رجعة كما أخبرني صديق له أسر إليه بنية قبل أن يغادرنا
. . فليذهب إلى جهنم . . ونحمد الله . . والخير فيما يريده وتقدم
صديق آخر للعريس قائلاً للشقيق . . أحمد الله الذي خلاصكم منه . .
لقد بدد ثروته منذ عام وهو يعيش عالة على أخوته وكان يأمل أن يستغل
أختك فتعمل بجانب استغلال والدك للرجل الطيب الكريم . . واقترب
منهم شاب آخر معلماً . . أنه لا يستحق أختك أنها فتاة ممتازة لقد

هرب خشية أن ينتضح أمره ويظهر على حقيقته . . أن والدك يستطيع
أن يعوض خسارته بعد شفائه إن شاء الله بعمله وسمعته الطيبة أما هو
فلا يستطيع تعويض ميراثه لأنه عاطل بالوراثة وانفض الجميع كل
يبدى التحسر والالام لما أصاب الوالد لتقدير الناس جميعا له واضطر
الابن إلى تأجيل سفره ريثما يتعافى والده ويسترد نشاطه .

ولم تحزن رضوى على تأجيل الزواج إذ كان كل همها وما يشغل
بالها ما أصاب والدها والبحث عن عمل تستعين به على علاج والدها
الذى اهتم به الطبيب اهتماماً بالغاً وعندما حاولت الأم أن تقدم إلى
الطبيب أجر العلاج بعد أن باعت حليها في التواضع مؤجلا الأجر
ريثما يتم العلاج ويتشافى المريض وقد كلف الصيدلى أن يرسل إليه
الدواء دون أن يتقاضى الثمن لأن الصيدلية خاصة به وسوف يتسلم
حساب العلاج والدواء معاً . . ولم تمض أيام حتى فوجئت الأسرة
بالحجز على البيت وأساسه لتسديد ما تبقى من دين لم يوفه رصيده
البنك واضطرت الأم أن تنهيا للانتقال إلى بيت قديم تملكه في إحدى
الأحياء الشعبية كانت تركته تحت تصرف أختها العجوز التى ترعاها إذ
ليس لها عائل سواها . . . وبعد أن تماثل الوالد للشفاء تماما واسترد
صحته سأل عن الخطيب وتألم لما حدث له من أجله وتوجه إلى الله
بقلبه أن يعينه على استعادة تجارتها واسترداد كرامته ومكانته ليعوض
الخطيب خيرا بعد هذا التأخير الذى ألمه بلا شك ومن كثرة مؤالاه
واهتمامه به واعتقاده أن تكون الصدمة سببت له مرضا لأنه مرهف
الحس وقد أثر ذلك على رضوى لانطوائها وهنا اضطرت الوالدة أن

تصارحه بما حدث لكي يترك امره لله ولم يلبث الوالد حتى بدأ يعمل في
متجر كان يتعامل معه بشرف وأمانة بما دعا صاحب المتجر أن يعطف عليه
ويسمح له بأن يتاجر لحسابه الخاص في متجره فهو مدين له بشرائه هذا
وتنبه الوالد إلى عدم مجيء الطبيب بعد شفائه فسأل عن عنوانه لينذهب
إليه كي يشكره على عنايته وهنا صارحته زوجته بأنه لم يتقاضى أجر
العلاج والدواء ووجلا ذلك حتى يتم الشفاء أما وقد تعافيت والحمد لله
فوجب أن تقدم إليه الحساب مع الشكر . . وأصر الابن على أن يحتفل
بشفاء والده قبل أن يغادروا هذا البيت إلى البيت القديم ويدعو الطبيب
والحاج محمد وبعض رفاقه المخلصين والأهل المقربين وقد استطاع أن
يوفر تكاليف هذا الحفل من عمل كان يقوم به في مخبز مساء كل يوم
وربعت الأم وقالت . . عملت خبازاً . . فضحك الابن وقال وما
الضرر . . أليس العامل الذي يقوم بهذا العمل لإنسان مثلي . . كل عمل
مهما كان نوعه مادام شريفاً جدير بالاعتبار . . وعقب الوالد . .
ذلك أفضل من أن يسافر إلى أوربا ليغسل البلاط أو الأطباق أو ينام
في الحدائق العامة ويأكل ما كان يعافه في بلاده ويتعرض للأذى والمذلة
وقد يقع فريسة مؤامرات إسرائيل فيجنى على نفسه وعلى أهله وعلى
وطنه . . دعيه يعمل أي عمل لخدمة أهله ووطنه . . وختم الوالد
حديثه بقوله . . يجب تسديد حساب الطبيب أولاً يا ولدي فإذا تبقى
لديك ما يكفي للحفل فافعل . . ودون تردد ذهب الابن إلى الطبيب . .
وبعد أن حمد الله على شفاء الوالد رفض تسلم الحساب قائلاً . . لقد
تأصل بي أحد عملاء والدك عندما عرف أنني أعالجه وطالب مني ألا

أخذ من الأسرة أجر العلاج والدواء وقدم لي مبلغاً كبيراً تحت
الحساب وقال لي أنه كان مديناً لوالدك بهذا المبلغ عندما راجع حساب
العام كله الخاص بالتعامل مع والدك . وهو كتاجر شريف يأبى أن
أن يضيف إلى ماله ما حرمه الله .. وقد أخذت حساني كاملاً .. ورددت
للرجل ما تبقى من مبلغه وسوف أحضر الحفل للمشاركة والحمد لله
الذي أتاح لي القدرة على شفاء الوالد حفظه الله ..

وحاول الوالد أن يتذكر عملاءه القدامى عليه يهتدى إلى هذا العميل
الشريف الذي يقدم ديناً لا يعرفه صاحبه في الوقت الذي ينكر فيه بعض
العملاء حقوق الآخرين .. فلم يهتد ولكي تعفيه زوجته من التفكير
الطويل في هذا الأمر خشية أن يعصبيه أى مكروه صحى تقول له ..
المهم لا لك ولا عليك .. وقد تكشف لك الأيام فيما بعد عن هذا
التاجر الشريف من حيث لا تدري ..

ويقيم الابن الحفل في حدود ماله من مال بعد أن يدعو الطبيب
والحاج محمد والمقربين وعلى غير ارتقاب تأتى إليهم لوازم الحفل من
الحلويات والمأكولات .. وتأتى مطربة معروفة برفقتهم رجال
الموسيقى ... وتسأل الأم وادها .. هل معك من المال ما يكفى
من ذلك وأجر هؤلاء .. وبلمحة العطف والخوف يقول الوالد ..
أخشى يا ولدى أن تتورط ولا تجد من يسدد لك باقى الحساب ويلتزم
الابن الصمت مشدوها حائراً .. أنه لم يطلب الحلويات من أى محل ؟
ولم يتصل بهذه المطربة .. ويظن أن الخطيب علم بالحفل .. ففعل
ذلك ليضعهم فى مأزق ثم يحضر ويطلب عقد القران ... ويصارع

أخته بذلك بعيداً عن والديه . . فترجح ذلك وتقسم لو كان ذلك حقاً
فلن تزوجه وستعلن الرفض أمام الحاضرين لنذالته . . مع احتقارها
له . . ويسرح الأخ مفكراً لحظة ثم يقول . . ولماذا لا نغمعه هو في
المأزق فعندما يطلب ذلك نطأ به بتسديد تم الحلوى والمأكولات
ودفع أجر المطربة والموسيقيين أولاً وبعد أن ينفذ ذلك أعلن الرفض
وأنا موافق عليه وسأقف بجانبك ضد والدي إذا حاول أن يرغمك .

ونجأة يقبل الخطيب ويتقدم إلى الوالد مبتعاً بشفائه مدعياً أنه
اضطر للسفر يوم الحادث للتصرف في بعض أملاكه ولم يذته من شواغله
غير اليوم وعندما علم من صديقه بهذا الحفل جاء للتهنئة . . وسكت
وهو ينظر إلى رضوى . . التي أعرضت عنه وراحت تحي المدعوين
متجاهلة إياه كأنها لم تره وأغضب الأخ بسمة وهو يرحب به قائلاً . .
لقد جئت في الوقت المناسب وقد أصلت بك لأدعوك فم أجذك
والآن يجب أن نضع حداً لهذه الخطبة فاما أن يعقد القران فوراً أو
يعلن انفصالكما . . فربيع الخطيب ولكنه تكلف البشر والهدوء
وقال . . لقد حذرت يا أخي لعقد القران فقال الأخ . . وهل أنت
على استعداد مالي؟ قال . . طبعاً قال إذن . . ادفع تكاليف الحفل
لكي تعقد القران . . ولا شك أنك أعددت قيمة المهر ١٠٠٠ جنيه . .
فنظر إليه في خبث قائلاً . . سبق أن اتفقت مع الوالد على كل ما يتعلق
بعقد القران . . وهب أني لم أحضر الآن . . فكان المفروض دفع
ما تريد أن تلزمه به الآن؟ . . أليس كذلك . . إذن ادفع كأنني لم
أحضر وسوف تتحاسب وانقذك ما تريد ويزيد وأراد الأخ أن يخرجه

فقال : إذن تريد زواجاً بالمجان ؟ .. وحفلاً بالدين .. وهنا تدخلت
(رضوى) وقالت انكما تتحدثان كما يتحدث البائع والمشتري ..
البائع يريد ؟ والمشتري لا يملك ثمن البضاعة .. تحت الحساب ..
وأنا البضاعة .. أرفض المشتري ثم تنظر إلى الخطيب في كبرياء
واعتماد قائلة .. لقد انتهى ما بيني وبينك وما أنت جئت على غير
الارتقاب .. انظر ورفعت يدها مردفة .. خاتم الخطبة وشبكته ..
عند صديقك مدحت .. خذهما منه .. وهنا دخل مدحت مسرعا
وقال لقد جئت بعد أن علمت بحضورك هنا ولم أشأ أن أخبرك بأن
الدبلة والشبكة عندي إلا في حضرة الخطيبة السابقة .. أنهما عندي
ريثا تسدد الدين الذي عليك لى . وأشهدكم جميعا أن الآنسة رضوى
أبرأت ذمتها ولم يعد لديها أى شيء وأنا على استعداد للاعتراف
بذلك أمام القضاء إذا تطالب الأمر ... وخرج مسرعا وفي شرود
التخذيول انصرف على أثره الخطيب وهو يناديه ... مدحت .. انتظر
لثقتاهم ... وهنا نبه الاخ على الخادم أن يقلل الباب وراه لكيلا
يدخل مرة ثانية ...

وبعد انتهاء الحفل يستأجر الاخ بالخرج ويخلو بأخته ويسألها
عما لديها من مال إذ يخشى أن يكون حساب الحلوى والمطربة أكثر
عما معه .. فتقده ما معها .. ثم يخلو بأمه ويأخذ ما لديها ثم يخلو
بأبيه ويأخذ ما معه وهو يقول .. الحمد لله ربنا معانا .. وعندما يسأل
عندوب الحلواني عن الحساب المطلوب يقول له لقد دفع في الحل من
قبل مجيء ... وعندما يسأل المطربة تقول له لقد أخذت أجرى

مع الموسيقى كاملاً قبل مجيء .. وينفرد بأخته .. من الذى دفع حساب
الحلوى وأجر المطربة والموسيقى ؟ .. لم أشأ أن أسأل المندوب
والمطربة لكيلا أثير الشك فى موقفنا فقد ظفروا أن من سدد
الحساب قريب لنا .. وعلى أثر انصراف الجميع تقدم الحاج محمد إلى الوالد
مهنئاً بشغفائه وسأله .. أتذكرنى ؟ .. قال : الوالد .. أجل يا أختى
وقاك الله شر المرضى والصدمات .. قال الحاج .. هل لى أن أطلب
من جديد يد كريمك ؟ .. فقال الوالد أرجو أن تعطينى فرصة إذ لا شك
أنها الآن فى حالة نفسية لا تسمح لها بالتفكير من جديد فى مستقبلها
وأعدك أن أنبى طلبك إذا وافقت هى طبعاً .. وبعد انصرافه اختلى
الوالد بابنته وبأدائها قائلاً .. عليك غير آبهة مما حدث من الخطيب
الملعون .. فأجابت : صدقنى يا أبى لم أشعر قط بألم لفقده لقد كنت
أشعر فى قرارة نفسى بعدم انسجام عواطفنا ولاكننى كنت آمل ترضية
لك أن أوفى لى تحويله من رجل عايب إلى رجل ناضج الفكر قوى
الإيمان فقال : هل رأيت الحاج محمد .. لقد طلبك وأعتقد أنه رجل
وجيه شريف نبيل ثرى فرضت بدعوى أن حالتها النفسية لا تسمح لها
بالارتباط ما لم تتأكد من حب من يتقدم إليها والتأكد من نبلى خلقه وعمق
تفكيره وسلامة طويته ولا يعينى ثراءه المادى بقدر ما يعينى إيمانه
القرى .. لقد فتحت هذه التجربة بصيرتى على آفاق أتاح لى رؤيا
ما وراء صدور الرجال إلى حد يسمح لى الاطمئنان إلى مصيرى المحتوم .
يجب أن أخبره بعيدة عن مغريات المسادة ومظاهر الحياة إذ يتحتم
أن اعتمد على الجورم لا المظاهر فى انتقاء شريك جيانى .. فقال الوالد ..

على كل حال .. ان أرفضه وسوف أماطله ريثما يهيء الله لك فرصة
للتأكد من حقيقته والله كفيل بتحقيق أمالك وإسعادك وشاركه الرأي
شقيقها حيث كان متمتعاً بصلاحيه الحاج للزواج من أخته واتفقا على أن
يحاول الأخ تقرب الحاج من الأخت بالطريقة التي ترضاها وكان
الحاج محمد علي مرعد مع الأخ بعد معرفة رأى أخته النهائي وسبب
رفضها الزواج منه فلما قابله صارحاً بوجهة نظر أخته وطلب منه أن
يصبر وهو على يقين من أن أخته سوف تستعيد حالها الطبيعية بعد أن
تدنى التجربة التي مرت بها بالعمل فوافق الحاج وأخبره أنه مضطر
إلى السفر خارج الجمهورية لبعض أعماله وعند عودته سوف يتصل به .
وبعد أسبوع قرأ شقيقها إعلاناً فخراه أن شركة تصدير واستيراد في
حاجة إلى سكرتيرة وارتاح لهذا العمل فنصح رضوى أن تتقدم إلى
هذه الوظيفة فهي أفضل من عملها الحالي الذي ارتضته مؤقتاً .. وتوافق
دون تردد وتذهب لمقابلة المدير مع لنيف من المتقدمات وتسفر
نتيجة الاختبار بفوزها ولشد ما يسرها هذا العمل مبدية إعجابها
بأخلاق المدير لأسرتها ..

ويصعب على رضوى أن تظل نشوى بدون عمل وخصوصاً بعد
رسوبها في اختبار الشركة فترجو المدير أن يسند إليها أى عمل وهي
جديرة وعلى مسئوليتها فيوافق مرضاة لها .. وبعد مقابلة نشوى
للمدير تخلو إلى رضوى وتصارحها بأن المدير يشبه إلى حد كبير الجمال
بسام ومن شابهه من الرجال الذين تعاملوا معهم في الرحلة فتسفه

(رضوى) هذا الخاطر مؤكدة استحالة أن يكون المدير هو الجمل
للفرق الشامع بينهما في جميع الأحوال .. فالمدير رجل مجتمع يجيد
معاملة الناس على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم ويجيد أكثر من لغة
أجنبية وما يملكه من ثروة طائلة افتتح بها هذه المؤسسة دون
شريك له كما أنه اتخذ من عدالة الدين الإسلامى شريعة فجعل جميع
العاملين فى المؤسسة شركاء له .. هم بجهدهم وهو بماله ولهم من الربح كما
له .. وبعد متى بعض شهور توطدت علاقة رضوى بالمدير بتأثير
عطفه وحنانه وسمو خاتمه وعدم محاولته مغازلتها كما يحدث كثيرا بين
مديرى بعض الشركات ومع السكرتيرة إذا كانت ذات أوثرة وجمال ..
ولم يلبث أن يغريها بلباقة وأدب على أن تفتح له صدرها وتسرد عليه
قصتها ووجدت نفسها مسوقة دون وعى إلى الاعتراف بما تعانیه
أسرتها بعد أن أصبح دخل الأسرة أقل بكثير من قبل لأن إيراد
الوالد ضئيلا بالنسبة إلى إيرادهم يوم كان تاجرا كبيرا مرموقا وهو
حزين لا يضطرارها إلى العمل وقد كان يأنف من قبل عمل الفتاة مادامت
من أسرة تكفل لها حياة طيبة وتوفر لها كل ما تشتهيه من كليات
وغروريات .. وتغمر عينيها الدموع وهى تردف .. لأنه يغالب
أساه كلما رأى أثناء خروجه فى الصباح إلى العمل أو عودتي منه ..
وكثيرا ما سمعته يتحدث إلى والدتي بلهجة الحزن والأسى لا يضطرارى
إلى العمل وعجزه عن حرمانى منه ..

وهنا يترفق بها ويقول .. الله كفيل بأن يهيء له عملا يدر عليه

ونجى يكفل للأسرة الحياة التي يتمناها الوالد الكريم الشريف ويطلب
منها أن تترك الأمر لله .. وقبل عيد ميلادها نبهها شقيقها أنه وفر
مبلغاً من المال للاحتفال به وطلب منها أن تدعو نشوى لتشراكها هذا
الحفل فاعترضت بدعوى أن المنزل والأثاث وخانها النطق فدمعت
عينها وفهمت الأم مرماها وقالت : ما دام المدير يقدرك فاطمى قرضا
منه لتشترى صالونا جديداً بالتقسيط ولك عـلى أن أوفر القسط
الشهرى من مصروف البيت وحمد الله لأن والدك لا يدخن وكذلك
شقيقك ورث منه الاستقامة والتمسك بالدين وعلق الاخ .. لأنها
فكرة سليمة واعتقد أن المدير لن يرفض طلبك مهما كانت قيمة
القرض فقالت فى إياه .. مستحيل لكى لا ينسر اهتمامه بى باستغلاله
ماديا .. وهنا جاءتها نشوى إذ كان يوم عطلة المؤسسة .. وأراد
الاخ أن يستعين بها لإقناع أخته فقال .. نشوى أنت أدرى الناس بما
كننا عليه وما صرنا إليه .. بعد أيام عيد ميلاد رضوى وقد اعتزمت
أن أقيم الحفل على حسابى واسكنها تأبى بدعوى .. وهنا تكلمت الأم
وشرحت وجهة نظر ابنتها كما أبدتها واقتراحها الذى ذكرته ..
وعقبت (نشوى) يتحتم تنفيذ ذلك يا رضوى .. والمدير يوليكم
اهتماماً خاصاً ويشهد بذلك جميع العاملين بالشركة على أنهم لم يسيئوا
الظن به أو بك .. لما يمتاز به من خلق سليم ودين أصيل وما يمتازين
به من عفة وكرامة صحيح اهتمامه البالغ بك قد يجلب الحق عليك ..
ولكن معاماتك لم تسمح للحقد أن يتسرب إلى نفوس العاملين ..

ولو كانت سكرتيرة غيرك ممن نسمع عنهم ... يحرص المدير على ألا يرهقها بالعمل أو يلزمها بتأدية عمل إضافي وخصص لها أكثر من مساعد ليقوم بالأعمال التي تتطلب جهداً ووقتاً إضافياً مع أن ذلك من اختصاصها لبعث الشك والريبة في نفوس العاملين واهتموها بأنها على علاقة غير شريفة معه . . وإن كان البعض يميل بفطرته إلى سوء الظن فلم تظهر نفوسهم من التأثير بالمظهر دون إدراك الجوهر لذا لم يخل الجو من الههسات والغمزات وإن كنت أحاول ما استطعت أن أurd عنك ما يحوم حولك من اتهامات . . وقاطعتها رضوى . . في هدوء من أجل ذلك لا أريد أن افترض ولا أريد أن أدعوه لحضور حفل ميلادى كما يريد أخى . . وبأن الأسى يكسو وجهها بغلالة الندم على اضطرارها للعمل فى وسط يجمع بين المقيضين . . الشرف والطمع بمثلان فى المدير والحقده وسوء الظن الذى يسيطر على نفوس أغلب العاملين . . وحن موعد الصلاة فاستأذنت رضوى لتؤديه . . ولحقت بها أمها وخلا الأخ بنشوى يتحدثان بما يكشف عن حبهما وأملهما المرتقب . . .

وفى اليوم التالى كلفها المدير بحضور حفل جمعية رعاية الطفولة لتمثيل الشركة واسكنها اعتذرت ورشحت غيرها ولم تشأ أن تصارحه بما يقال عنهما حرصاً على كرامته ومنعاً من إيذاء الحاقدين تاركة لله وحده عقابهم ولم يأخذ بعذرهما وطلب منها أن تستريح فى بيتها يومين للاستجمام والراحة لكي تحضر الحفل لأنه لا يشق فى غيرها لقضاء

هذه المهمة وسلمها رسالة مغلفة لتسلمها إلى رئيسة الجمعية دون أن تشير
إلى اسم مدير المؤسسة وخضعت مضطرة لمشيتته وبعد انتهاء الحفل
أعلنت الرئيسة أسماء المتبرعين ثم خصت بالشكر والتبجيل فاعل خير
أبي أن يذكر اسمه وهي تأسف على ذلك مؤكدة إنه لم يعرف الإحسان في
تاريخه منذ تبارى المحسنون في هذا الميدان محسناً مثله فقد تبرع
بمشرين ألف من الجنيهاً على شريطة أن يقام بهذا المبلغ داراً لرعاية
أطفال العراة المدفونة في البلينا لتأهيل اليتامى والمشردين وأبناء الفقراء
على أنه سوف يتبرع كل عام لهذه الدار بمبلغ يكفل لها النمو وتأدية
مهمتها على الوجه الأكمل وطالبت الرئيسة بعد أن شكرت من تبرعوا
أن يحتذوا حذوه كل على قدر طاقته واستغلال الفائض عن حاجتهم
لإسعاد غيرهم مشيرة إلى آيات التمسك بالكرامات التي تؤكد أن ثروة
الروح وراحة الضمير وغنى النفس خير وأبقى ..

وعادت رضوى إلى بيتها . أخوذة بما حوته المفاجأة ولما اختلت
بنشري وأسرت إليها بما حدث وصارحتها بما يطوف بخاطرهما بما
طوته هذه المفاجأة .. لماذا خصص التبرع لأطفال العراة المدفونة ..
فسألتها نشوى . . هل ذكرت له في أحاديثك يوماً ما ما مر بنا في
الرحلة وخصوصاً ما حدث في العراة المدفونة . . لأن ذكرياتها لا
تنسى ودائماً تكون موضع حديثي مع من ألقاهم .

وهنا تذكرت رضوى وقالت . . آه تذكرت . . فعلا حدثته عما

مررتنا من عجائب هذه الرحلة مؤكدة له أنها اسطورة كما أسميتها . .
 وقد فسرناها هو بأنه من المحتمل أن تكون حقائق لا يعلمها إلا الله
 الذى لا يعلم الغيب سواه وعند ما عادت رضوى إلى المنزل وجدت
 صالونا جديداً فدهشت للمفاجأة وأخبرها شقيقها بأن نشوى أفرضته
 مبالغاً ليشتره بالقسى على أن يسدد لها الدين بعد الانتهاء من تسديد
 الصالون وقبـل ميعاد ميلادها بيوم طلبت من المدير أجازة وإزاء
 إلحاحه بضرورة معرفة السبب أخبرته بأن أسرتها صممت على الاحتفال
 بميلادها رغم اعتراضها فوافق وأبلغها أنه من حسن حظها أن اليوم
 توزيع أرباح المؤسسة وتناسبة عيد ميلادها بتقديم إليها هدية كان
 اعتزم أن يقدمها للموظف المثالى فى الشركة وهى شقة فى عمارته الحديثة
 إذ أنه تعود أن يمنح كل عام شقة مفروشة فى العمارات التى يبنونها فى خلال
 العام من أرباح أعماله التجارية فى الخارج وداخل الجمهورية . . ولما
 كانت هى الموظفة المثالية لهذا العام فهى تستحق المكافأة على أنه
 اشترط ألا يعلن ذلك لباقي الموظفين والموظفات فى المؤسسة شأنه فى
 كل عام وتخرس المفاجأة لسانها وتفر الدموع من عينيها من فرط
 ما تنبه فى أعماقها من أحاسيس غمرتها ولا تدرك مبعثها ويدرك ما يحول
 برأسها فيطلب منها أن تلتزم الصمت وإن تسعد بعيد ميلادها الذى
 يرجو أن يكون فاتحة لا يامها الخوالد . . وتعود رضوى إلى منزلها
 مبكرة على غير عادتها وتحتضن أمها وهى من الفرح توشك أن تطير
 وكلما همت بمصارحتها يحول بينها وبين الكلام نداء أبيها لأمها

وحضور بعض الزائرات . . وقبيل العصر وقبل أن تنفض رضوى
لوالديها بما جرى بينها وبين المدير يطرق رجل لم يسبق لرضوى
رؤيته وسلمها مفتاح الشقة الجديدة مع عربة فاخرة لتحمل الأسرة
إلى المسكن الجديد . . ومع المفتاح رسالة يقول فيها المدير . . أترك
أثاث المسكن لأسرة فقيرة في حاجة إليه . . فالشقة مجهزة بأحدث
أثاث مع الكماليات والضروريات ولا ينقصها غير أفراد الأسرة
الكريمة . . حفظكم الله جميعاً والحمد لله الذي يحمل إليكم المفتاح
سيقوم على خدمتكم . . ومرتبه سيخضع من علاوة مرتبك الجديد . .
واستقبالات الأم والأخ هذا النبأ بفرح شديد عدا الوالد الذي امتنع
وأظهر استياءه وفسر هذا التصرف تفسيراً سيئاً وطلب منها أن ترفض
هذا العرض لأن شرفها لا يقدر بمال متهمها المدير بالنذالة مؤكداً لها
أنه يريد أن يطوق أعناقهم بحبل من ذهب لتسكون رضوى تحت
تصرفه وتحاول الأم أن تدافع عن المدير بتأثير ما سمعته من ابنتها وفي
صراحة تحاول رضوى إقناعه بحسن نية المدير ونبل مقصده معددة
مآثره العظيمة وما يقدمه للعاملين في كل مناسبة منقذاً كل عامل يقع في
مأزق دون أن يعرفه لمجرد سماع الخبر مني إذا علمت من صاحبه . .
وإزاء إصرار والدها تمارض ريثما تحسم الأمر مع والدها على أمل
أن يعود إلى تفكيره الهائب بتأثير انزعاج ولده ووالدتها وأرسلت
إلى المدير رسالة تطلب أجازة مرضية معذرة عن الانتقال إلى المسكن
الجديد ريثما تتعافى واعتسكنت في غرفتها حبيسة آلامها وأوهامها ولا
تدرى ما الله صانع بها حزينة هنياع هذه الفرصة الذهبية التي أساء

والدها تفهمها وصعب عليها أن تواجه المدير وتخفى عنه موقفها وما فيه
من شك والدها ووريثته وهو برى كريم نبيل جدير بالتقدير والتقدير
ويلزم المدير الصمت فلا يجيب على رسالتها واكتفى بإرسال طبيب
المؤسسة للاشراف على علاجها وذلك من حقها .

وهل شهر رمضان وأعلنت الصحف أن مؤسسة التصدير
والاستيراد العربية تستضيف كل يوم عددا وفيرا من المواطنين لتناول
الافطار على مائدتها وعند ما يطالع شقيق رضوى الخبر ينتقله إلى والده
ليثبت له أنه ظلم المدير وأساء إليه باتهامه الشنيع ولا شك أن الله
سيأخذه بذنبه . . ويؤكد الوالد أن الخبر دعاية للمؤسسة فيطلب منه
ابنه أن يذهب ليتأكد بنفسه كأنه من الجمهور وعند ما يذهب الوالد في
أول يوم من رمضان يذهل عندما رأى أشهى الاطعمة الذى يتمناها الصائم
في رمضان وعندما يسأل عن المدير عليه يعرف سر هذه الولا ثم فلا يسمع
غير الدعاء له والتعظيم لشأنه وأضاف بعضهم أنه لم يسمع له مال
وموظفى المؤسسة يتناول الإفطار مع الجمهور إذ منح كل عامل
وموظف مبلغاً يكفى لإفطاره مع أسرته في بيته طوال شهر رمضان . .
ويجلس المدير مع مدعويه يسامر كل فرد ليسأله عن حاله وحاجته على
مسمع ومرأى من والد رضوى ولما يحى دوره يمد نفسه يفتح صدره
ويخبره بمصيره الحالى بعد الرخاء والعز والرفاهية وهنا يدعو للعمل
في مؤسسته ما دام من ذرى الخبرة الطويلة في شئون التجارة ويجد
الوالد نفسه متأثراً بإنسانيته فيقبل دون تردد العمل عنده شاكر له

أفضله ويطلب منه المدير أن يعمل في اليوم التالي مباشرة وسرف يعتمد
تعيينه مباشرة عند ما يقدم طلبه . . . وسأله قبل أن يتركه . . . كم كان
ربحك فيما مضى قبل أن تخسر بضاعتك فيقول الرجل يتراوح الربح
بين مائتين إلى خمسمائة أحياناً إذا كانت البضاعة رائجة وقليلة في السوق
فأصطنع المدير بسمته قائلاً . . . خمسمائة جنيه في الشهر أكنت تتاجر في
السوق السوداء فكفر وجه الوالد وقال . . . معاذ الله . . . فعقب
المدير أخشى أن يكون ذلك وأن يكون الله أخذ ما أخذته من غيرك
دون حق . . . المهم سأجعل مرتبك مائة جنيه فقط . . . ولك أن تعمل
أى عمل حر بعد الظهر إذا شئت . . . فوافق الوالد داعياً الله أن يجزيه
عنه خير جزاء .

وبعد عودته إلى المنزل نقل إلى زوجته وولده وابنته ما حدث
مؤكداً كرم ونبل وشهامة هذا المدير بدليل أنه أسند إليه العمل دون
أن يلدى أنه والد رضوى ولم يسأله عن اسمه بل تأثر لحاله من مجرد
سماع قصته وتنتهز ابنته الفرصة وتقول . . . حمداً لله الذى برأه من سوء
ظنك فقال الوالد . . . لقد آمنت بحسن نيته وكرمه وعمل الخير في سبيل
الله . . . وفي اليوم التالى ذهب وقدم طلبه لرضوى : كانت تؤدى عمل
رضوى بالنيابة لمرضها وعند ما قدمت نشرى الطلب إلى المدير وطالع
اسمه قال لها . . . إن لاسمه يماثل اسم والد رضوى فأجابت في تحفظ دون
أن تشير إلى الحقيقة . . . أجل . . . فيعتمد الطلب قائلاً دعيه يتسلم العمل
فوراً . . . وعندما تعود إلى الوالد يسألها . . . هل علم المدير بأننى والد

رضوى فنقول . . . ظن مجرد تشابه الاسماء . . . فارتاح الوالد
ومس حسناً . . .

وذكرته الام بالمسكن الجديد . . . فأبدى استعداده للنقل إلى الشقة
الجديدة إذا كانت صحة رضوى تسمح بمغادرة الفراش . . . فتبدى
رضوى ضرورة العودة إلى العمل أولاً لتشعر المدير بأنها تعافت وبعد
أن تعود إلى عملها يهنئها المدير بشغائها ويذكرها بضرورة الانتقال
للمسكن الجديد . . . ثم يقول لها في مجرى الحديث . . . لقد التحق
بالشركة موظف اسمه يماثل اسم والدك تماماً فتبتسم في هدوء قائلة . . .
لأنه أبى . . . وقد حننر مأدبة الإفطار ليتشرف برؤياك . . . إذ كان في
شك فيما تبذله من توضيحات هائلة في هذا الزمن الذي يعبد فيه
الأثرياء القرش واتخذوا المادة من دون الله معبوداً . . . وخصوصاً
من كان في مركز فيشير إليها بالصمت علامة أنه فهم كل شيء . . .
واسعدى والدها على أثر انصرافها وسأله لماذا لم تخبرنى أنك والد
رضوى . . . لو أخبرتنى لجمعت مرتبك خمسون جنيهًا فقط ما دامت
ابنتك تتقاضى هذا المرتب . . . فتجههم وجه الوالد وقال بصوت خفيض
. . . آسف . . . لتسكن مشيئتك فعاد المدير يقول . . . لا يمكننى الآن
تخفيض مرتبك طبعاً فلتسكن مشيئة الله . . . ثم يأمره بالجلوس وسأله
لماذا أرى ابنتك دائماً مهمومة هل في المنزل ما يؤلمها مع أن العمل
هنا بالنسبة إليها مريح للغاية قال الوالد . . . عندها أزمة نفسية تعاودها
من حين إلى حين بسبب ما أصابها من خطيب نذل وقد دفعها سوء

ظنهما بالرجال جميعاً إلى رفض طبيب تقدم لخطبتها وتاجر عربي ثري
ولشد ما أدمت على رفضهما لكن لها المذنب بسبب خطيبها فقاطعه
المدير وهل يمكن أن تقبل أحدهما الآن بعد فشل الخطبة الأولى فقال
الوالد .. لقد ذهب الطبيب لغير رجعة بعد أن تأكد من عقد قرانها
فوراً .. أما التاجر العربي فهو على موعد مع شقيقها ولكنه لم يحضر
حتى الآن ولعله يتأس بدوره فقال المدير لا شك أنه ممن يتعاملون مع
المؤسسة فإذا عرفت اسمه آخذ على عاتقي التوسط المهم توافق هي أولاً
وإن كنت أخشى أن تكون متعلقة بالخطيب وهذا مبعث أزمته النفسية
التي تعاودها من حين إلى حين فيؤكد له الوالد أنها تكرهه وتحتقره
لأنها في الواقع ارتضت به من قبل ترضية لي .. ونزولا على رغبتى إذا
عودتها الخضرع لمشيئتي وعندما يسأل الوالد ابنته عن رأيها في التاجر العربي
إذا تقدم لخطبتها؟ ترفض في إصرار لأنها لا تستطيع أن تتزوج إلا بمن
تفهم معه فكراً وعاطفياً وهما تطلب الأم من الوالد أن يترث ريثما تهدأ
حالتها النفسية وتحكم عقلها وتمر الأيام والمدير يسأل الوالد عن رأى
ابنته فينتحل كل يوم عذراً جديداً ثم يضطر أخيراً أن يصارحه بأن
ابنته مضربة عن الزواج بسبب ما حدث ويعرف منه في سياق الحديث
اعتزام ولده خطبة نشوى الموظفة عنده وبعد أن يعرف ميعاد يوم
الخطبة وعنوان منزل نشوى يخبره أنه سيذهب بنفسه ليقدم إلى
نشوى هدية المؤسسة بمناسبة هذه الخطبة راجياً منه ألا يخبر أحداً
بذلك .. ليكون الحفل طبيعياً لا تكليف فيه ولا مغالاة

ويهمهم شقيق رضوى أن يقيم حفل الخطبة في منزله لأن نشرى
يتيمة وزوجة والدها لن تؤدي الواجب كما يجب واستجابت نشرى
في التو عندما عرض عليها شقيق رضوى (راضى) أن يكون حفل
الخطبة بمنزل أسرته لكي يوفر عليها متاعب هذه المناسبة علاوة على
التكاليف المادية التي سيتحملها وحده لكيلا يرهق والدها .. واضطر
الوالد أن يخبر المدير بما حدث وعليه سيحضر إلى الشقة التي تبرعت
بها المؤسسة لرضوى . . وتفاجأ أسرة الخطيب (راضى) ونشوى
بمقدم المدير الذي لا يعلم بمقدمه غير والد رضوى ويقدم هدية سواراً
من الذهب الخلى بالماس الحر مع خاتمين تميزين للخطيبين . . وأثناء
الحفل يرغب المدير في الجلوس بعيداً عن الضيوف فافسح له الوالد
مكاناً في الشرفة ونبه رضوى إلى الترحيب به والجلوس معه تكريماً له
فلما تجلس معه يدور الحديث حول الزواج فيسألها رأيها في الرجل
الذى يسعدها أن تتزوجه فتؤكد له أنها لن ترتبط برجل قبل أن تحبه
فلما يسألها عن مقياس هذا الحب تخبره في صراحة بأنها تحبه بعيداً
عن مغريات الحياة وظواهر المادة وليكن غنياً أو فقيراً المهم صاحب
روح شفيف وقلب كبير وضمير حى ورجولة كاملة ناضجة
ثم تنفس الصعداء مغمضة . . آه ليت المجتمع يحطم أصنام المظاهر التي
يعتقها الناس كأنها دين الأديان . . فالفتاة تؤثر الشاب الذى يملك
عربة وفيلا مثلاً مهما كان عل خلق لا يشرف مجتمعه ولا يعمل بتعاليم
دينه وترفض شاب يدين بالمثل العليا ويعمل وفق تعاليم الأديان
السماوية راض عن دنياه زاهد فى كل ما لا ينتمى إلى الفضيلة بصله ..

المهم يكون إنسانا بما تحمله الإنسانية من مثل وقيم . . . أتعرف لماذا
 بادلت نهرى أخى الحب وارتضت به زوجاً لأنه يماثل بأخلاقه
 وميوله . . . مجموعة من الرجال فى رجل واحد . . . جمال . . . صياد ملاح
 مرشد سائح . . . فيضحك المدير مقاطماً . . . ما معنى هذا ، . . . قالت ، . .
 هؤلاء جميعاً ملوكاً شعورها وشغلوا تفكيرها ولم يحل محلهم غير
 أخى . . . فعاد يسأل وما السبب قالت : كانوا جميعاً على خلق كريم
 ونبل أصيل وكرم وفير . . . ولكن (راضى) فقالت ليس ثرياً
 بالمعنى المفهوم بالشراء . . . ولكن بنزاهته وتمسكه بدينه يمكنه أن
 يكون أثرى الأثرياء . . . قال : وأنت ألم يعجبك هذا اللون من
 الرجال فتهدت وارتدفت . . . لو كنت حرة مثلها لتأثرت بهم . . . لكن
 كان إيماني يؤمن أن مجرد النظر لغير خطيبي خطيئة لا تغتفر وأنه
 يجب أن اشغل نفسى عنهم رغم محاوراتهم جميعاً الاهتمام بى . . . بالتأمل
 فى الطبيعة ودراسة ما حولى مما دفعنى إلى الوقوع فى أيدي البشاريين
 ولولا المرشد لكنت اليوم من الهالكين من يدري . . . كم كان هذا
 الرجل شهماً . . . آه لو لم أكن مخطوبة لارتضيت به زوجاً لو تقدم لى
 يومئذ فقطاطمها . . . ولكنه مرشد لا يملك غير قوت يومه . . . قالت . .
 وليكن . . . لقد أحبنى يقيناً كانت نظراته تشير إلى حبه دون أن يتكلم
 وكنت أهرب من نفوذ هذا الحب إلى قلبى اسكيلاً أخون خطيبي . . .
 لقد كان إنساناً بما تحمله الإنسانية من مثل وقيم . . . لو تزوجنا لحطمتنا
 بالحب صنم المادة البغيض وبالتفاهم استطعنا أن نجتاز مرحلة الحياة
 الوعرة . . . فابتسم وهو يقول . . . هى أنه تقدم إليك الآن أتقبله

زوجا ؟ . فتألم للأسف لقد أعاق قلبي . بالإنسان يماثله . . . ولكن
المادة تقف حاجزا بيننا لا يمكن عبوره . . قال : ماذا تعني قالت . .
انه يعيش على قمة ابتهائها من الذئب وأنا أعيش هنا على الارض حيث
تراني . . . ولولا هذا المسكن . . . لكنت كما كنت . . .

فابتسم وقال . . . ألا يصح أن يحبك والحب لا يقيم وزنا
للفوارق وهو قمة القيم . . . ولزم الجدم مرثفا . . يقولون أن المرأة
تستشعر بالحب قبل أن يتجسد أمامها انسانا منظورا فهل قلبك
مغلق إلى حد لم يستشعر بحب إنسان قد يكون له في وجودك أثر ؟
فتنهدت وقالت وهبني أحسست به . ذا الحب خيائي كائن ينعني من
مصارحته . . قال . . إذن قلبك يخفق الآن بحب يملأ فراغه . . وقبل
أن تتكلم ناداها شقيقها فأسرعت إليه . . بينما دخل والدها ليدعوه
إلى افتتاح (المائدة) . . . ونجاة مرض المدير ولزم قعره .

ويتردد العمال عليه للاطمئنان على صحته إذ فتح بابا للجميع
لا فرق بين كبير وصغير وغنى وفقير وكان عرف بين الجميع باسم
الملاك . . بعد أن أجمعوا على أن أغلب الأغنياء والعظماء لا يحملون
بين جوارحهم قلوبا ترتفع بهم إلى مصاف الملائكة مثله وكان في مقدمة
الترددين عليه والد رضوى وشقيقها (راضى) وقد قام والد رضوى
على خدمته ليل نهار . . وعندما عرض الطبيب على المدير ضرورة
تكليف ممرضة تقوم على تمريضه مادام غير متزوج رفض بدعوى أنه
لم يتعرد أن يقوم بتمريضه أنثى لا يربط بينهما رباط القرى أو الشرع

لإذ يخشى نذيجة ذلك من أقاويل باطلة تجد في سوق الأباطيل رواجاً
واعترض والد رضوى على رأيه هذا وقال ذلك مألوف في مصر وإزاء
إصرار المدير يعرض عليه الوالد تكليف ابنته بهذه المهمة وقد درست
فن التمريض أثناء حرب أكتوبر عندما تطوعت في الهلال فيعتذر المدير
بدعوى أنه يشعر بتحسن صحته وقد لا يحتاج إلى مرضة . . . والامر
موكول للطبيب على كل حال وعندما يعود الطبيب يخلو إليه والد
رضوى قبل أن يدخل عليه ويلفت نظر الطبيب إلى أن سوء الظن
بالممرضة إهانة للطب والتمريض ولذلك يتحتم على الطبيب أن يدافع
ويثبت له شرف مهنة التمريض وحرص الممرضة على هذا الشرف
ويتحتمس الطبيب للدفاع عن الممرضة ويحتم عليه أحد أمرين إما أن
يسمح للممرضة أن تقوم بتمريضه أو يتزوج بمن تقوم بهذه المهمة وإلا
تضاعف مرضه إذ لا يمكن الاعتماد على الخدم في هذه الحالة . ولم يكن
الطبيب ينصرف تاركاً له حرية التصرف دون إبطاء مراعاة لصحته
وتمشياً مع نظم علاجه فيضطر المريض أن يسأل والد رضوى رأيه
تاركاً له حرية التصرف كأنه والده البكر أو شقيقه الصغير وهنا
يقع الوالد في حيرة أيضاً ويتركه على أمل أن يتصرف بما يليق
بكرامته ومكانته وبعد أن يعود إلى بيته يخلو بزوجته ويخبرها بما
حدث وترى الزوجة أن هذه فرصة العمر لابنتها والأسرة ولذا يجب
أن يهادرح ابنتها ولا تحسب إلا أنها ستوافق لأنها معجبة به إعجاباً
شديداً وتسرع الأم عندما يستريح الوالد في غرفته وتخلو بابنتها لتنقل
إليها الحديث الذي جرى بينها وبين الوالد ولزمت رضوى الصمت

وقسرت الأم السمكوت بالموافقة وكان لا بد أن يقنع الوالد ابنته
بضرورة الموافقة لترد له بعض الجليل الذي أسداه إليهم واستحت
رضوى أن تقول ما ينم عن صدق مشاعرها نحو المدير وارتياحها لهذا
العرض فأشارت إلى موافقتها مرضاة لوالدها . . ولما عاد الوالد إلى
المدير لم يشأ أن يبادر بموافقة ابنته وأراد أن يشعره بأنه فكر في
عرض الطبيب المتعلق بحياته الخاصة بجانب صحته أولا فقال له . . إن
كانت لك زوجة في بلدك يا ولدي يتحتم استدعاءها فهي أقرب الناس
وأصالح لتأدية مهمة تريضك . . فنفى المدير ذلك قائلا . . ان أتزوج
مطلقا ولو تزوجت لرافقتني في جميع تنقلاتي إذ يتحتم أن تكون
زوجتي على قدر من الثقافة يمكنها أن تقف بجانبى وتعيننى على تأدية
واجبى فى أى مكان وتجمع بين القوى والجمال والثقافة . . فقاطعه
الوالد . . وفقك الله لهذه الزوجة يا سيدى . . ولكن اسمح لى أن
أسألك كيف يصعب عليك التوفيق فى اختيار زوجة ترضيك وأنت
من تمنى أى أسرة عظيمة حتى ولو كانت أسرة ملكية . . أن تصاهر
لقد طفت بلاد العالم كما فهمت من سياق حديثك يا سيدى ألم تعجبك
فتاة تصلح لك زوجة ؟ فسرح المدير كأنه يستدفى طيفا إلى خياله
وغمغم مخاطباً نفسه . . لقد أعجبتنى فتاة . . رأيتها هناك . . وكان
صدمة هزت كيان الوالد ولكنه تمالك نفسه وقال : متكلفا الهدوء .
وما يمنعك يا سيدى من الزواج منها . . فقال المدير كل شىء نصيب . .
الامر بيد الله . . فارتاح الوالد لعدم تنفيذ هذه الخطبة ورأى شبه أمل
يطل مشرقا فى سماء أمنيته التى يتمناها . . . وعاد الوالد يسأل ليطمئن

نفسه . . وهل تراها كما تتمنى ؟ فقال : إنها فكرة في ذهني ، وخفقة في قلبي وومضة في روعي وهي لا تدري وقد تكون تدري . . لا أدري وأختل تفكير الوالد وخيل إليه أنه فقد أمه من جديد وتنبأ ليسأله أتراها في بلد آخر أم في القاهرة ؟ ولكن المدير أسرع قائلاً . . أظن الفترة التي مرت على تعارفنا كافية بأن تكون رأيك الصريح عني إذا أخذ رأيك ؟ فانتبه الوالد واستعاد يقينه وقال مسرعاً . . طبعاً أعرف . . أعرف فتاة تصلح خادمة لك فقاطعه المدير محتداً أي لفظ هذا يارجل ؟ أظننتني من أبناء الجاهلية الأولى إلى أريد زوجة شريكة لحياتي في السراء والضراء تؤنس وحدتي وتبدد وحشتي وتلا فراع وجودي أريها شطراً مقمماً لسكياتي وضوءاً تستنير به روعي . . وهنا دخل الطبيب وتلفت حوله ليرى الممرضة فلما لم يرها قال له بلمحة المحذر من خطورة مرضه : أين الممرضة ؟ فأجاب الوالد ستأتي حالاً إنها في الطريق . . فنظر إليه المدير نظرة تأنيب لهذا الادعاء الكاذب وبعد أن خصه الطبيب أكد عليه ضرورة الزواج أو إحضار ممرضة وخرج وعلى أثر انصرافه يلومه المدير فيقول الوالد . . الحق ما قلت يا سيدي إن ابنتي ستقوم بهذه المهمة فقال المدير . . أظنك أرغمتها فقبلت . . مضطرة ؟ كما اضطرت لقبول الخطيب ؟ . . فقال الوالد . . بل رغبتي ووافقت دون اعتراض سعيدة بتأدية هذه المهمة من أجل صحتك يا سيدي . . . وأقسم لك ؟ . .

فابتسم المدير تاركاً فراشه وهو يخاطب الوالد . . إذن اذهب إليها قبل أن تحضر وسلمها أترضى بي زوجاً ؟ . . أما أنا فقد فضلتها على

لساء العالمين . . . لتسكن زوجتي للأبد . . . ولم يدر الوالد كيف
قطع الطريق إلى بيته ولم يكده يصله حتى أسرع إلى ابنته يقبلها
ويعانقها وقبل أن يتكلم راحت الأم تفسر تصرفه بأن المدير أنعم
بزيادة مرتبه لقاء خدمته له والبنات تظن أنه أسند إليه عملاً آخر
يستحق مرتبه أعلى وأكثر والوالد يقف بينهم كالمنسحور تحتلط كلمات
السرور والفرح والأمل المنشود وتذوب الالفاظ بين شفقيه كلامهم
بتبليغ رضوى هذا الخبر السعيد . . . وأخيراً ارتقى على المقعد وهو
يخطبها . . . رضوى . . . لقد خطبك المدير . . . وتزغرد الأم وتنهال
الدموع من عيني رضوى ويشعل البيت ابتهاجاً لم يكن في الحسبان .

وتم الزفاف على صورة تخالف ما تعارف عليه المجتمع فقد أقيمت
الولائم للفقراء ووزعت الهدقات من الملابس والحلوى والأطعمة على
المحتاجين والمحرومين من الكبار والصغار واقتصر حفل الموسيقى على
أفراد الأسرة والمقربين من الأهل والمعارف دون أن يتعاطوا الخمر
بجانب الحفل الذي أقامه عمال المؤسسة على طريقةهم الشعبية تعبيراً عن
مشاعرهم وولائهم للعروسين .

وتنقل رضوى إلى قصر ابتاعه زوجها لها ليقع فيها فيه متنازلاً في
الشهر العقاري عن المؤسسة لتكون ملكاً خاصاً لوالدها وشقيقها
بدعوى أنه سوف يرأس شركة أخرى لتشغيل العاطلين من الشعبان
الموهوبين . . . خريجي الجامعة .

ومر العام وقد أسس في خلالها شركة تجمع بين الحرف والصناعات

والإدارة والتجارة . . والأسرة كلها تنهل من نبع سعادة لم تمر بخيال
كائن مهما ارتقى خياله إلى أسنى الآمال وأروعها ورضوى تحظى بحب
وهناء لم يعرفهما تاريخ الزوجات والمعشوقات .

وفجأة يعود زوجها من الخارج مكروبا مهموما وبعد أن يهدأ مليا
ويستقر دجأشه تحت تأثير حنانها ومناغاتها . . تلح عليه لتعرف ما أصابه
لذ روعها حاله المكروب الذى لم تعده منذ النقيض قبل الزواج وبعد
وأخيراً . . قال بصوت الحزون أن شقيقه الكبير الذى يقيم فى إحدى
البلاد العربية . . وهو الذى وكله للتصرف فى أملاكه هناك وجميع
الإيرادات ليرسل إليه كل عام ما يستحقه أبرق إليه شقيقه الصغير بأنه
انتحر وقد تبين أنه انتحر بعد تسلمه برقية منه يطلب فيها مليون جنيه
لتأسيس شركة باسمهما على أن يكونا شريكين فى رأس المال
وكان على يقين بأن لديه ما تبقى من حسابه القديم مع ما يجمعه من
إيراده الجديد علاوة على ما يخصه باعتباره شريكا له فى العقار ولقد
أراد الشقيق الصغير أن يؤدي هذا الواجب نيابة عن الأخ الكبير
بعد انتحاره ولكن ثبت بعد البحث أنه تصرف فى الثروة كلها
وخشية افتضاح أمره أمام أفراد الأسرة وعدم تهاونى معه لإزاء هذا
التصرف المبهين انتحر . . وأطرق مليا مفكرا ثم استطرد . . وموقفي
الآن جد مرعب بعد أن اتفقت مع شركة المقاولات شفها على بناء
المؤسسة وهى فى انتظار المقدم المالى لتنفيذ الانفاق . . كما كان فى نيق
السفر إلى الخارج بعد أن اتصلت بالشركات لمعرفة حاجيات المؤسسة
لشراء اللازم وليس لدى من المال ما يمكننى من تنفيذ ذلك .

وتغالب رضوى هلمعها وتخفى ما ألم بها من فزع وحزن من أجله
وتطلب منه أن يسترد شركته التي تنازل عنها لوالدها فيرفض في إصرار
مؤكد لها أن ذلك يتنافى مع شرفه وكرامته ويصارحها بأنه لا بد أن
أن يسافر إلى بلد عربي ليعمل أى عمل يضمن لهما حياة طيبة تاركا لها
حرية الخيار بين السفر معه أو يطلقها لتعيش مع أسرته سعيدة راضية
لأن يخشى عليها مغبة الفقر والحرمان وهي لم تتعودهما على الصوره
البشعة المرتقبة .. وترفض رضوى مستنكرة هذا الرأى الذى يتنافى مع
كرامة الزوجة وشرف الحبيبه مؤكدة له فى إخلاص وهي تبكى بمواطف
الزوجة الخالصة واضعة جواهرها تحت تصرفه ليستغلها فيما يريد وسوف
تخاطب والدها لكي يعيد إليه المؤسسه فيقسم مهدداً بطلاقها إذا
طالبت والدها بذلك فاذا كان لا بد أن تسافر معه فلتخفى عن أسرته
ما حدث ولتقل أنهما سيدسافران فى رحلة للخارج وكان لا بد أن تخضع
لمشيئته وترضى بتدريها المحتوم وقبل أن يغادرا القاهرة نصحبها بترك
جواهرها وثيابها الثمينة عند والدتها لكيلا يطمع فيهما قطاع الطرق
تاركا التصرف بأثاثه تحت تصرف شقيقها وله الحق فى أن يقيم مع زوجته
نشوى فيه .. ويتشاوران لاختيار البلد الذى يرحلا فيه وبعد أن
يستعرضا بعض البلاد تعرض عليه فكرة الإقامة فى العراة المدفونة
لأن يمكنه أن يعمل مرشداً للآثار وسوف تعينه على ذلك بما تعرفه من
معلومات كما أنها سوف تقوم بصناعة لإنتاج هذه الصحراء مستعينة
بخبيرة الفتيات الماهرات هناك ويوافق على اقتراحها لوجاهته بدل

أن يبحث عن عمل قد لا يهتدى إليه إلا بعد جهد وقد لا يجيد العمل
الذى يوكل إليه . . .

ويتمتعون بالأسرة تقتنع به بدعوى الرياضة والمتعة . . وبعد
أن يستقر بهما المقام في العرابة يقيمون كوخا من الخشب والسعف النخيل
وتدفعه إلى شراء جمل ليحمل جمالا كما تشتري ماعز لتعينهما بلبنهما على
الغذاء بجانب ثمار نخلة دفعا ثمنها أصحابها بقرب كوخهما واستعانت
ببعض الصغار لعمل سلال من السعف وغيرت طبعتهما المصريه بلهجة
بدوية لكي تبدو من أبناء العروبة كما نبهته إلى تغيير طبعته أيضا عندما
هل موسم السياحة حيث أقامت معرضا بجانب الآثار لبيع منتجاتها كما قام
هو بوظيفة مرشد وجمال . . وتصارحه في حديث لهما وهما يتذكران
ما مضى ويتخيلان ما هو آت . . وتذكر له فيما تذكر إعجابها بجمال
كان يدعى باسم وعجيب أنها لم تره مع أنها حاولت أن تتيبنه ضمن
ما يمرون بها من المترددين ويبدو أنه ترك العرابة نهائيا . . فيقول . .
إن أهل البدو يميلون للتنقل من مكان إلى مكان والصحراء شرقا وغربا
تحت تصرفهم . . .

والكي تطمئن على أسرتها كتبت إليهم لتسأل عنهم وتخبرهم بأن
الطبيب نصحها أن تقيم في العرابة المدفونة حتى تنتهي من الوضع حيث
لم يعد أمامها غير أيام معدودات وكافا حضرا إلى العرابة لمشاهدة الآثار
وكلفتهم بإرسال الرد على بريد العرابة المدفونة باسم أنور محمد وادعت
أنه اشترى لها قسرا خاصا لتضع فيه مولودها ونقضى الأيام التي
تسكني لاستعادة بيتها . .

ولم تسكد الأم تعلم من زوجها بأن ابنتها توشك أن تضع مولودها حتى تحتم عليه ضرورة سفرها لتكون بجانبها وإزاء إلحاحها يسمح لها زوجها ناصحاً إياها أن تنتظر شهراً حتى يحين أجازة العمال السنوية إذ كان عودهم المدير السابق أن يستريحوا شهراً كل عام مع احتساب الأجر كاملاً كأنهم يعملون وحيال إلحاحها واستمجالها كلف ولده بالإشراف المطلق على الشركة ورافق زوجته إلى العرابة ، وراحا يسألان عن الوجيه أنور محمد باسمه المعروف منذ كان مديراً فإذا سألته من يوجه إليه السؤال عن عمله . يقول الوالد . . وجيه من الأعيان ويقول الأم وقد يكون اشترى هذه الأرض فهو غني جداً فكان الجواب دائماً . . لا أحد بهذا الإسم وهذه الأرض تماماً كما الدولة فتؤكد الأم . . بوجود قصر له هنا ؟ فيقول ليس هنا قصور . . ولا يوجد غير أكواخ الرعاة وأبناء البادية الرحل وشعرت الأم بأعياء شديد وعطش حال دون متابعة المسير وسألت أحد المارة عن مأوى قريباً لبستريحاً فيه ويشرباً فليل لها . . أقرب مأوى إليك الآن . . كوخ الشيخ أبو باسم وأشار إلى نخيل بالقرب منها . . وهناك امرأة صالحة وهي امرأة كريمة تسقيك بدل الماء لبنا من الماعز وقد يذبها لكما وليد الماعزان وجد . . وفي جهد وصعوبة يسيران حسب إشارة الرجل رغم إلحاح زوجها بضرورة العودة للحاق بالقطار إذ لا شك أنهما تركا العروبة من أجل هذا الحر القاتل إذ لا يمكن لرضوى أن تتحملة مع الرضيع وإزاء إصرارها يتابعان المسير حتى يبلغا السكوح القائم على الربوة وقبل أن ترى الأم ابنتها تلاحهما رضوى

وهي تجمع العشب من حول الكوخ فتهرع لزوجها داخل
الكوخ مذعورة راجية منه أن يخففها عن أنظارهما حتى يضطرا
للعودة دون أن يراها على هذا الحال ولكن زوجها يأبى أن يخذلها
إلى النهاية ويخرج للقائهما مرحبا ويعقد الذهول لسان الأم ويدعش
الآب مرددا . . أنور . . أنور . . مستحيل . . وتصرخ الأم
بصوت خفيض أهذا هو القصر وتضطر رضوى إلى مقابلةتهما وعناقتهما
قائلة . . إن زوجي يريد أن يقوم بمشروع كبير في الصحراء وهو
يتظاهر بمظهر الفقر بعد أن داهمنا الفقر في القصر الذي اشتراه
هناك . . هناك بعيداً عما اضطرنا إلى ترك القصر طيبة المجلس المحلى لرعاية
الفقراء ونحن نحاول الآن دراسة أحوال فقراء هذه المنطقة ليؤسس
لهم مشروعا يدر عليهم رزقا حلالا وأنا سعيدة وراضية ويصدق الوالد
ويرتمى على الأرض في إعياء ويسترد سكينته ويتسم قائلًا : إنها
تجربة شاقة لابن الترف والعز وحياة القصور فيعترض أنور قائلًا إنها
تجربة لذينة ممتعة والامل فيها يحقق لإسعاد الآخرين وتبدي الأم عدم
ارتياحها لمظهر ابنتها وحياتها تلك فتشمئز وتبدي نفورها وتأمرها
أن تعود معها ريثما يقوم زوجها بتجربته وحده فهو رجل يتحمل الحر
المميت والمساء القراح والحرمان الفظيع في سبيل تزويد ثروته . .
وتنظر رضوى لامها نظرات الأسف لهذا الاقتراح الذي كان يجب ألا
يصدر منها وترفض العودة معها رغم إصرار الأم وتقف رضوى
حيال أمها موقفا لا يرضيها لأول مرة بعدم طاعتها وتشور الأم وتأخذ
على زوج ابنتها استهانتها بصحة ابنتها وحياتها إلى هذا الحد وتأتي

أن تتركها مصممة على اصطحابها ريثما يعود إليهم ويلتزم الوالد السكون
 حتى تنتهي الأم من ثورتها ويبدى مساندته الزوج ويرى لزما إلى
 ابنته أن تسكن مع زوجها حيث يكون في السراء والضراء والحر
 والشتاء معتذرا عن زوجته لأن عواطفها كأم لا تحتمل رؤية ابنتها على
 هذه الصورة المروعة ويطول الجدل بين الابنة والأم والزوج
 لا يحاول أن يدافع عن نفسه بغير الاعتذار لأم رضوى عن ضرورة
 بقاءه ريثما ينتهي من تجربته تاركا لزوجته الحرية المطلقة في البقاء أو
 العودة مع والديها إذا شامت ويعد أن تعلن رضوى . . . اصرارها على
 البقاء بجانب زوجها حتى ولو رحل إلى جهنم . . . تتركها لتعد لهما
 الطعام بعد أن ذبح زوجها الماعز وتأبى الأم تناول الطعام لنضبها
 الشديد وعدم رضاها عن ابنتها . . . بينما يتناول الأب طعامه وهو يبدى
 إعجابه الشديد باللحم المشوى الشهى وتلح رضوى خاتمها النمين في
 إصبع أمها وسوارها الماسى وقرطها فتشكر أمها التي حملت لها بهن
 حليها لأنها في حاجة إليها إذ تضطر أحيانا أن تخلع زى التخفى هذا
 وترتدى ثيابا من ثيابها التي تحتفظ بها عند حرم رئيس المجلس المحلى في
 القصر لتحضر اجتماع نساء أعيان المنطقة ولابد من لبس الحلى لتكون
 جديدة بالانتساب إلى زوجها العظيم عندما يظهر بمظهره الحقيقي أمام
 الأعيان فترفض الأم بدعوى أنها معرضة للسرقه والقتل وتقوم مشادة
 بين البنات وأمها التي تنتهم زوجها بأنه رجل معتوه يقتضى أجمل أيام
 شبابه في صحراء جرداء لا طعام فيها ولا ماء متخيلا أنه يستطيع أن
 يعثر على الذهب وراء هذه الرمال الصفراء ومن المؤكد أن لوثة من

نأصابته ويبدو أن العدوى تسربت إلى إبنتها ثم نبكى متوسلة أن
 ترحم شبابها وترحم طفلها وترحم والديها وتعود معها حالا ويحار
 لوالد بينهما ينف بجانب ابنته وزوجها آنا ويلطف من حنة زوجته
 مترفقا بها أحيانا وإزاء إصرار ابنتها وإيثارها زوجها تنتفض غاضبة
 وتتركهما لأعنة الزوج يتبعها معلنا اضطرابه لمرافقتها خشية
 لبذاتها في الطريق مظهرأ لهما الأسف ويسود الصمت لحظة بين الزوجين
 ولا يسع رضوى إلا أن تعتذر لزوجها عما بدر من أمها بدعوى أنها
 مهتسلة لعواطف أم جاهلة لم يلقح التعليم عواطفها بالحكمة والمعرفة
 لا عتقادها أن السعادة في المال والجاه .. ويطوقها الزوج وهو يقبلها
 في حنان وحب ليشرحها أنه لم يتأثر مطلقاً من تصرف أمها وهذا
 موتف طبيعي ثم تتركها ليسير وراءها من بعيد كي يحميها خشية أن
 يتعرض لأذى أى قاطع طريق فتطوقه بذراعيها وهي تقبله داعية الله
 أن يرعاه ويحميها من كل سوء .. وفي منتصف الطريق يخرج من وراء
 الأعشاب السكتة .. قاطع الطريق ولا يكاد يابح الحللى البرافة حتى
 يهددهما بالصراح وعندما يقترب منهما لسلب الحللى يتوقف عندما
 يسمع صوت أنور يقول له .. دعهما يا رجل لانهما أهلى ..
 ويتراجع للرجل مذعوراً معتذراً مردداً .. عفوك يا أبا باسم ..
 إذهباً فى رعاية الله وسوف أتولى أنا حراستكما حتى تصلا إلى الأمان
 من أجل أبا باسم راعى الفقراء فيشكره أنور مردفاً بعد عودتك
 طمأننى على أنهما وصلا بسلامه الله حتى ركبا القطار وبعد أيام يدخل
 أنور على زوجته حاملا بين يديه صندوقاً كبيراً .. فتدهش رضوى

وتسأله عن فخري الصندوق هل عثر على آثار جديدة إذا كان الأمر كذلك فيتحتم توصيلها فوراً إلى المختصين في الآثار فيصمت ولا يجيب ثم يخرج خارج السكوخ يتلفت يمينه ويساره كأنه يطمئن إلى أنه لم يره أحد يتبعه وتلاحظ ذلك رضوى فتقول أراك مضطرباً ما دمت ستسأله لم الخوف ؟ فيطرق ملياً ثم يقول بصوت الخائف . . ليت الأمر كذلك . . فتسأله في لهفة . . إذن ما الذي تخفيه عني ؟ . . فيشير إليها لكيلا ترفع صوتها ويقول بصوت خفيض . . كان يجب أن آخذ حق الفقراء من اغتصبوه بلا حق . . لقد اضطرت أن انسلل خفية مع بعض الرجال الثائرين ضد الثروة اللامشروعة التي جمعها الطغاة عن طريق كفاح العامة والفلاحين دون رحمة ولا عدالة تنفيذاً لشريعة الله ونصوص الدين القويم . . فانزعجت وهمت بمقاطعته ولكنه أشار إليها لتلتزم الصمت مردفاً استطعنا أن ندهم الأمير في قصره الذي يقيم فيه أثناء موسم السياحة واستولى الرجال على ما لديه من مال وتحف ثمينة وجواهر وزعت بيننا بالعدل . . ليتعرف كل منا في نصيبه . . وما يحويه هذا الصندوق هو نصيبي . . فصرخت في وجهه لأول مرة . . أنت تقترف إثماً مع اللصوص . . لا . . لا . . لا يمكن هذا . . وتمد يدها لفتح الصندوق وهي تقول . . . إن كان حتماً ما تقوله . . اذهب وارمه في ساحة قصر الأمير إن صعب عليك أن تعيده إلى مكانه . . وإذا كان لا بد من استرداد حقوق الشعب المنهبون فليكن جهاراً نهراً كما سلبوه جهاراً نهراً . . باسم القوة اغتصبوا ثروة الشعب فإذا لا يتسلح الشعب بهذه القوة ويسترد ما سلبوه . .

إن الشعب الذى يخضع للجور والبهتان ليس جديراً بالحرية والطمأنينة
والأمان . . وهل جئنا هنا لتتحول من رجل خير يعمل فى سبيل الله
مقاوماً للذل والهوان إلى رجل شرير يتناسى شريعة الرحمن . لا . لقد
تزوجتك لانك تمثل الإنسانية والرحمة والبر بعيداً عن الإثم والضلال
فاذا كان لابد أن تنتزع نفسك من إنسانيتك التى أحبتها ومشاليتك
التي عشقتها فدعنى أرحل إذا كنت تؤثر على اخوان السوء الذين سلكوا
بك فى هذا التيار الممهد - دعنى . . والا فعد الى نفسك الطاهرة
المطهرة من كل سوء . . أو اسمح لى أن أحمل الصندوق وصف لى
قصر الأمير ودعنى أذهب اليه وأضعه بين يديه وأقول له . . لقد
وجدت هذا الصندوق مخبواً تحت الاعشاب وأنا أجمع الوقود . .
فقال بلهجة الساخر وهل تظننى أنه يترك سراحك مقتنعاً بصحة
ما زعمت . . سيظن انك ضمن عصاة الاصوص وقد اختلفت معهم
لامر ما . . وسوف يجد من أنوثتك وجمالك ما يحمله على اغتصابك
والا هددك بتقديمك الى المحاكمة لترشدى الى الاصوص وانها ملك
بالمشاركة فى محاولة اغتياله . . فدمعت عيناها فى مرارة وهى تقول . .
لخير لى أن يحكم على بالإعدام ولا أراك قد اندجت مع شرذمة من
الشياطين لهتك حرمة الشريعة والدين .

وهنا يطوقها بذراعيه مقبلاً جبينها قائلاً . هونى عليك فتحاول التخلص
منه قائلة . أنا محرمة عليك ما دمت تبقى هذا الصندوق فى حوزتك .
فيعود إلى تقبيلها بحرارة رغم محاولتها التخلص من ذراعيه وهى تردد
لخير لى أن أعيش فقيرة مع رجل طاهر شريف من أن أحظى بمتعة

مع رجل ثرى شرير .. ولفقر يعتز به حبيب الله خير من ثراء جمعه عدو
الله وبصوت الجاد يعتدل في وقفته ويأمرها أن تطالع صحيفة يخرجها
من وراء ثوبه قائلاً .. اقرئى فتمقرأ ..

انتقل إلى رحمة الله الأمير عبد الهادى على أثر مرض طال به بعد
هجرة ابنه الوحيد الأمير جمال الذى تركه بعد خلاف قام بينهما لعدم
رغبة الأمير جمال الزواج من ابنة عمه مؤثرا الزواج بفتاة من عامة
العرب ومن أى وطن عربى وسوف يجوب البلاد باحثا عنها منتحلا
شخصية رجل عامل فقير ولما كان الأمير جمال بصفته ولى العهد
فالشعب يستحبه بأن يعود لوطنه ليتسلم زمام وطنه فهو خير حام
لشعب تسمكه بدين الله وعدالة السماء والرحمة بالمساكين حيث حباهم
بعطفه منذ كان صبياً ..

وتنظر إليه دهشة وهى تقول وما علاقة هذا الخبر بمرقنك المريع
فيفتح الصندوق وهو يقول .. ستفهمى يا حبيبتى كل شيء الآن .. ثم
يخرج من الصندوق تاجا يضعه على رأسها وثوباً فاخراً يلقيه على
جسمها وهو يقول .. قبل أن ترحل والدتى إلى مشواها الاخير سلمتني
محتويات هـــــذا الصندوق وكلفتنى أن أحتفظ به لأقدمه إلى عروسى
خشية أن يتزوج أبى بعد وفاتها ويكرن ذلك من نصيب من يتزوجها
ولم أجد مكاناً أميناً للاحتفاظ به غير العرابة بعيداً عن بقعة الآثار وقد
أقمت حارساً خاصاً عليه دون أن يشمر به أحد وكأنه من مرشدى
الآثار وهنا سرحت بفكرها ملياً ثم سألته كأنك كنت هنا عند ما
حضرنا لمشاهدة الآثار فابتسم وقال أجل .. قالت أنت فقطاطعها الجمال

باسم قالت لذن صدقت نشوى حينما قالت وراءك سرا قال وأنت ؟
 قالت : لم اهتم بك قال : اتعلمك بخطيبك .. قالت حرمة : الارتباط
 الشرعى حتمت على ألا أتحول عنه .. قال وإذا كنت غير مخطوبة ؟
 قالت كنت أشغل نفسى بالطبيعة قال : حمد الله رغم ذلك أحببتك
 وسعيت وراءك وضحييت من أجلك لتسكك بكرامتك وعدم الاستهانة
 بها جذبتنى إليك بجانب الحياء فحياء المرأة أجمل ما فيها بل هو تاجها
 الذى يغرى الرجل على التعلق بها . . . والآن دعينا من الماضى قالت :
 ولماذا مثلت دورك هذا ؟ قال لا تزوج بفتاة تتعلق بى كرجل من عامة
 الشعب تتقلب به الحياة بين الشراء والفقرفقات لو علمت نشوى ذلك .
 لا اتخذت من هذه الاسطورة رواية تصالح للنشر والتمثيل لتجذر
 المرأة الرجل قال . . . وإن فعلت ستكون الراحمة . . . ولمح الشمس
 توشك على المغرب وقد تنبه باسم الصغير من نومه . . . فأسرعت إليه
 أمه وزوجها يقول . . . علينا أن نرحل حالا لى نكون فى الصباح
 الباكر هناك . . . لى أقابل عمى لأبرئه من وصمة اغتيال أمام الناس
 أولا حيث أشاعوا اغتيالى واسترضيه بتقديم ما يحتاج من ميراث أبى
 لأن أبى رحمه الله كان وصيا عليه ولم يدعه ينعم بحياته كأمير ويستغل
 ميراثه الذى ورثه من أبيه استغلالا يعود عليه بربح يزيد من ثروته
 كما فعل أبى الذى استغل ميراثه فى التجارة والمشروعات الأجنبية لقاء
 ربح وفير ساعده الله .

وبعدها وصولهما إلى وطنه العربى والتفت الجماهير حول قصر الأمير
 جمال عندما علمت بمقدمه وأنه لم يزل حياً إذ كان قبل مغادرة بلده

يعطف على الفقراء والمساكين ويشترك في أفراحهم ويواسي في مصائبهم
ويقف بجانب الضعيف لينال حتمه ويقاوم القوى ليحول دون ظلمه
وكان والده يأخذ عليه تصرفاته ويتممه بالطيش والرعونة .

وفي قصر الأمير جمال . . بعد أن استقر به المقام سعيدا مع
زوجته وابنه باسم وابنته بسمة . . تشغل رضوى وقت فراغها بحياكة
الملابس للفقراء لتقديمها إليهم في الحنل الذي سيقام بمناسبة
عيد ميلاد باسم . .

ويعمر بخاطرهما طيف شقيقهما الذي استشهد أثناء معركة أكتوبر
إذ كان من المتطوعين . . ورغم محاولاتها كبت حزنها لكيلا تعكر
صفو حياة زوجها فقد غلبتها الدموع في هذه اللحظة وأطرت لتخفي
دموعها عند ما دخل زوجها ولكنه أدرك ما تكابده من ألم الذكرى
المريرة وأراد أن يخفف عنها فقال . . لقد أبرقت إلى نشوى لكي
تحضر عيد ميلاد باسم ولا أظنها تعتذر لكي تراك .

وتجد نشوى في البرقية عند ما وصلتها عزاءا يخفف عنها ما تعانيه
لفقد زوجها شقيق رضوى فتسرع لتلبية الدعوة رغم ما بها من حزن
وهم لفقد زوجها ومماناة وحشة الوحدة بعد رحيله .

وهناك تقابلها رضوى وزوجها بما هي جديرة به من
حب وتقدير لوفاؤها وحرصها على ذكرى الشهيد . .

وتلاحظ نشوى أنه ليس ما يشير إلى إقامة حفل لصغيرهما باسم
بمناسبة عيد ميلاده وقبل أن تبدى هذه الملاحظة تدعوها رضوى
لمرافقتها لكي تساعد على إعداد عرض عسكري لصغار الأولاد

والبنات في المدرسة الابتدائية التي أنشأها زوجها من حسابه الخاص لكي تكون فاتحة لتعميم التعليم في القرى والريف ولكي تهيب بالآلاف إلى التعاون لإنشاء أكثر من مدرسة . . . وعند انصرافها وجدت زوج رضوى في انتظارهما خارج المدرسة لمرافقتهما لمشاهدة العرض العسكري الشبان والشابات المتطوعات بعد أن تم تدريبهم تحت إشراف قادة عسكريين من جمهورية مصر العربية ثم رافقتهما مع كتيبة من ضباط وجنود هذه المنطقة لوضع الكليل من الزهور والورود على نصب تذكري للشهداء الذين استشهدوا في حرب أكتوبر وفي الطريق صارحها زوج رضوى . . بأن هذا اليوم . . قد خصصه لذكرى الشهداء وأسماء يوم الشهداء ولم يشأ أن يخبرها في البرقية بالحضور من أجل ذلك لكيلا يثير شجنها ويزيد من حزنها قبل الجي .

وفي المساء أقيم التآبين بتلاوة آي القرآن الكريم وتباري الخطباء والشعراء في تكريم الشهداء وتعظيم معركة رمضان وما حققته من نصر من فضل الله . . واختتم الأمير جمال حفل التآبين بافتتاح التبرع بمبلغ عشرة آلاف من الجنيحات لإنشاء مستشفى شهداء أكتوبر لعلاج المرضى وتبعه من ملكتهم حماس الذكرى للشهداء والتبجيل لهذا النصر المبين بالتبرع . . واسمى المستشفى باسم الشهيد راضى زوج نشوى

وختمت رضوى الحفل بإهداء قلادة ماسية باسم الشهيد راضى شقيقها إلى أرماته نشوى التي أعلنت بعد ذلك اعتزامها على أن تكون أول ممرضة في هذا المستشفى تخليداً لذكرى زوجها الشهيد .

وبعد عودتهم إلى القصر استأذن الأمير هلال ابن عم الأمير جمال . . . لمقابلة الأميرة رضوى بحضور زوجها . . . وبعد أن هنا ابن عمه على المجهود الجبار الذي بذله والتضحيات الهائلة من أجل بلده وشعبه أبدى استعداداه للمشاركة بجهده وماله في هذا الجهاد الوطني المقدس . . . ثم صار حهما بأنه راغب في أن يتزوج أرملة الشهيد شقيق الأميرة رضوى لتقف بجانبه ورحبت رضوى وخلصت بصديقتها وأقنعتها بالموافقة لتعيش بجانبها إلى الأبد ليعملان معاً في سبيل إسماعيل الوطن والعروبة وأصرت نشوى على أن تعيش لذكرى زوجها قانعة بما تبذله من جهد من أجل تخليده عن طريق عملها واضطرت رضوى أن تستعين بزوجها لإقناعها وبأسلوبه الشيق المؤثر استطاع أن يؤثر عليها لكي تنجب خلفاً يحمل اسم الشهيد .

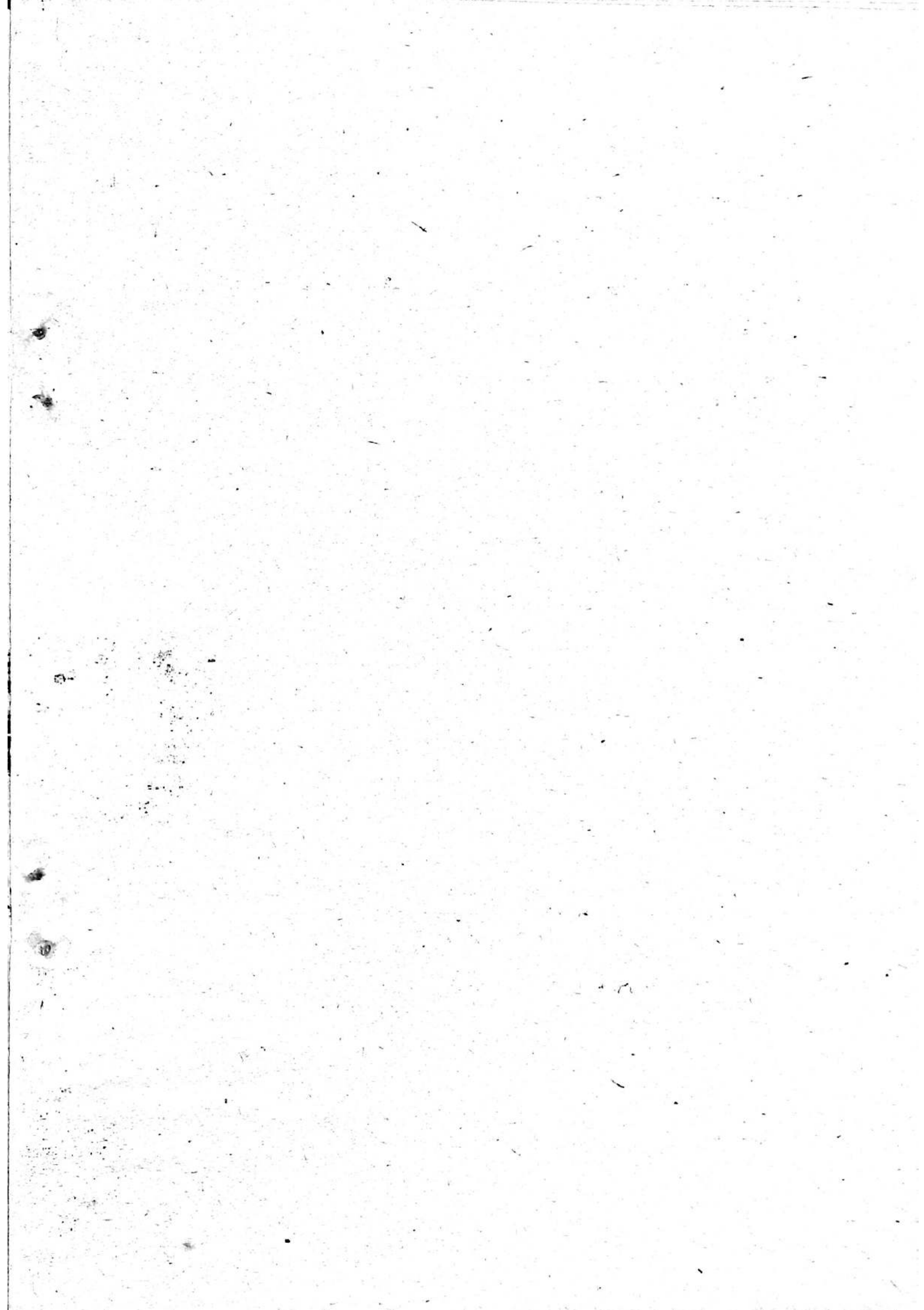
(تمت)

تحت الطبع :

وسط — يط السماء

بقلم

محمد العربي





نواضر: طالبة بكلية
طب القاهرة يلزمها
بفرقتها أنور أثناء
الدراسة العملية والنظرية
وكلاهما يستعين بالآخر
ويحرص أنور على
مرافقتها أثناء خروجها
من الكلية حتى تصل إلى
منزلها على أن وعلاقتها

عفة شريفة مثالية - وفي فرقتهما - ظافر - ابن عم نواضر حاول أن
يتقرب منها بحكم القرابة لكي يبعد عنها - أنور - بتصرفات طائشة
بدائع الفيرة وقد فشلت محاولاته بشتى الطرق للشقة التامة المتبادلة بين
نواضر وأنور أخيرا اضطر إلى تغيير سياسته بتوجيه صديق له متكلفا
حب أنور وإيهامه أنه اكتشف حقيقة خلقه النبيل معذرا عما صدر
منه بإيحاء من الواشين الماكرين من الزملاء ومن فرط سماحة أنور
صدقه واطمأن إليه وبادله الود والصدافة ولم يكذ ظافر يتأكد من
اطمئنان أنور إليه حتى اقترح عليه معاونته في إصدار مجلة الكلية
وبعد أن اعترض أنور بدعوى أن وقت فراغه لا يكفي لإخراج مجلة

جديرة بلاطلاع تحمل طابع السكينة وافق ترضية له ونزولا على رغبة
أصدقائهما . . وصدر العدد الاول والثاني أثبت أنور في تحريرهما
بجهودا ممتازا مستعينا بالاساتذة وتوجيه كبار الصحفيين وشجع
الاقبال على العددين مضاعفة مجهود أنور لانتساب روائع ما نشر في
العددين السابقين إليه وقبل إصدار العدد الثالث اجتمعت هيئة
التحرير من الطلبة كنادتها لتقرير ما ينشر فيه واقترح بعضهم ضرورة
نشر نقد العميد الذي لا يؤدي واجبه على الوجه الاكمل ووافق الجميع
عدا أنور فقد اعترض بشدة مؤكدا أن الصحافة يجب أن تكون
وسيلة لتدعيم المثل وخدمة المجتمع وتشجيع المكافئين المخلصين . .
ولا ضمير من نشر مساوىء العاملين لعدم التماذى والعظة لمن معهم . .
لكن الجامعة كظهر مشالى رفيع — يجب ألا تخرج مساوىء
العاملين فيها إلى خارج حدودها وأن تعالج مشاكلها داخلها لكيلا
تهدم الثقة فيها بين عامة الشعب . . ثم ألا يحتمل أن يكون إهمال
العميد عن غير عمد والسبب خارج عن إرادته . . وماذا لا نواجهه
صراحة بأزائنا لأن الحوار كاف لإصلاح أى تصرف خاطئ . .
ويقتنع بعضهم برأى أنور ويتمسك البعض بضرورة نشر المساوىء
لأن مهمة الصحافة تقويم المعوج وإلا لاضرورة لها . . وتمسك أنور
برأيه . . رغم اجماع الأغلبية . . وكذا أن الصحافة وسيلة للتطهير والتقويم
وتشجيع المصلح وعقاب المخطئ دون التشهير به وانتهى القرار بضرورة
نشر سوء تصرف العميد رغم معارضة أنور ومحاولته إقناعهم بأنه قد تكون
تصرفاته بحسن نية وبدافع مصلحة الطلبة . . وكان ظافر رائدا للنشر

القرار . . واضطر أنوور أن يتمازض لكيلا يشترك مع زملائه في هذا التصرف الذى يتنافى مع كرامة الجامعة وشجعتة على ذلك — نواضر وأخذت عليه قبوله من قبل الاشتراك مع ظافر وأمثاله ولم يقتنع برأيها يوم نصحتة بعدم الموافقة متأثرا بالحاح ورجاء زملاء .

وصدر العدد وفيه هجوماً شنيعاً على العميد . . واضطر العميد أن يلغى إصدار المجلة وينصل أنوور بعد أن أثبت من التحقيق أنه المسئول بصفتة المشرف على المجلة وأكد ظافر ومن معه أن المقال نشر دون علمهم .

ويبدى — ظافر — أسفه الشديد وألمه البالغ لأنوور على فصله دون حق ويبدى استعدادة للوقوف بجانبه ومساعدته للاتتقام من العميد ولكن — أنوور — قابل القرار بهدوء وأبى أن يقابل الاساءة بمثلها وقال له . . لو كنت مكانه لفعلت ما فعل . . إذ كان يجب أن أرسل إلى الاستاذ رئيس مجلس إدارة هيئة تحرير المجلة رسالة مسجلة تنبئ بمرضى وعدم مسئوليتى عما ينشر فى المجلة أثناء مرضى واعفائى من الإشراف على تحرير المجلة من تاريخ هذا الإخطار . . أما وقد غاب عنى ذلك ولم يمر بخاطرى ضرورة الحيلة والحذر وعدم الثقة فيمن يعاونوننى وأن التعليم الجامعى لم يطمح مرضى النفوس بالجبن والنفاق . . سألهم الله على كل حال . . وحاول ظافر أن يبرىء نفسه من وصمة الرياء والخداع واتهام الآخرين ولكن — أنوور — لم يدعه يستمرسل فى تهليله فقال له . . حسبك يا أنخى . . ولتكن مشيئة الله من يدرى عل الله أراد لى خيراً .

وتأملت نواغر المأشديد وأخبرت أنور بأنها ستحرض الطلبة والطالبات على الاضراب حتى يلغى قرار فصله . . ولأول مرة يمنحها من القيام بعمل تريده ويهديء من ثورتها ويلزمها بالزام الصمت حرصاً على سمعتها وكرامتها مؤكداً لها أن الله لن يتخل عنه .

وهنا يعلن الرئيس محمد أنور السادات القائد الأعلى للقوات المسلحة قراره التاريخي بإعلان الحرب لاسترداد الأرض المغتصبة . . ويحدد - أنور - الفرصة ليملاً فراغ وقته بالكفاح فتطوع ولم يلبث حتى يظهر كفاءة فائقة تكون محل تقدير القادة . . ويتم النصر والعبور بعون الله وتحتفل البلاد بعيد النصر ويقدم الرئيس نيشان التقدير - إلى أنور - وتُنشر الصحف بجانب الإذاعة حديثاً في التليفزيون عن مواقف بطولته . . ولم يكده يعرف العميد أخبار بطولته حتى يرد له اعتباره ويمنحه العفو ويهيده إلى الكلية في حفل رائع بالكلية . . ويتمتع الحفل بكلمة تقدير من العميد للبطل الفدائي - أنور - وإعلان عودته إلى الكلية وتشترك الطالبات في الحفل بلشيد وطني بجانب الرقص الإيقاعي والغناء الفردي والجماعي .

ورغم تكلف ظافر - بمشاركة الجميع في الاحتفال به . . فقد اشتد غيظه وحتمه وبدأ يفكر في القضاء عليه ليحول بينه وبين أبنه عمه - نواضر - التي امتنعت عنه وعاشت لعراستها فقط طوال مدة غياب أنور - في المعركة - تصده بمختلف الوسائل كلما حاول التقرب منها وقد زاد ذلك من حقه فاستسلم للاستقامة

والمجون والتقرب من الطالبات الفاشلات اللاتي دخلن الكلية لا رغبة في
الدراسة والطب لخدمة الإنسانية .. ولكن طمعا في الحصول على
زوج تباهى به كطبيب .. لا غير .. في هذه الفترة يرسم ظافر في
الامتحان ويخفي ذلك عن والده الشيخ الكسيح ليبتز ماله وتكتشف
أحدى صديقاته في الجامعة التي غرر بها إنه مفتون بتواضر التي تحب
أنور وتصارح بذلك ساخرة منه بمتهمته كرامته ولكنه ينفي ذلك
مؤكدًا لها أن صلة القرابة فقط هي التي تدفعه إلى الحرص عليها ثم
يتخذ منها وسيلة لتقلل له أخبار تواضر .. وبدافع الغيرة لكي يقطع
صلته بابنة عمه تخبره أن تواضر تذهب إلى منزل أنور كل يوم لأنه
مريض بدعوى تقويم المذكرات له وقد تعامدا على الزواج على أثر
ظهور النتيجة مباشرة .. ويبدى ظافر غيرة بدعوى القرابة وأنها ستكون
وصمة في جبين أفراد الأسرة الشريفة ولذلك يجب ألا يتركها تسقط
إلى الدرك .. ويكتب إلى والدها يخبره بما يحدث .. محاولا أن يشير
الوالد كما يخبر بأن ابنته جرفها تيار القاهرة الفاسد ويجب أن يعيدها
إلى شط الأمان في الريف ولكن الرسالة تعضل طريقها إليه .. وتمر
مدة طويلة ينتهي خلالها الامتحان وتصارح تواضر أنور بأنها لن
تبرح القاهرة إلا بعد ظهور النتيجة وتتردد صديقة ظافر على تواضر
في بيت عمته التي تقوم فيه بدعوى السؤال عن النتيجة عليها عرفتها أو
تخبرها بما يدور في معسكر الطلبة وينتظر — ظافر — بجيء عمه
إلى القاهرة ليتحرى منه حقيقة الأمر — ويطول انتظاره إلى حد
يزيد من حتمه ورغبته في الانتقام ويتبادر إلى ذهنه أن الرسالة وقعت

في يد شقيق تواضر الصغير واطماع والدتها عليها خفت الامر فأودفتمته
الغيرة الملحة إلى مخالعة عمه تليفونيا وحضوره حالا ليضبط ابنته
متلبسة بالجريمة وكان عرف من صديقتها زميلة تواضر التي تجسس
عليها دون أن تدري أنها ستذهب قبل مغادرة القاهرة لتوديع أنور
وحددت لها اليوم والساعة وطلبت منها مرافقتها لتنهضت بهجاء . .
ولكن الزميلة اعتذرت بدعوى أنها مضطرة إلى مرافقة والدتها
المريضة إلى الطبيب في هذا الميعاد وحضر الوالد بعد المسكلة على عجل
وبعد أن عرف عنوان أنور وميعاد زيارة تواضر له فاجأها . .
وروعت تواضر وتمالك أنور أعصابه وقبل أن يتكلم إنزال الوالد
على ابنته ضربا وهو يقول . . لولا الفضيحة لكان عشيقك الآن في
طريقه إلى السجن ولكن ان يفلت من يدي وسوف أعرف كيف
أنتقم لشرفي . . وقادما في قسوة وعنف ودون أن يهضي إلى أنور
الذي حاول أن يثبت له أن علاقتهما شريفة طاهرة ولا تعد حدود
الزمانة النبيلة ولولا اعتقاده بطهرها لما استقبلها في بيته ليتشاورا
ويتفقا على الاستعداد لدراسة الماجستير وكان في نيته أن يتقدم إليه
ليخطبها منه ريثما يهيء نفسه ماديا ليتزوجها . وبعد أن تعود مع والداها
إلى منزل الأسرة تقضى وقتها حبيسة في غرفتها كأنه قدر عليها الحرمان من
كل ما تتمتع به الفتيات الرشيدات المثقفات من حب وحنان ورعاية رغم
تفوقها وأدبها وانتهز ابن عمها الفرصة فتقدم لوالدها كي يطلب ردها
فوافق الوالد دون استشارتها ليسترجعها كما يعتقد . . وعلمت

نواضر من شتيقها الذي كان يحبها ويشفق عليها ويؤمن بطهارتها . . .
فاعتزمت الانتحار إذا صمم والدها على عقد قرانها بعد أن كلفت أمها
بإبلاغه لإصرارها على عدم الزواج من ابن عمها الفاضل المستهتر وتحاول
الأم تهدئة روعها إذ لا بد من تنفيذ أمر والدها وترويض نفسها على
حب ابن عمها وإزاء إصرار والدها ترفض تناول الطعام حتى تمرض
مرضاً شديداً تنزعج له الأم وتلج على والدها بضرورة استدعاء
الطبيب خشية موتها ويشخص الطبيب المرض بأنه علة نفسية ويتحتم
أن يحولها إلى طبيب نفسي ويأبى الوالد أن تغادر البيت فيستأذنه في
استدعاء الطبيب بمرافقته وبعد أن يحضر الطبيب النفسي ويراعا من
شدة الضعف في شبه غيبوبة وبعد إسعافها يرى أنها في حاجة إلى
تغيير الجو لأن مرضها نتيجة صدمة خطيرة قد تؤدي إلى مالا تحمد عقباه
إن لم تتفادى الأسيرة أسباب هذه الصدمة . . . ولم يكذب يبلغ صوته
مسمع المريضة حتى تفتح عينيها متممة كأنها تحلم . . . أنور . . . أنور
ويقع نظرها عليه . . . فيتجاهلها ويتكلف الانهماك في وضع أدوات
الكشف في الحقيبة بينما ينظر إليه زميله الطبيب في دهشة متسائلاً
باللغة الانجليزية . . . أنعرفك . . . فيمن رأسه بالنفي قائلاً باللغة أيضاً
تشابه في الأسماء لإنسان تعرفه وقد يكون سبب الصدمة ويقدر
الطبيب الأول بأنه يجب أن يتول زميله علاجها له تخصصه . . . ولكن
الطبيب النفسي يعتذر بدعوى أنه مضطر لمغادرة القاهرة وقد يطول
غيابه بعض شهور على أنه سينيب عنه زميله الإخصائي وهو عثماني على
أنه يتحتم أن تنتقل إلى عيادته الخاصة ليشرح عليها إشرافاً كاملاً . . .

واضطر الوالد أن يخضع لمشيشة الطبيبين وينقلها بنفسه إلى عيادة الطبيب النفساني ليطمئن عليها من أن لآن .

يحدث ذلك في الوقت الذي يكون فيه ظافر جالسا مع صديقة من زميلات نواضر متصلة بزميلة لها مختصة لنواضر وقد اتصلت بها تليفونيا فعلمت من أمها بمرضها الخطير وهي تحت رحمة الله ولم يسجد يعلم ذلك حتى يذهب إلى بيت عمه ليطمئن عليها فتقابله الأم في فتور وتتجاهل مقر العيادة التي تعالج فيها لأن والدها لا يسمح لأحد بزيارتها سواء نزولا على أمر الطبيب في هذه اللحظة يدخل الوالد حزينا مكروبا ويخبر زوجته على مسمع من ظافر .. بأن الطبيب منعه من زيارتها لأن رؤياه تؤخر علاجها بعد أن يتقدم في حالة عدم رؤياه .. ويطلب ظافر السماح له بالذهاب إليها فيرفض الوالد بمسدد أن تبادر الوالدة بالرفض وتأجيل ذلك ريثما تتحسن صحتها ويتظاهر ظافر بالأسى والالام وينصرف على مضض .

وبفضل عناية الطبيب حسب توجيه الطبيب النفساني (أنور) الذي كان يوليها اهتماما خاصا دون أن يشعرها أو يشعر زميله مستعينا بكبار أطباء علم النفس وقراءة آخر الأبحاث الخاصة بهذا المرض وبعد أن تلاشت مرحلة الخطر وتقدمت صحتها وبدأت تشعر بمن حولها وتستعيد وعيها كاملا وعلم والدها بذلك أعادها إلى منزله بعد أن نهضه طبيبها المعالج بعدم تعريضها لأي صدمة إذ لو حدثت مرة أخرى فلا فائدة من علاجها ويصبح المرض مزمنًا ولم يكده ظافر يعلم بعودتها

إلى المنزل ومداقاتها حتى طالب من والدها ضرورة الإسراع لعقد الزواج .
ولما اتصلت صديقتها الخاطبة تليفونيا للاطمئنان عليها وعلمت بشقائقها
وعودتها إلى بيتها أسرع إلى زيارتها وتهنئتها وفي سياق الحديث
معها علمت منها . . أن ظافر يريد أن يتزوجها وهي مصرة على
الرفض ولا سبيل أمامها إلا الانتحار إذا أصر والدها على ذلك . .
فبدأت من ثورتها النفسية خشية النكمة . . وطلبت منها أن تترى
وتتكلف القبول وترك الأمر لله وهي واثقة أن الله لن يتخل عنها
لإيمانها وطهارتها ولن يفرق بينها وبين حبيبها الطاهر المؤمن ومحال أن
يجمع بينها وبين الفاشل المستهتر . . ووعدتها بأن تقف بجانبها وتساعد
وبحسب نية أسرع واتصلت بزميلتها صديقة ظافر وأخبرتها أنها
علمت من نواضر أن ظافر سيعقد عليها قريبا وأن أسرتها بدأت
تستعد لهذا القران . . وللتأكد من صحة ذلك اتصلت الصديقة بنواضر
ولما اتصلت بها أظهرت نواضر الرضا والارتياح لهذا الزواج بعد
أن أثبت ظافر حبه العميق واستطاعت أن تجيد تمثيل ذلك حسب
توجيه صديقتها الخاطبة وكظمت الزميلة غيظها وقاومت غيرتها
وهأنها وتركتها بعد أن عرفت ميعاد تحديد عقد القران ووعدتها
بتلبية دعوتها .

وقبيل عقد القران يوم فوجيء ظافر ببرقية جاء فيها . . احضر
حالا أختك مريضة في خطر وتريد رؤيتك . . وفاجأته صديقتها على
غير موعد فلما صارحها بما جاء بالبرقية وأنه لا يستطيع السفر إلا
بعد يومين لجره والده المريض وقد حدد له ميعادا عند طبيب سوف

ينحادر القاهرة إلى الخارج في مساء اليوم الذي يجري فيه الكشف على والده . . . هونت عليه الامر وقالت له . . . يمكنك أن تسافر السودان اليوم وتعود صباح الغد ولذلك تجمع بين واجبك نحو الوالد ونحو أختك ولما صارحها باستحالة السفر إلى السودان الآن لعدم حجز تذكرة وعدم استعداده ماديا . . . طمأنته قائلة . . . سوف أكلف أخى الطيار بحجز تذكرة لك في آخر طيارة تقوم اليوم . . . وسوف أدفع لك ثمن التذكرة فانتظرنى هنا ريثما أذهب لاقابل أخى ومن حسن حظك أنه في راحة اليوم وسوف أحضر لك التذكرة بعد ساعة على الأكثر وتركته . . . وكانت انصلت بشقيقها قبل مجيئها له وحصات على التذكرة . . . ثم عادت إليه ورافقته إلى المطار ولم تغادره إلا بعد إقلاع الطائرة . . .

وفي السودان فوجئت أخته بمجيئه على غير ارتقاب ولشيد ما أدهشها إرسال برقية باسم زوجها وفسرت ذلك بأن زوجها أرسل إليه على أثر خلاف قام بينهما بشأن ضرورة سفرها لتضيعة الصيف في مصيف الاسكندرية . . . فوعدها بضرورة إقناعه ولكي تحضر عقد قرانه على ابنة عمه . . . وبدل أن تبارك هذا الزواج أظهرت عدم ارتياحها وعدم رغبتها في مصاهرة زوجة عمه لسوء العلاقة بين أمه وزوجة عمه أم العروس فأقنعها بالموافقة مبديا وجهة نظره وهو الاستيلاء على نصيب ابنة عمه من ميراثها بعد وفاة والدها وقد تقدم به السن . . . وحضر الزوج وتبين أنه لم يرسل له البرقية ولكنه فسر ذلك بأن زوج خالته هو الراسل ليدعوه إلى عقد قران ابنة خالته تنفيذاً للاتفاق الذى أبرم

بينه وبين زوج خالته عندما التقى بابنته عبله منذ كانت في الثانوية العامة
وقرأ فعلا الفاتحة مع والدها وقد ظل والدها يرفض كل من تقدم إليها
لاعتبار الفاتحة مقدمة عقد زواج . . وأثناء الحديث اتصلت أخته بخالتها
وطلبت منها الحضور مع زوجها لمقابلة شقيقها الذي حضر من القاهرة
ورحبت الخالة وأيقنت أنه حضر لإتمام الزواج وفوجئ ظافر بمجيء
خالته وزوجها في الوقت الذي تأهب فيه للعودة إلى القاهرة محتجا بضرورة
مقابلة والده الذي سيحضر اليوم ولكن أخته اعترضت وقالت أنها
سوف تكلف زوج صديقتها في القاهرة أن يقوم بهذه المهمة . . ووجد
أنه موقف حرج ولا مناص من تمضية اليوم لكيلا يكشف أمره وأراد
أن يبرق إلى عمه لتأجيل عقد القران لأنه سافر فجأة لعيادة أخته المريضه
بناء على برقية من زوجها . . وسلم الخادم البرقية ليرسلها مع مبلغ من
المال خاصا به لكي يخفيها عن أخته وزوجها . . وعندما حاول
الخادم أن يتسلل خفيه لكي يرسل البرقية رآته الأخت فارتجف
واضطرب ووقعت منه الورقة المدون فيها البرقية . . وبدل أن تؤنبه
أخفت الورقة وكلفته أن يخرج لقضاء حاجة لها ويخبر شقيقها أنه أرسل
البرقية وإذا سأله عن الإيصال يتكلف البحث عنه ثم يدعى أنه وقع
منه في الطريق من كثرة ما يحمل من حاجيات . . وأطمأن ظافر بتأجيل
العقد واجتمعوا جميعا منسحين به وعندما أعرب زوج خالته عن
استعداده لعقد القران فوراً اعتذر ظافر باستحالة ذلك الآن لأنه
مريض بالقلب وتحت العلاج وقد نصحه الأطباء بعدم الزواج خشية
مضاعفة العلة التي تقضى عليه وترمل زوجه في سن مبكر وبدل أن

يفزع زوج خالته لهذا النبأ سخط رأى الاطباء وأكده أن كثيراً
من مرضى القلب تزوجوا ومع مراعاة الدقة في تنفيذ أوامر الطبيب
يعيشون طويلاً وينجبون . . المهم لإيمان الإنسان بقدرته على مغالبة
الوهم وعدم الخضوع له . . حدث في الوقت الذي سيطر فيه القلق
على والد العروس فواضر - وعدم مجيء العريس - ظافر - حسب
الاتفاق . . وأوشك الليل أن ينتصف والمأذون كلما حاول الانصرافه
انتظر بتأثير رجاء الوالد حتى عيل صبره واضطر لمغادرة العرس تاركاً
الوالد يهيم بمشاعره في فضاء القلق المشير ينتقل بين المدعوين معذراً
بدعوى أن العريس اضطر للتأخير لاستقبال والديه في قطار المساء ولا
شك أن القطار تأخر كما يحدث كثيراً وهو مضطر لأن والده مريض
ويحتاج أن يرافقه . . وقد لفت نظر الوالد دخول صبي عندما اقتربت
نجلاء الصديقة منه تفتعل القلق بدورها وتوهمه بأن العريس لا شك
في حال يرثى لها بسبب تأخيره الاضطراري ولزمت الصمت لتصغى إلى
الصغير الذي اقترب منها وقال على مسمع من والد - نواضر - لقد سمعت
أحد المدعوين عند خروجه يقول لوفيقه لقد رأيت العريس قبيل المغرب
راكبا تاكسي ، مع راقصة وقد توقف التاكسي لعطل أصابه . . مما لفت
نظر المارة إذ مشادة بين السائق وبين الراكب وكان مخموراً وهو
يقول سوف أتزوج اليوم ابنة عمي . . وسوف أكون المتصرف في ميراثها
لأن والدها على وشك أن يرحل بلا عودة . . . والأيام قصاص . .
قد استولى عمي على ميراث والدي تعديدا لديون أهمل جدي في تسديدها
مدعياً وجرد مستندات تحت يديه ولم يكده الصبي ينتهي من كلامه

حتى ينهار الوالد ويوشك أن يقع لولا أن تتداركه نجلاء مهونة
عليه قائلة . . لاشك أنه رجل غير العريس فيقول الوالد بصوت منقطع
الانفاس هو بالتأكيد لأن ما ذكره حدث فعلاً . . وها هو لم يحضر
وينقل الوالد حديث الصبي الذي أفضى به إلى نجلاء وتشور الأم وتعتذر
لما تبقى من المدعوين بدعوى إصابة العريس في حادث أثناء مجيئه
وتقيل على زوجها تهديء من روعه وتهمم على إلغاء زواج ابنتها من
ابن عمها وتنفس نواضر الصعداء وتحمد الله على نجاح صديقتها نجلاء
في مهمتها .

وفي اليوم التالي لم تذكر - نواضر - تستقبل الحياة بأمل مشرق
راجية الله أن يحقق أملها ويجمع بينها وبين أنور - مستقبلة
صديقتها التي جاءت مبكرة لهنئنها بخلاصها عن لا تحب وبينما يتجاذبان
حديث التخاص من ظافر مع الأمل المنشود . . يفاجأ الوالد بمقدم
ظافر وقبل أن يهم بطرده يقدم له البرقية شارحاً له اضطراره للصفر
على أمل أن يطمئن على أخته ويحضرها معه لحضور عقد القران موقناً
أنه سيعود قبل ميعاد عقد القران وبعد أن أطاع الوالد على البرقية
انتابه خليط من الحيرة فهل يصدقه أم يصدق حديث الصغير فالبرقية
تؤكد صدق قوله وحديث الصغير يؤكد ما حدث بينه وبين والده
ويرى لزوماً أن يصرح بما أدلى به الصغير فقال ظافر . . وهل من
المعقول أن يقف الصغير بجانب التاكيد لئلا يسمع ما يدور بين الراكبين
أنها مكيدة مدبرة من الدكتور الذي يعرف ابنتك وهو يريد طبعاً ألا يتم
هذا الزواج ويسرح الوالد بخاطره فيما حدث سابقاً فيصدق ما ذكره

ويبدى استعداداه لعقد القران فوراً وشجعه على ذلك رغبة ظافر بأن
يكون العقد دون ضجة لتلافي المصاريف . وكفى ما حدث وحسبهما
أمنية شهر العسل في أى مصيف . وفوجئت نواضر بما اتفقا عليه
واستدعت نجلاء تليفونيا لتتقدها . . وصعب على نجلاء حبك مؤامرة
جديدة للتخلص من ظافر . . وفى هذا الوقت انهمك الوالد فى إعداد حفل
مقتصر على الأسرة وحان موعد عقد القران وصممت نواضر أن تعلن
الرفض أمام المأذون وباقى أفراد الأسرة وليكن ما يكون وصارحت
والدتها بذلك . . وخافت والدتها أن تخرج والدها أمام الحاضرين
فأخبرت زوجها لكي يحتاط . . وهنا أمر الوالد ظافر أن يقابل
نواضر ويطمئنها على سعادتها معه وكان كلف المصور أن يلتقط صورة
لظافر وهو يقبل يدها فلما أقبل المأذون وطالب سماع رأى العروس
اختل بها والدها قائلاً : ما دمت لا ترغبين فى الزواج من ابن عمك
فلتكن رغبتك لان أمك أخبرتنى الآن بعد مقدم المأذون . . فدعى
الامر لى . . لكن . . وافقنى أمام المأذون وساكون بعيداً عنك . .
وعند استدعائى لكتابة العقد ان أوافق مطلقاً وبذلك أنفذ لك رغبتك
مع حفظ كرامتك وسمعتك لكي أنفى ما أشيع عن علاقتك برجل آخر فلا
يقال بأمك ترفضين هذا من أجل الآخر . . وكان من الطبيعى ألا يتبادر
إلى ذهنها أى شك فيما يقال فاطمانت ووافقت على العقد وهنا همست أمها
فى أذنها أن تنصرف وتمكث فى غرفتها ليتمم والدها باقى مراسم العقد
واخلت بنفسها فرحة بمصيرها المرتقب . . ولم تدر أن والدها قام
بإتمام العقد ولما ترامت إليها زغاريد المدعوات . . اضطربت وفزع

وأسعدت شقيقها ولشد ما روعها أن والدها عقد القران وهما انفارت
قواها وكادت تفقد الوعي وأسرع الشقيق وأبلغ والديها فأسرعا إليها
وقال لها الوالد . . لقد ترمى إلى مسمعي حديث بعض المدعوين بشأن
علاقتك السابقة ولكي أثبت لهم عدم صحة ذلك أتممت العقد ولما
أدركت الأم استحالة خضوع ابنتها لزوجها والبقاء معه في منزل الزوجية
بعد أن هيأ لها الوالد المنزل بأثاثه ومشروشاتة وكماياتة . . اقترحت
تنفيذ الزفاف عملياً تحت إشرافها في بيت والدها وذلك يهون عليها
قبول الحياة الزوجية والانتقال إلى البيت الذي أعد لهما بعد أن تألفه

وناولتها أمها دواء مخدر آبزعم أنه مسكن لآلام الصداع الذي
تشكو منه باستمرار وتحوات العذراء إلى امرأة وهي لا تدري فلما
استفاقت ازدادت ألماً وحسرة ووجد والدها لا بد من ملاطفتها
والترفق بها والاستعانة بنصوص الدين مستعيناً بعمق إيمانها مؤكداً
لها أن هذه مشيئة الله ولا مراد لمشيئته . . وأخيراً خضعت واستسلمت
للأمر الواقع كارهة حينما استشعرت بأحاسيس الامومة تتمشى في
أحشائها وانتقلت إلى منزل الزوجية تحت تأثير أمها وبدأت تسير
الحياة الزوجية الرتيبة وظافر يزداد تودداً إليها مبدياً غبطة الفائقة لثمة
زواجهما . . ومرت الشهور وأنجبت ولداً . . . ولم يمض على عمر
المولود أسبوعاً حتى توفي والدها وانتهاز ظفر الفرصة واستكثبها
توكيلاً سجله في النو ليصرف في شئونها تصرفاً مطلقاً حرصاً على
راحتها وصحتها .

في خلال هذه الفترة . . سافرت صديقه إلى بلديتها في الريف

لتساعد قريبة لها في إعداد جهاز عرسها واصلت بظافر تنبئه بسفرها
فاصطنع الألم والهلع لبعدها ولا تدري أن سفرها طمأنه إذ كان يخشى
أن يحول بين زواجه وخشية إبلامه أنجزت مهمتها بسرعة وعادت إلى
القاهرة ولكي تطمئنه اتصلت به عند قريبه الذي كان يعيش معه
فأخبرها أنه يقيم الآن مع زوجته في منزلها وقالت محاولة أن تخفي
فزعاها لحوال المفاجأة .. آه لقد نسيت كان أخبرني فعلا ودعاني لحضور
حفل القران بحكم زمالتنا ولكنتي كنت على سفر فما عثرانه لكي أبرق
إليه مهنئة وقبل أن يجيب سمع طرقا على الباب فاستأذنها وفتحها فإذا
به ظافر فعاد إليها قريبه يقول ها هو حضر فهنئي إذن شيخميا وبان
الاضطراب على وجه ظافر وسأل قريبه دون أن يشعرها هل أخبرتها
فأجابه .. كانت تعرف وينتقصها معرفة عنوانك لتمنيك فتمالك نفسه
قائلا .. أعلا أهلا .. حمدا لله على سلامتك متى حضرت ؟ فقالت :
اليوم وامعانا في النفاق قل ومتى أراك ؟ فأجابت سأنتظرك الآن حيث
كنا فلتقى دائما . فبلى اللقاء وخرجت فارتمى على المقعد مفكرا . فدهش
قريبه وسأله .. من هذه ؟ فأخبره .. فتاة أحبته وكانت تطارده وهي
لا تستحي وسبق أن هددتني إذا تزوجت ذيرها سنلقى على وجهي ماء
النار .. وها هي قد عرفت فما عساي أفعل ؟ فضحك قريبه ساخرا
وقال .. أوه ومتى كنت تهاب امرأة .. لطالما تخاضت بمهارة لا يعرفها
السذج أمثالي من كل فئة تعلقت بك بعد تغريك والتأكيد لها برغبتك
في الزواج منها وقطعا هذه إحدى شهيدات حبك فلنصف إلهن واحدة
قم أسرع إليها خشية أن تحضر إلى هنا وتحدث فضيحة ترمى إلى

الجيران فيظن إننى البطل . . وشده من ذراعه ليصرفه بسرعة . .
وعلى أثر خروجه . . خاطب نفسه . . عجيب أمر فتيات اليوم . .
الشباب المؤمن الصالح المستقيم لا يعجب الفتاة ولا يجذبها . .
والشباب المستهتر الخادع يعرف كيف يؤثر عليها بأساليب الكذب
والخداع . . وأصبح الصدق والشرف بضاعة لا قبل عليها الفتيات
مع الأسف . . هيه . . لى الله . .

وفى جرونى يلتقيا فيقنعها بأنه اضطر إلى ترك قريبه لادم تشابههما
فى الميول ومحاولته الاعتداء على أخته الصغرى عند ما زارته فى غيبته .
وقد ادعيت له إننى تزوجت لى أبرر خروجى من عنده قال ذلك
بنخمة أجاد تمثيل تلفيقها بلهجته المخدرة لمشاعرها فصدمت وقالت
بشرى سعيدة على كل حل . . ففى نتزوج وننتقل إلى بيت الزوجية
فقبض على يدها قائلاً . . حالا يا حبيبتي وسوف أسافر إلى البـلـدة
لأفنى فترة لى أجمع الإيراد بدل والذى المريض فلا ننزعجى أو
تقلقى إذا طال بى المقام لأن جمع الإيراد يتطلب وقتاً وصبراً واحتمالاً
لتسويق المؤجرين وتأجيل الدفع من حين إلى حين بدعوى سوء
الحالة وغلاء المعيشة فاطمئنى وسوف أنصل بك تليفونيا بعد عودتى
مباشرة لنحقق أماننا المنشود ومع تحية الود يفترقا على أمل اللقاء .

لم تمتنع صديقة نواضر عن زيارتها بعد زواجها محاولة دائماً أن
تخفف من شجنها وتبث فى صدرها ضرورة الاحتمال والصبر من أجل
ولدها فى حين يظل هو رغم ما يظهر لزوجته من حب وشغف واهتمام
كمهده قبل الزواج يقتضى الليل إلا أقله خارج البيت مع رفاقه القدامى .

مستمتها بمظاهر اللهو والمجون غير عابئ بواجبه نحو زوجته وولده..
 وسأله أحد الرفاق . . هل قدمت طلباً لاستئناف دراستك فضحك
 ساخرآ . . وما فائدة هذه الدراسة . . ها أنت نلت ليسانس الآداب
 منذ سنين ولم تتسلم عملك إلا بعد مضي أكثر من عامين بعد نوالها . .
 وفي مكان لا يتفق مع دراستك . . ويعاود الضحك الساخر . . من
 أجل جنبيات معدودات تتقاضاها كل شهر لا تكفي لسداد مطالبك
 الضرورية كفرد واحد فما بالك لو تزوجت وأنجبت . . مرتبك التي
 تتقاضاه كل شهر أحصل عليه أنا دون جهد كل يوم لو شئت . . ها
 أنت قلق لأنك تريد أن تنام مبكراً لتصبح مبكراً وإلا تأخرت عن
 عملك والنتيجة ويضحك ساخرآ ويقاطعه الرفيق في جد واعتداد . .
 وليكننى لا أعيش عائلة على غيرى وهل تظن هذه الثروة التي تبدها
 هكذا أن تنته يقولون . . [خذ من التل يختل] فما بالك لو كانت هذه
 الثروة لم ترشها من أهلك وليس من حقهك التصرف فيها وفي بيتك من
 يستحقها لأنها من حقه . . وهنا يفقد ظافر صوابه فيثور ويصفعه على
 وجهه قائلاً . . اسكت يا . . وقبل أن يتمم يضع أحد الموجودين يده
 على فمه قائلاً : يظهر السهرة ستنتهى بالغم . . ويوجه الكلام لهما . .
 كل واحد حر في تصرفاته وهو المسئول أمام الله وسيجنى نتيجة عمله
 وليس من حق أى إنسان أن يتدخل في شئون الآخر الخاصة . . فيقاطعه
 الموظف الناقم . . حرام علينا نرى الباطل ونسكت عليه . . فيعلق
 وهل أنت ربنا يا أخى دعه فيقول . . لانكم تستفيدون منه . . تسهرون
 على حسابيه . . ويقاطعه أحدهم . . يظهر لك جاسوس من قبل زوجته

لأنك تحضر كل يوم ولا تتناول كأساً أو تلعب الطاولة . . مجرد
ضم . . جالس تتأمل تصرفاتنا . . ويزداد حنق ظافر فيشده من
ذراعه في عنف محاولاً أن يرميه بعيداً وهو يقول . . كنت أظنك
جليس خير فإذا بك جليس سوء فيقاطعه . . اعتبرني كما ترى
وقاومه ليحتفظ بمكانه ويتكلف بسمعة مردفة . . أنا من هواة
التأمل . . بمراحة يا إخواني . . أقوم بدراسة حول انحراف
الشباب وأسبابه ونتائجه . . فلا يدعه ظافر يتم حديثه وبصرامة
وقوة أعنف يباغته ويرميه بعيداً ويلتف حولهما من في المقهى لتهدئة
الحالة . وعبثاً يتنازل كل منهما عن رأيه ويلتمى شجارهما في القسم .

في هذا الوقت تكون نواضر زوجته ساهرة على رضيعها المريض
تتقرب أوبة والده ليستدعي طبيباً ولما يطول غيابه وتزداد درجة
الحرارة ارتفاعاً تضطر هي إلى دعوة طبيب عن طريق الدليل وبعد
بجئته وفحص الطفل ينصحها بضرورة استدعاء طبيب الأطفال
الاخصائي في الحيات وبعد إجراء الكشف عليه عند طبيب الأطفال
يقرر ضرورة نقله إلى المستشفى ليسكون تحت الإشراف المستمر
ومنعاً من نقل العدوى وإلا اضطر إلى تبليغ الصحة لإجراء اللازم
للقاية من عدوى هذه الحمى . ويصعب عليها مغادرة البيت إلا بعد
عودة زوجها .

فلما يحضر بعد الفجر مخموراً كعادته كل يوم تنتظر يقظته
عند الظهر وهي تخلو بطفلها تبكي في تحسر ومرارة فلما يستفيق
تخبره بقرار الطبيب ودون اكتراث يقول . . معه حق يجب أن

يعالج في المستشفى على أن تسكن في بجواره ليل نهار حتى يتعافى خشية
إهمال الممرضات ودون نقاش معه تذهب إلى المستشفى على أمل شفاء
الرضيع ولكي تبعد عن زوجها عن عمد بقدر المستطاع . . وفي
المستشفى خرجت لقضاء حاجة لها بعيدا عن غرفة ولدها وكان لا بد
أن تمر بالممر الموصول لدورة المياه وبينما هي مارة في الردهة مر بها
طبيب لفتت نظره فسأل الممرضة التي ترافقه أثناء المرور على الممرضة
أهذه السيدة مريضة ؟ أم تزور أحد المرضى ؟ فأخبرته بأنها والددة
طفل مريض وهي تلازمه ليل نهار وهي سيدة لطيفة ولكنها تبدو
حزينة مهمومة دائماً فقاطمها خوفاً على الطفل طبعاً فقالت . . أعتقد
أن السبب غير ذلك لأن حالة الطفل لا تدعو إلى الانزعاج بعد أن زال
الخطر عنه . . فانهز الطبيب فرصة انتهائه من المرور على مرضاه ومر على
الطفل بدافع شعور خفي . . وسرعان ما يتبين حقيقة أم الطفل نواضر
بعد أن واجهها واستطاع أن يغالب مشاعره كما قاومت اضطرابها وحسبت
مدامها لتبدو باسمة لهذا اللقاء الغير مرتقب . . ولكي يقطع السكوت
الذي استولى عليها إذ المفاجأة حسبت الكلمات في صدرها قال : عندما
قرأت نبأ وفاة والدك تمنيت لو استطعت أن أعزبك ولكن خشيت
أن يحدث بينك وبين زوجك مالا أرضاه لك إذا أطلع على برقيتي . .
ثم سألتها عن حالها فلم تشأ أن تصارحه بما تعانيه وما تسكبه ومدى
احتمالها وصبرها من أجل ولدها واكتفت بقولها بلمحة تنم عن أساها
الدفين . . الحمد لله . . حسبي - أنور - فبدت على شفثيه بسمه
حزينة وردد أنور فأشارت إلى ولدها قائلة . . أنه دائماً معي

وأرجو الله أن يحفظه ويرعاه . . . وعندما دخل الطبيب المعالج
أوصاه خيراً قائلاً . . . هذا الطفل عزيز على لأن والدته قريبة . . .
وانصرف تاركاً الطبيب يفحص الطفل مؤكداً لها تقدم العلاج وهو
في طريق الشفاء باذن الله . . . وبدأ يختطف كل يوم بعض اللحظات
ليعود الطفل ويتحدث إليها دون أن يشير إلى علاقتهما القديمة لكيلا
يشير شجنها على أنها اضطرت في خلال هذه الفترات أن تفتح له صدرها
وتكاشفه عما تعانیه من شقاء وتعاسة وهم وعناء ولولا الطفل لترك
زوجها لغير رجعة وبدل أن يشجعها على ترك زوجها غالب شجنه
وأساءه وهون عليها ما تعانیه ناصحاً أياها بالصبر باثناً فيها روح
المقاومة والاحتمال مرضاة لله مستشعراً ببعض آيات القرآن الكريم
مؤكداً لها أن الأيام كفيلة بعد أن يستشعر باحساسيس الأبوة وذلك
كفيل باصلاح خلقه وتقويم اعوجاجه وأثناء تكرار مروره على الطفل
وعنايته به بجانب اهتمام الطبيب المعالج بمجاملته له . . . لاحظت الممرضة
التي ترافقه أثناء المرور بأن هناك علاقة بين أم الطفل والطبيب أنور
إذ لم يحدث أن يمر على مريض في غير اختصاصه وتعهدت أن تتردد
على نواصر كلما سئحت لها الفرصة لتجاذبها أطراف الحديث مبدية
لمعجائها بها وفي خلال حديثهما سألتها لماذا لا يزورك والد الطفل
ليطمئن على ولده أم تراه يعتمد على الدكتور إذ يبدو أنه قريب له
أولئك لا أدري . . . ولاكيلا تكذب ثم يفتضح الأمر بقول . . . أنه
أكثر من قريب لنا .

وفي خبث تقول الممرضة . . . كلنا نعجب باحجامه عن الزواج مع

أنه شاب مثالي ممتاز مرغوب فيه وهنا إحدى الطبيبات مولعة به
وتحاول أن تجذب مشاعره ليتزوجها وليكنه يتجاهلها ويعاملها
كأزميلات لا فارق بينها وبينهن . . . وسرحت نواضر مليا ثم
قالت لتخفي مشاعرها . . . سوف أفاتحه في هذا الأمر وأرجو
أن أوفق للتأثير عليه لكي يتزوجها ما دامت تحبه وما دامت حديرة
به . . . أعني جميلة . . . جذابة مهذبة . . . تحبه حبا صادقا . . . فتؤكد
لها الممرضة أنها ممتاز بهذه الميزات وهي موضع حب وتقدير
الاطباء الزملاء وليكن تعلقها بالدكتور أنور . . . جعلهم ينظرون
إليها في تهيب . . . وسوف أحضرها لترى الطفل بأي حجة بعد أن
أفهمها بأنك قريبة الدكتور وأمالك تجمعى بينهما فتعدها نواضر
بتنفيذ ذلك . . . وفوجيء أنور . . . بدخول الدكتورة وهو في زيارة
الطفل محتجة بأنها بحثت عنه ليسكن روضة لقريب لها مصاب بحالة
تشبه المريض الذي عالجه في غرفة ٩ وقد تعافى والحمد لله . . . فينظر إليها
دون اكتراث ويقول في هدوء . . . أفضل أن أراه أولا إذ تختلف
الأمراض أحيانا رغم تشابهها في المظهر بالنسبة لحالة المريض العامة
فهل هو موجود الآن . . . فتقول . . . إذن سأدعوه بالتليفون كي يحضر
الآن . . . وتنصرف بعد أن تلقى عليه نظرة حب في حين يتجاهلها
مخاطبا . . . نواضر . . . على مسمع منها لقد طمأننى الدكتور على أنور . . .
وعند ما تسمع الطبيبة ذكر اسم أنور . . . تعرد لتقول . . . هل ولدك
اسمه أنور . . . ثم تقبل على الصغير وتقبله حانية . . . اختيار هذا
الاسم يدل على تعلق من سمي الطفل . . . بالدكتور أنور . . . فتجيبها

— نواضر — والده هو الذى أسماه . . . وبعد خروجها يسأله
الدكتور هل حتما والده الذى أسماه ؟ أنى أشك . . فتطرق وهى تغتمغم
لم يحضر والده كتابة شهادة ميلاده . . كان فى دنيا لياليه . . وحتى
الآن لا يعرف اسمه . . ثم عيرت مجرى الحديث بقولها . . ما رأيك
فى الدكتورة التى جاءت الآن فيجيب فى إيجاز . . زميلة طيبة ممتازة
تشرف الطبييات . . قالت : فعلا . . لم لا تتزوجها يا أنور إنها تمتاز
بالميزات التى تشرفك وفوق ذلك لاحظت من نظراتها ولهجتها أنها
تحبك ؟ . فلا يبدى رأيه فيما تقول . . ويقول . . لم يحن الوقت بعد
لأننى جدد مشغول بالدراسات العليا ولا أريد الزواج إلا بعد أن
أحصل على الدكتوراه وتذكر من لهجته إصراره الأكيد على عدم
الزواج فتبدى له أسفها على شبابه الذى يقفنيه فى البحث والجهد دون
أن يستريح فى نهاية اليوم فى كنف زوجة محببة تؤنس وتبدد
متاعبه ثم تختتم حديثها بقولها . . سابع الله والذى الذى حال بينى وبين
إتمام دراستى لو أتممتها لكون على العمل اليوم ما أعانيه .

ويتأمل الصغير للشفاء وقبل أن تغادر نواضر المستشفى تحرص على
توديع أنور راجية منه أن يسمح لها بمكالمته فى التليفون من حين إلى
حين على الأقل لتطمئن عليه فيعتذر مرغما فى لطف مؤكدا لها أنه يحرص
على سمعتها وكرامتها إذ يخشى أن يسمع زوجها صوته فيسرق الظن بها
ويحدث لها ما لا يرجوه وهو حريص على سعادتها ويفترقان وكل
منهما يحمل لصاحبه حبا عميقا دفيناً وكأنه ميكروب يقتل الجسم فى
بطء وخفاء . .

ويخلو أنور بنفسه في مكتبه ويخرج من محفظته صورة نواضر
وكأنه يناجيها وهو يتأملها بعينين دامعتين متنهدا في حرارة . . بينما
تخلو هي بهغيرها الذي جاء شبيبها له مع أنها لم تره طوال مدة الحمل
وقد اضطرت أن تسأل طبيبها الخاص يوما أنها قرأت قصة تذكر أن
أما ولدت ابنها شبيبها لحبيبها مع أنها لم تره منذ تزوجت حتى وضعت
فيرجع الطبيب احتمال ذلك إذا كانت الأم لم تول متعلقة بحبيبها الذي
أحبته قبل الزواج وأن طيفه ماثل أمام عينيها وشعورها لا يفارقه ..
مشلها في ذلك مثل الحامل التي تتأمل صورة فوتغرافية جميلة فتلد المولود
شبيبها لها . . فالعصب إذن تجسيم الصورة في الذهن وأمام العينين
وتسليط إشعاعات روح الحبيب عليها فإذا كان لم يزل يبادلها الحب عن
بعد يحىء المولود صورة لانعكاس هذا الحب . وهنا ترتاح نواضر
لهذا التحليل وتحمد الله عليه .

وبعد مدة تنشر الصحف اكتشاف الدكتور أنور علاجا جديدا
للانهيال العصبي وسوء الحالة النفسية بدون دواء عن طريق العلاج
الطبيعى وفى إحدى المجلات الأسبوعية ينشر ريبورتاج للطبيب موضحا
طفولته مصحوبة بصورته وقد بدا شبيبها بأنور ابن نواضر وراق لها
أن تكبر هذه الصورة وتضعها فى إطار جميل وتعلقها فى مخدعها ثم
استولى عليها حبها لأنور فكررت الصورة وعلمت فى كل غرفة
واحدة بحيث تراه كلما اتجهت وجلست ونامت وأكلت وخيل لزوجها
أن حبها لولدها بلغ حد الجنون فراح يسخر منها ويبعدى غيرته
بأسلوب إسرافها المالى فى سبيل هذه الصور فى الوقت الذى ظل يتهرب

من صديقتها وكلما حاولت مقابله يهرب منها ثم شغلها مرض حالتها
العانس التي كانت تعيش معها ورافقتها في المستشفى لإجراء عملية جراحية
جراحية لها . . وفوجئت برؤيا صديقتها نواضر في المستشفى أثناء
زيارتها لقريبة مريضة . . وأثناء حديثهما مر بهما الدكتور أنور
فاستوقفته الصديقة لتحييه فسألها عن نواضر . . بلهفة وحزن فأخبرته
أنها تعاني أشد آلام الحرمان وهي تتحمل من أجل صغيرها . . وليتك
تتصل بها تليفونيا يا دكتور أن شئت أن تخفف عنها فهل تعدني بذلك
وأنا على يقين من أن محادثتك فيها الدواء لرحبها الدفين فاعتذر قائلاً:
أمصف يا نجلاء . . وهي تعلم سبب احجامي عن مكالمتها حرصاً على
سعادتها . . واعتقد أن ظافر سرف يستقر ويتغلب على نزواته من
أجل ولده على الأقل . . وحياتها وانصرف . . وذعرت صديقة ظافر
عند ما سمعت ذكر اسمه فقالت . . وما علاقة ظافر . . بنواضر . .
فأجابتها الصديقة . . زوجها . . وباليتهما لم تتزوج . . لأنها تعيش
في مأساة لا نهاية لها إلا إذا طلقها هذا الرجل الماكن ولكنه لن يفعل
لأنه يعيش على حساب ثروتها . . ولطالما طلبت منه في إلحاح ورجاء
أحياناً . . وفي إصرار وعنف أنا . . ولا فائدة من التخلص منه لأنه
ميكروب دخل حياتها ولا خلاص منه إلا بمشيئة الله . . وتبـ . .
صديقتها أسفها قائلة . . مسكينة نواضر . . مع أنها كانت مثال الرقة
والخلق . . أما هو . . وأرادت أن تعبر عن مشاعرها لهذه المفاجأة .
ولكنها تمالكت نفسها إذ مر بذهنها خاطر فقالت في إيجاز أنه لا
يستحقها وسوف ينتقم الله منه . . وتتكلف الهدوء وهي تقول

بودى أن أزورها فأنى أحبها منذ كانت طالبة . . فما غوانها . .
فأخبرتها عن العنوان وافترقا على أن يلتقيا عند نواضر فى الميعاد الذى
اتفقا عليه . .

وتعمدت صديقتها أن تذهب فى غير هذا الميعاد خشية أن تحصل
صديقة نواضر تليفونيا بها لتخبرها بهذه الزيارة فيخادر المنزل وهى
تريد أن تراه متلبساً بجريمة خيانتها كما تعتقد . . وبدافع الغيظ والحقد
والآلم والحسرة تذهب لمفاجأته فى بيت الزوجية وعند ما تطرق الباب
يكون هو متأهباً للخروج وقبل أن يفتحه تتبعه نواضر تطالب منه
مبلغاً من المال لشراء حاجيات لها ولولدهما فيعتذر لأنه لن يتمكن من
الذهاب إلى البنك اليوم لارتباطه بميعاد لمرافقة والده المريض . . وفى
عدم اكتراث يفتح الباب فيواجه صديقتها فيتملكه الملح والسكنه
يغالب نفسه ويقول لنواضر مشيراً إلى الصديقة . . زميلتى كانت فى
الكلية وكنت استعرت منها بعض الكتب وأظنها جاءت الآن لتسردها
فترحب بها نواضر . . أهلاً . . تفضلى استريحى وإن كانت الكتب
ليست هنا فقد تركها بالتاكيد حيث كان يقيم قبل الزواج . . وابتلع
أنفاس الاضطراب والحيرة قائلاً . . يمكننى إحضارها إليك الآن
تعالى معى وأشار إليها لكيلا تدخل ولكنها دخلت وهى تقول . .
دعنى أمنى زوجتك بك أولاً واستريح وعليك إحضار الكتب فى أى
وقت وسوف أعد لتسليمها مرة أخرى . . وتوقف مأخوذاً لا يدري
ماذا يفعل ليصرفها لكيلا تخلو بزوجته . . وبعد أن استقر بها المقام
واضطر أن ينتظر اصطنع المخاطبة فى التليفون لتأجيل ميعاد والده

وجلس وكاف نواضر بتقديم كوب من الشاي للزائرة وعندما غادرتها
قال لها .. سأنتظر ريثما تخرجى وانتظرينى فى مكاننا المعتاد لقد كنت
معتزما الاتصال بك اليوم لأمري هام يخصنا طبعاً .. ولعلك لاحظت
عدم انسجامنا وفتورى وشعورها بذلك .. ولولا الطفل .. وهنا
دخلت نواضر .. مرحبة .. أهلاً وسهلاً أظنك تخرجت ..
وهل استلست العمل .. فقالت الصديقة .. أودى الآن عام الخدمة
الاجتماعية وبعد تناول الشاي استأذنت وانصرفت وتلكأ هو بعض
الوقت .. ثم لعنهما لأنها السبب فى تأجيل ميعاد والده .. فقالت ..
نواضر .. ولماذا أجلمته كان فى مقصدورك أن تذهب وأنا أقوم
بـالواجب بدلاً منك .. فقال .. إنها ثرثرة ومغرمة بتلفيق أكاذيب
للتفرقة بين كل زوجين .. وسبق أن فعلت ذلك عدة مرات .. عقدة
عندها قد تكون غيره من الفتاة التى تزوجت قبلها أو حقدا على الشاب
الذى تزوج غيرها وكانت تطارده وتأمل أن تتزوجه .. مسكينه ..
عليها علمت بزواجى فجاءت لترى الزوجة التى فضلتها عليها .. كانت
تحاول أن تغرينى بشتى أساليب الانثى لى أحبها وأتزوجها ولكننى
لا أميل مطلقاً إلى مثل هذا الطراز من النساء وخصوصاً من لا تقيم
لكرامتها وزناً .. لذلك أردت أن أعفك من ثروتها ولكنى لا يضيع
وقتك وأنت فى حاجة إليه من أجل ولدك .. ولأول مرة يتكلف
أن يضع على جبينها قبلة عند انصرافه .

وذهب لمقابلة صديقه خشية أن تصارح نواضر بكل شيء إذا
نكث وعده .. وكانت فى انتظاره على أحر من الجمر تحاول إخفاء

ما ألم بهار يثما تسمع ما يقوله .. وحاول أن يقبل عليها كسابق عهده .
بعواظنه الملتببة وأشواقه الجاححة ثم قال لقد وقعت في مطب يحتاج
لسياسة تماثل سياسة الرئيس للفوز والانتصار خشية الفشل . . .
ابن عم اسمه يماثل اسمي ويشبهني . . . شأننا شأن التوأمين مصطفى
وعلى أمين وكان والدي تولى تربيته بعد وفاة عمي وهو صغير . . .
وعند ما عرضت على والدي رغبتى في الزواج ليوافق مبدئيا ثم أقدمك
إليه كعروسي المختارة . . . وافق دون تردد ولا أخنى عليك أنفى فرحت
فرحاً لم أشعر بمثله من قبل إذ كلفتنى هذه الموافقة كثير من الجهد
وخدمة أبى طوال المدة التى تغيبتها عنك وقبل أن أقدمك إليه صارحته
بأننى سوف أصحبك إليه ليراك وأنت تعلمين أنه يقيهم فى الريف
فعرض على أن أتزوج ابنة عمي لثراء والدها الذى استولى على ميراثه
قبل أن يبلغ سن الرشد بعد وفاة جـدى فرفضت فى إصرار وإزاء
رفضى قال . . . إذن تريث يثما تهيبى البيت لاستقبال عروسك لأنها
من بنات القاهرة تميل للأبهة والمظهر أليس كذلك ؟ . فوافقت
وشكرت له موافقته .

وبعد أيام قلائل دعانى والدى لمقابلته فى منزل عمى — والد —
نواضر — واختلى بى وصارحنى بأنه عقد باسمى على ابنة عمى وكانت
مفاجأة أخرستنى وقبل أن أبدى اعتراضى وأسأل كيف عقد القران
بدونى .. استطرد .. تعلم أن ابن عمك حسان كأنه شقيقك التوأم فى
السن والشبه والمظهر وكل شيء .. وأنه يبدو كأنه أنت كلما ظهر فى أى

ممكن .. وإذا كان المطلوب هو وظهرت أنت تحدثوا إليك كأنه هو ..
لذا لم يستشعر عمك بأى اختلاف بينكما .. ولذا ثم عقد القران وقد وافق
ابن عمك على تمثيلك مرضاة لى ليرد جميل .. وقد انتهى دوره وعليك
الآن أن تعاشر زوجتك لتنجب حفيدا لى قبل أن أموت فأنت تعلم
أننى مريض بالذبحة .. وقد أكد لى الطبيب بأن أية صدمة تقضى على ..
ولم أستطع أن اكشف تزويره لعمى وأضعه موضع المزور فى أوراق
رسمية ينص القانون على سجنه إذا ثبت أدانته .. فهل أدفع به إلى
السجن .. وقد اقضى عليه إذا أعلنت الآن تزويره ... وكان لابد أن
ألزم الصمت لأنه فعل ذلك بحسن نية واهتمام مستقبلى المالى بعد أن
علم برؤوبى فى الامتحان وفشلى الذريع .. وترضية له ولاكى أخفى
تزويره عاشرت من أسموها زوجتى ... معاشرة الأزواج فى لحظات
عابرة .. وأقضى طرال الليل وأغلب أوقات النهار خارج البيت رغم
أنها تركت لى حرية التصرف فى ميراثها بعد وفاة والدها بتوكيل
رسمى .. على أمل أن تطالب الطلاق إذا ضاقت بعشرتى .. ولا أخفى
عليك أنها بدأت تشير بذلك آفا بالتليح وأحيانا بالتصريح .. ولا
أحسب المدة الباقية على هذا الزناج طريلة .. قد تكون بعد أيام أو
أسابيع أو شهور على الأكثر ثم نزوج ونعيش معاً للأبد لا يفرقنا
غير الموت وينترة وقد تأثرت بأسلوبه المعسول بلهجة أجاد تصدير
الصديق فيها .. واعتزمت أن تتردد على — نواضر — لتعرف عن
قرب ماذا يحدث بين الزوجين واستطاعت بمهارة أن تتقرب إليها
وتشعرها بأنها كانت تحبها منذ الدراسة وتحمد الله الذى أناح لها فرصة

أول زيارة لاسترداد كتبها لاحتياج شقيقها إليها اثرث — نواضر — توأ
بأسلوبها الشيق وحنانها الذي تبديه نحوها كلما لمحت على وجهها سمات
الهم والآسى . . برغم حرصها الشديد على أخفاء عواطفها وحبها
لأنور . . وفي إحدى الزيارات انتهزت فرصة مخاطبة نواضر صديقتها في
التليفون . . راحت تتلمى بمطالعة مجلة ملقاة على المنضدة بالقرب منها . .
وذملت حينما ترى صورة أنور الصغير المعلقة طبق الأصل للدكتور
أنور وبعد الاطلاع عليها ومعرفة اسم المجلة وتاريخ صدورها وضعتها
مكانها كأنها لم تطالعها وبعد انصرافها ذهبت إلى إدارة المجلة واشترت
نسخة منها وقد بدالها أن الوقت حان لتضع هي حاداً لهذا الزواج الذي
قام على التضحية بها . . وكان اتفق ظافر معها على أن يلتقيا كل أسبوع
مرة ليخبرها عما يحدث بشأن إنهاء هذا الزواج ولسكنه عمد إلى ذلك
ليضللها ريثما يؤثر على — نواضر — لترك القاهرة والإقامة في
الريف ليشرف على أرض ميراثها بنفسه واسكيلا يحرم منها محبباً إليها
حياة الريف زافاً على حياة المدينة التي ضاقت بأهلها وانخفض مستوى
الراحة والطمأنينة فيها وفي الميعاد المتفق عليه سابقاً ذهبت إليه صديقتها
وبعد أن استقر بها المقام رمت في وجهه المجلة قائلة . . عشت هذه المدة
مغفلاً . . أنظر وأشارت إلى صورة أنور الطفل مردفة . . أفراً . . لتعرف
أخيراً ابن من هذا الذي يحمل اسمك . . لقد خانتك أمه . . بدليل أن
ولدها صورة مماثلة لآبيه أنور وغادرته وهو يطالع الصحيفة
بعينين زائغتين وبدأت ثورة الحقد والغيرة تأكل قلبه . . وعاد إلى
البيت على غير عادته مسرعاً ودخل متسللاً ظناً منه أن الدكتور أنور

يحضر إلى زوجته أثناء غيابه وقد يداهم في هذه اللحظة .. وبدل أن يراه وجد زوجته واقفة أمام صورة معلقة تأملها وفي عينيها الدموع فاطمها وخلع الصورة من على الحائط وحطم إطارها ومزقها ثم مزق جميع الصور وهو يهذى بالهجة المجنون .. خائفة وقبض على سكين وهو يصرخ بصوت المجنون .. سأقتلك وأقتل ولد الحيانة .. محاولاً أن يقترب منها وهي تبتعد عنه صارخة بصوت مكنوم .. ماذا دهاك .. لقد أفسد الخمر عقلك وعندما هم بقتل الوالد اقتحم الباب الجار على صوت الاستغاثة فاختطف السكين من يده بعد جهد وإيقت هي أنه أصيب بلوثة في عقله من تأثير الخمر والخدرات وأنه سيقتلها حتماً ويقتل ولدها فاستدعت شرطة النجدة .. وسرعان ما استجابت الشرطة وحملوه إلى مستشفى الأمراض العقلية .. وقبل أن يغادر الدار راح يصرخ .. هذه المرأة زانية .. هذا الولد ليس ابني .. وكان نسي تمزيق صورة الردهة فلما وقع نظره عليها حاول الإفلات من القيد ليزقها وهو يقول .. انظروا إليها وانظروا إلى صورة والده المنشورة في مجلة النهضة صفحة ١٢ أنه الزاني الذي يلبس مسوح الملائكة .. فاقصصوا منه ومنها .. ولما هدا في المستشفى طلب استدعاء محاميه فلما استجاب طلبه وحضر إليه المحامي طلب منه رفع دعوى طعن في صحة بنوة الابن المنسوب إليه مستشهداً بالصورة المنشورة في المجلة والصورة المأخوذة للولد وأحيلت الزوجة كما أحيل الدكتور للتحقيق فيما نسب إليهما وأخذ التحقيق مجراه .. وثبت من صحة تحليل الدم أنه ليس من فصيلة دم — انور — إنما من فصيلة دم — ظافر — كما ثبت من

التحريات أن الزوجة لم تنصل مطلقاً بأزور سرّاً أو جهرًا . . في هذا
الوقت اجتمع القائلون لتنفيذ الحجز على ميراث - نواضر -
سداد الدين الذي تجمع على المدين - ظافر - بحكم صحة توكيله
وحرية التصرف المطلق بالنيابة عنها وعلم ظافر من محاميه - براءة
زوجته والدكتور وصحة انقصاب ابنه إليه ولم يكذب يسترد هذوء نفسه
ويطالب التصريح له بمغادرة المستشفى لأنه ليس مريضاً والسكنها كانت
لوثة طارئة من شدة الصدمة بتأثير ما بلغه من فتاة كانت تتردد عليها
كصديقة وما هي إلا عدوة حاولت التفرقة بينهما ولم يكذب يغادر
المستشفى حتى أعلن بحكم المحكمة بطلاق نواضر واستندت المحكمة إلى
عدم أهميته لحماية الزوجة وتبديد ثروتها على الخمر والميسر والمخدرات
وتحمد نواضر الله الذي خلصها منه وتسترد هذوء نفسها وطمأنينة
قلبها . . ثم تفاجأ بزيارة صديقة لتهنئتها على تخليصها منه بعد قراءة ما نشر
في الصحف وبراءتها وصارحتها بالعلاقة التي كانت بينها وبين ظافر
وكيف غرر بها على أهل أن يتزوجها وسردت عليها حديثه بشأن
زواجه منها دون عليه وكان لا بد أن تنفي نواضر صحة ما أدعاه مبينة
ألمها وأسفها وندمها على قضاء فترة من حياتها مع رجل نذل حقير.

وقبل أن تغادرها الزائرة يفاجئها - ظافر - إذ تفتح له الخادم
الباب وقبل أن تعلن مقدمه وبكل ما تملك نواضر من شجاعة تقول
له . . أخرج حالا وإلا استدعيتم شرطة النجدة . . وعند ما يقع
نظره على صديقتها . . ينهال عليها ضرباً وهو يقول . . لانت السبب

ولكن . . نواضر . . تحميمها وتقول له . . وهل كنت تنتظر بمن
غدرت بها بعد أن سلبت أعز ما تملك العذراء أن تبسارك خيانتك
وغدرك . . لولاها لما تخلصت منك . . فهي منقذتي منك لحمد الله
ولها . . وفي جنون قال . . هنا ولدي وهذا بيتي وانت زوجي فقد
رددتك إلى عصمتي فصرخت في وجهه اخرج انني بريئة منك وطلاق
المحكمة لا رجعة فيه . . وانتزعت الزائرة فرصة جدا لهما واتصلت
بشرطة النجدة . . وقبيل حضور شرطة النجدة . . تفقد نواضر قوازيها
عترتي على المقعد وقد بدا عليها الانهيار فأسرعت الزائرة إلى التليفون
تطلب الدكتور أنور من المستشفى وتخبره بحالة نواضر . . في هذه
اللحظة يدام المنزل جماعة بمرافقة المحضر للحجز على المنقولات ممدادا
لحين ظافر . . وتقبل الشرطة فتقبضه نواضر وتقول . . هذا الرجل
مطلق وقد اعتدى على وعلى زائرتي وليس له الحق في المجيء إلى . .
وأرجو حمايتي منه . . ويتدخل أحد المدينيين . . ولكن هذا منزله
ولنا الحق في الحجز على المنقولات فقد رهنها عندي ويقدم بيانا برهن
الثلاجة والتليفزيون . . ويقدم آخر بيانا برهن غرفة الصالون وآخر
بيانا برهن غرفة النوم وآخر بيانا برهن غرفة المائدة . . وتصيح
.. نواضر وتصرخ .. ولكن هذا أثاثي أنا فيطلب ضابط الشرطة ..
إيقاف الحجز وعمل إشكال ريثما يثبت الزوج السابق أحقيته في ملكية
هذه المنقولات ؟ . . وتفاجأ نواضر بدخول أنور . . فينطلق وجهها
وتقول بصوت تخنقه العبرات . . أهلا يا دكتور وتمس الزائرة لقد
دعوتك بالتليفون . . عندها ما انهارت قواك .

ويصرخ — ظافر — جئت لتعطاد في الماء العكر ؟ أليس
كذلك . . لا : إن أمكنتك من ذلك . . فلا يوليه — أنور — أى
اهتمام ويوجه الكلام إلى نواضر . . لقد حضرت بناء على دعوة
الأخت مشيرا إلى الزائرة . . قالت إنك في حالة انهيار فأجابت
— نواضر — كنت والآن أستشعر أنني بدأت أتففس . . وقاطعهم
أحد جماعة الحجز موجهها الحديث إلى ظافر إن أعاد هذا المكان إلا
بعد أن آخذ حق فيقول له : احجز فيعنه ضابط الشرطة ليس له
الحق في التصرف ويأمره بالخروج قائلا اخرج معنا وإلا اضطررنا
إلى . . فيقاطعه سأخرج وسوف أعود وفي يدي قسيمة ردها . . وعلى
أثر انصرافه يقول أنور أظن يمكنكم الانصراف الآن لأن الهاء
متعبة وفي حاجة إلى الراحة ولكي يتسنى لي الكشف عليها فيقول
المحضر . . عن إذهلك لحظة ثم يكتب ما يقتضيه الإشكال موجهها
الكلام إلى — نواضر — وقمى من فضلك . . وقبل أن توقع يتناول
أنور الورقة ليطلع عليها . . ثم يبدو على وجهه التحسر ويهز رأسه
قائلا . . لا داعى لتوقيعها ويعيد إليه الورقة وهو يقول . . كم مجموع
الدين المطلوب للحجز فيجيبه المحضر مبلغ ألف وأربعة وعشرون
جنيها فيكتب إليه شيكا بالمبلغ ويأوله إياه . . وهنا تقبلها الزائرة
وتحيي الدكتور وتتصرف .

وفي طريق عودتها تجد ظافر جالسا على مقهى بقرب المنزل يتناول
شرا بافلا يلحق بها محاولا أن يجذبها من ذراعها قائلا : هيا معي

إلى المأذون لنعقد قراننا . . فتعلمته على وجهه متنجية عنه قائمة بلهجة
تشوبها الثبات والاحتقار . . لست على استعداد لكي أعول رجلا
عريدا وليست لدى ثروة تعيش عليها . . لقد أجدت ارتداء لباس
الثراء لتصرف في سخاء كأنك الوريث الوحيد لأعظم ثرى من
الانبياء . . ورحم الله من ابتلاه بك كما ابتلاني ووقعن فريسة
تضليلك وخداعك ومظورك كما وقعت . . وابتعدت عنه وهى تلعن
الأيام التى جمعت بينهما وعلى أثر انصراف المحضر ومن معه استردت
— نواضر — هدوء نفسها وقالت لأنور بصوت حزين متكسر . .
لماذا ألغيت البيع وسددت الدين . . لقد حملت نفسك ما لا يطاق
وعلى كل حال فالفرصة أمامى لى أبيع على مهل دون أن أشعر أى
أحد بخرج موقفى واسمح لى الآن أن اكتب إليك كتيبالة بهذا المبلغ . .
فأخذ يجلسه بجوارها قائلا . . هذا المبلغ كان فى ذمق لك إذ كنت
أدخرته واحتفظت به لى استعين به على زواجنا فلما حالت الأيام
بين تحقيق أماننا . . آليت على نفسى ألا تمتد يدي إليه معتزما أن
أفتح به مستشفى للفقراء باسمك والحمد لله الذى أتاح لى فرصة رد
الأمانة إليك .

وهنا فاجأتها صديقتها — نجلاء — وقالت : كم أنا سعيدة
بتخلصك من الشرير وقد جزاك الله خيرا على صبرك واحتمالك . .
وتقاطعها . . نواضر . . شكرا . . وأرجوك عدم ذكرى ما فات
لكى أعيش مع حاضرى بلا منغصات . . فتقول — نجلاء — معك

حق . . . وحمد الله الذي جمع شملكما بعد هذا العناء واشدد ما سرقني
هذا النبا الذي أخبرني به صديقة ظافر عندما قابلتها الآن . بالصدفة .
تشرب شرابا مثلجا على قارعة الطريق . . ثم التفتت إلى أنور
مردفه . . أظن أن الوقت لتحقيق أملاكنا وتمضية شهر العسل بعيدا
عما يشير ذكريات الماضي البغيض . . واطرق أنور مليا ثم رفع
رأسه وهو ينظر إلى نواضر معبرا عن مكنون فراده الملهوف لهذا
اليوم الذي نشأ مع أحلامه في مستهل صباه ثم رقد في أعماقه حينما حال
القدر بين تحقيق مناه . . وقال بصوت اليائس الذي حكم عليه بالبراءة بعد
أن عاش في محبس الإعدام - الرأي لأم أنور فنظرت إليه نواضر نظرة
حب وامتنان وقالت وهل للقلب أمنية غير تحقيق أحلامه المشتاه . .
لم يكن ينتهنا غير حلك الاعتراف الذي يكتبه مسجل الشريعة . .
إذ سبق انما تزوجنا مع إيقاف التنفيذ فضحك قائلا . . وحين
الوقت للتنفيذ فميا استعدى وهيء نفسك لمغادرة القاهرة اليوم بينما
أذهب لأخذ أجازة شهر واستطيع أن أصارحك بأنني تابعت قضيتك
حتى فصل فيها ولم أشأ أن أظهر لكيلا أثير سبب طلبك للطلاق من
أجلي أما وقد مضت شهور العدة وأكثر فن حقلك أن تنعس بالحياة . .
وقبل يدها مصاحفا صديقتها وانصرف وأبوت صديقتها الانصراف إلا
بعد أن تساعدها وأثناء إعداد لوازم السفر سألتها الصديقة هل ستقضي
شهر العسل في فندق أم نؤثرين كابين على الشاطئ . . فسرحت نواضر
مليا وقالت لا هذا ولا ذلك . . إن عمى تقيم في قصر على الشاطئ .
وقد سبق أن دعيت عدة مرات لتمضية الصيف عندها فكنت أعذر لأن

حالتى النفسية بجوار الملعون الذى ذهب مصحوبا بلعنة الله كانت تحول
دون الاستمتاع بجوار عمتى لسيطرة همومى وأحزاني واساى إلى حد
كان يصعب على مجاراة الاحباب والصديقات مرحهم وسرورهم إذ كان
الآلم يعصر فزادى . . وعاد أنور مسرعاً فبشرها بقبول اعتماد
أجازته ووجدها تهيأت للرحيل وقبل أن يغادرا المنزل قالت له . .
سوف أخاطب عمتى تليفونيا لأخبرها بذهابنا وسوف تغتبط أشد
الاغتباط لذلك فقال . . دعى زيارتها بعد عودتنا لأننى استأجرت
كابينا فى مرسى مطروح منذ أسبوع لرغبى فى الابتعاد عن القاهرة
للاستجمام ويبدو أن الله ألهمنى ذلك من أجلك . . وقد أبركت
إلى والدتى هناك إذ سبقتنى لأعداد الكابين ولكى تستعد لاستقبالنا
وستكون فرحتها باستقبالنا فوق ما تتصورين فقد كانت تعاني ألما ممنا
لأعراضى عن الزواج فأى فرحة تغمرها الآن عندما تعلم أننى تزوجت
من أحبها . . ؟

واستقبلت الأم نواضر بسعادة لم تستشعر بها من قبل لتحقيق
أمنية ولدها الذى سبق أن صارحها بأنه ان يتزوج مطلقا مادام فقد
حبيلته إلى درجة كانت تمنى الأم أن تفقد ما تبقى عمرها ليتزوج
بهذه الحبيبة التى ملكت عليه حسه وعقله فى اليقظة والمنام .

وقرر أنور أن يعقد قرانه على الطريقة البدوية . . واستعان برجل بدوى
لتنفيذ ذلك فقال له الرجل . . يقام الفرح يومين . . اليوم الأول للعروس
وهو ما يسمى بيوم الحناء واليوم الثانى لعقد القران . . واقم فرح
اليوم الأول بالطبول والأغاني الشعبية مع رقص الخيل على المزمار

ورقص الرجال .. وفي صبيحة اليوم التالي جلست الام تتحدث إلى
نواضر مستعيدة ذكرياتها القديمة منذ ولدت - أنور - وذكرت
فيما ذكرت أنها ولدت في المنصورة حيث كان زوجها موظفا هناك وكم
كانت هذه المدة ممعة وتشهد أنها كانت من أجمل أيام زواجها وهنا
قالت - نواضر - وأنا أيضا ولدت في المنصورة فأظهرت الام
ارتياحها وقالت .. لذلك تحاببتا لانكما تنسمتا سويا نسيم المنصورة
الليل ومياه نيلها العذب ثم تنهدت مردفه .. يا لها من ذكريات لم تنل
مطبوعة في خاطري .. ومازلت أذكر صديقتي العزيزة التي كانت تقطن
بحواري كنا كأختين نناول الإفطار سويا بعد خروج الزوجين إلى
عملهما ولا نفترق إلا عند النوم فاذا تأخر زوجي لازمتني وإذا تأخر
زوجها لازمتها وإذا مرضت إحدانا قامت الأخرى بشئون البيت
والزوج رغم وجود الخدم .. كان لا يفرق بيننا غير الاسماء فالزى واحد
والطعام واحد .. وتنهد في تحسر مردفة بصوت حزين .. الحب
القديم يا ابنتي لا وجود له الآن الحب القائم الآن .. حب مصلحة
والأسفاه .. أما الحب للحب في سبيل الله فلم يعد له أثر .. وسرحت مايا
كأنها تستعيد ذكري الماضي ثم قالت .. وعلى فكره .. متى كنتم في
المنصورة .. فقد أكون رأيت والدتك في إحدى زيارتي حيث كنت
أتزاور مع كثيرات من نساء المنصورة الفضليات فما اسم والدك فقد يكون
والدك ألتقى بزوجي أو يكون من أصدقائه .. من يدري يا ابنتي ..
فمات نواضر .. والدي لم يكن موظفا .. كان يملك عربة بجوار
المنصورة ولم تشأ والدتي رحمها الله أن تقيم في العربة فاستأجر لها

شقيقة وهي المرحومة السيدة فاتن عبدالكريم حرم المرحوم سعد الدين ناصر
وعندما سمعت الام ذلك لطمت على خدها مذعورة وكان عقربا
لدهغتها وصرخت بغير صوت .. أنت ابنة فاتن حرم سعد الدين بك ..
قالت نواضر في هدوء وقد سرى إليها الانزعاج .. أجل وبصوت
مخنوق بالعبرات قالت الام ، ماذا أقول لأنور فريمت نواضر
وقالت .. لست أفهم ماذا تعني ؟ .. قالت الام .. على أثر ولادتي
لأنور شعرت والدتك بالام الحمل وبعد شهر وضعتك ثم مرضت
مرضا منعها من الرضاعة وكان لزاما بحكم صداقتنا أن أرضعك بجانب
رضاعة ولدي أنور فسمعت نواضر قائلة .. إذن أنا فقالت الام
والدموع تغمر وجهها وبصوت مرتجف .. أخته من الرضاعة.

ودخل أنور والفرحة تلوح على وجهه وقبل والدته وهو يقول ..
أعددت كل شيء .. سيتناول البدو الثريد ظهرا .. ونحتفل مساء
في الفندق كما نريد بعد عقد القران .. ولاحظ وجوم الام
وشحوب وجه نواضر .. فارتاع وقال .. ماذا حدث ..
هل أصيب أحدا بما يتوعدك .

فقالت الام .. لو كان الامر كذلك لكان الامر .. وإن كان
الانحراف لا يمكن أن يطرق بابنا وقت فرحك .. فازداد هلعها
وقال .. إذن ماذا حدث .. هل حضر الشرير فقاطعت أمه ..
لا يا ولدي .. أجلس واصغ إلى .. لقد أخفيت عنك أن لي ابنة
أخرى فقاطعتها .. كنت تزوجت قبل والدي ؟ فتكلفت الهدوء

واغتصبت بسمه وقالت . . أجل فقال بلهفة . . جميل أن تكون
لى أختا وأين هى ؟ ولم كنت الأمر عنى وأنا أشد الحاجة لى أخت .
تقف بجانبى يوم فرحى . . فقالت . . كنت أتمنى . . فقاطعها .
أنا مستعد أن أطير لى إليها الآن لأحضرها مهما كلفنى الأمر . .
كم أنا مهوق لى أخت يا أمى . . إذ لا شك أنك أورتها حنانك
وحبك لى .

فربت على خد — نواضر — قائلة . . ها هى أختك . .
فظهر لىها مبهوتا مذهولا قائلا . . أعلم أنها تحبونى بحنان الاخت
مع عواطف الحبيبة والزوجة .

فرت الام يدها على رأسه فى حنان مردفه أنها
أختك . . وسردت عليه قصة أخوتها . . وختمت — ديشا
بقولها . . لىالها تمنيت أنا أن تكون لى ابنة لتعوضك به —
رحيل حنان الام وحبها وما هى يا أنور . . فلن تخسرهما .
ولزم الصمت ولم يتكلم . . وأطرقت نواضر . . لتجفف
دموعها .

ورفعت الام وجهها للسماء قائلة . . اللهم ألهمهما الصبر
والاحتمال .

وسرح أنور مليا ثم قال . . أين ورقة ميلادك يا نواضر . .

فقامت في بطن وأحضرتهما من محفظتها فقراها وقال . . لقد كان ميلادك
بعد ميلادي بعامين وقد نقل والدي من المنصورة إلى القاهرة بمصر
ميلادي بعام واحد . . أي ولدت بعد نقل والدي إلى القاهرة . .
فسرحت نواضر لحظة وقالت . . لقد توفيت أختي الكبرى وهي
في الخامسة عشر من عمرها وهي تكبرني بعامين . . فقال انور . .
مخاطبا أمه . . إذن من أرضعتها هي أختها الكبرى فهي التي ولدت
خلال رضاعي . . فسرحت الام مليا ثم قالت . . آه تذكرت لقد
ولدت والدتك فعلا ابنتها الثانية بعد نقلها وقد مناتها عندما علمت وكانت
اسم ابنتها الكبرى باسمي أنا - كريمة - ولكن هل يجوز زواج
أختها الصغرى سل المأذون يا وادي .

تمت

للذكرى

قبيل وفاة الشاعر الكبير المرحوم الدكتور عبدالعزيز عتيق
عميد كلية الآداب بجامعة بيروت العربية سابقاً ومستشار مجمع
الأدب العربي بالقاهرة - ارسل إلى قصيدته لنشرها تحية منه بمناسبة
إصدار مؤلفي هذا وتخليداً لذكراه استجيب لرغبته رحمه الله رحمة واسعة
وله منى دراسة وافية في غير هذا المقام تليق بآثره الادبية والصحفية
وفاء لخير مثل للوفاء والحب العذرى الرفيع في زمن قل فيه الوفاء
ومذا الحب .

تحية شاعر يعرف قدر الشاعرة والادبية
والقصصية رئيسة مجمع الادب العربي
الشاعرة

جميع — لة الع — لايلي

لك في الفن أيكم وسرير ومقام يقل فيه النظير
رق منك البراع والدوق واللة درة والإبتكار والتعبير
وأرى ثوبك الجديد ذليلا كل فن سواء مين وزور
أدب يسحر العقول ويرعى في حمى كل مهجة ويغير
ذاك فضل جزل وذا كل ثم فصل وكل بفضل مشهور

همة قارنت صفاء من الذم ن فسارت في الأفق حيث يسير
أر يحيايت صفوة وذكاه خارق ما لوقده تحرير
فلساقينا من الفنون بكأس هي فينا على القلوب تدور

وتجلى للقارئ لبابا من ثمار النوى يراه البصير
وأرتنا الأهداف، صفحة مجد ولك العير في الملا والنهر

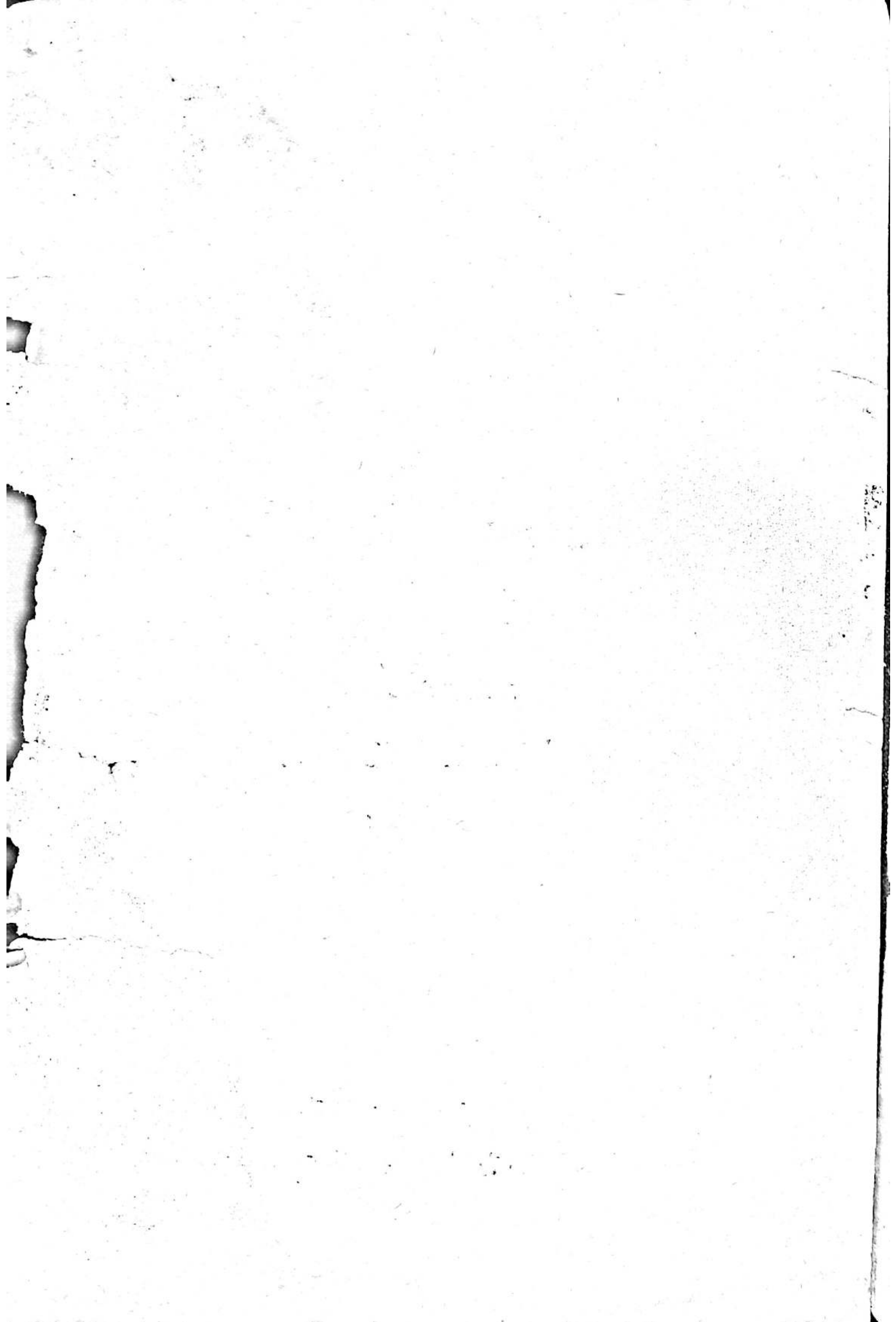
* * *

ورأى الناس معجزات يراع ساهر ماله جمه تغوير
منه نستاف نشوة الفن سحرأ صدأ الفن وهو ماض طرير
وأحاديث كالسقيط من العمة د ومن حجة البيان سطور
نغذى الآن كيف شئت بشعري قد كفاك المديح أنى قرير
أنا من شيمتى الوفاء وإن جا ر زمانى فانى المأمور
د. عبدالعزیز عتيق

بحث الطبع للموافقة

صانعة الرجال قصة اجتماعية هادفة
هارب من الحب قصة عاطفية مثالية

دراسة كاملة عن المملكة العربية السعودية منذ بداية نهضاتها
في عهد الملك الراحل عبدالعزيز آل سعود إلى عهد الملك
خالد عبدالعزيز حفظه الله



رقم الايداع ١٩٧٧/٣٦٥٨

مطبعة عابد بن - ت ٩٠٢٧٧٤